tجامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

الحكمة في دعوة إبراهيم υ

إعداد

نجود فارس أحمد السردي

إشراف

الدكتور خضر سوندك

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الشريعة من كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس – فلسطين.

2010م

الحكمة في دعوة إبراهيم عليه السلام

إعداد

نجود فارس أحمد السردي

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2010/2/18م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
-د. خضر سوندك (مشرفاً ورئيساً)	....
-د.عوده عبد الله (ممتحناً داخلياً)	....
-أ.د. حلمي عبد الهادي (ممتحناً خارجياً)	....

الإهداء

إلى روح المصطفى ع ...

إلى ثرى وطني الماسيّ فلسطين، وإلى كل من كان لهذا الثرى نورا.

إلى معلمي الناس الخير في كل مكان وزمان، وإلى طلاب العلم أنّى كانوا.

إلى من تتجلّى رحمة الخالق في كفه أبي، وإلى التي جعلت من قلبها ملجئاً من ظلمات الحياة ومتاعبها أمي.

إلى من كنت لهم ابنة وكانوا لي أهلا مع أهلي.

إلى من طوّعوا الحياة لتكون أجمل، ولوّنوا بوجودهم العمر فأزهر، زوجي "محمد علي" وأولادي لؤي وجنى وعبد الرحمن.

إلى قرة عيني أخي أحمد أعاده الله سالماً معافاً في دينه وبدنه.

وإلى ثغر الدنيا الباسم أخواتي خلود ونجوان وهبه.

إلى من يقف الإنسان أمام كرمه ممتناً خجلاً.... أستاذي الفاضل الدكتور خضر سوندك.

وإلى صرحي العلم والمعرفة اللذين رعياني طيلة فترة تعليمي جامعتيّ القدس المفتوحة والنجاح الوطنية.

وإلى كل من علمني حرفاً... وإلى كل من مدّ لي يد العون ولو بالدعاء.

وإليك يا جدّتي أهدي ثمرة جهدي علّ الله ينفعني به وإياكم.

ابنتكم نجود السردي

الشكر والتقدير

بعد التوجه إلى الله تعالى بالحمد الجليل والثناء الجميل.

أتوجه إلى معلم البشرية سيدنا محمد ε، الذي أنار الله به القلوب والدروب، بسؤال الله أن يؤتيه الدرجة العالية الرفيعة، وأن يبعثه المقام المحمود، والحوض المورود، إن الله لا يخلف الميعاد.

أتقدم أيضا بخالص شكري وامتناني لصرح العلم الشامخ جامعة النجاح الوطنية التي أتاحت لي فرصة التقرب إلى الله تعالى بالعلم.

كما أوجّه شكري وامتناني لأساتذتي الأفاضل في كلية الشريعة الإسلامية الذين لم يبخلوا عليّ بالنصيحة العلمية.

وأخصّ بالشكر فضيلة الدكتور خضر سوندك الذي كان لي معيناً ومرشداً، والذي لم يدّخر جهداً في إخراج هذا البحث للنور كما ينبغي له، حسب الأصول العلمية.

وأستاذي الكريم الذي أمدني بيد العون سواءً بالنصيحة أو بإعارتي كتبه الخاصة، شعوراً منه بمسؤوليته المستمرة، التي ولاه الله إياها، تجاه طلابه، فضيلة الدكتور علي علّوش.

كما أوجه خالص امتناني وشكري لفضيلة الدكتور عودة عبد الله أستاذي، والممتحن الداخلي لهذه الأطروحة، وفضيلة الاستاذ الدكتور حلمي عبد الهادي، أستاذ الحديث في الجامعة العربية الأمريكية، الممتحن الخارجي.

إلى كل هؤلاء أتقدم بالشكر والدعاء بأن يجعلهم الله أهله وخاصته في الأرض، وأن يبقيهم مشاعل نورٍ يهتدي بها طلاب العلم في فلسطين وغيرها، وأن يجعل الله هذا العلم حجة لهم في الدنيا والآخرة، وأن يجعلنا سبباً في تثقيل موازينهم يوم القيامة إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

الإقرار

أنا الموقع أدناه, مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الحكمة في دعوة إبراهيم υ

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء مـــا تمـــت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة علمية أو بحث علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	**اسم الطالب:**
Signature:	**التوقيع:**
Date:	**التاريخ:**

فهرست الموضوعات

الحكمة في دعوة إبراهيم υ

إعداد

نجود فارس أحمد السردي

إشراف

الدكتور خضر سوندك

الملخّص:

إن العقل لقاصر عن إدراك جليل الحكم والعبر التي حَكَمَت حياة رسول من أولي العزم من الرسل، وأَحْكَمَت أقواله وأفعاله حتى استحق ما استحق من محبة الله وخلته، وحتى أصبح محطّ اهتمام علماء العقيدة والتفسير والحديث والتاريخ، إلا أنه يمكننا استنباط بعض هذه العبر والحكم من حياته υ، والتي تخص الداعية والمربي والمعلم على حدٍ سواء.

أولاً: اختلف علماء التاريخ في اسم والد سيدنا إبراهيم υ ومكان ولادته وبعض تفاصيل رحلاته وهجراته، وهذا الاختلاف لا يضيرنا كمسلمين لأنه لا يترتب على معرفته كبير علم، ولا على عدم معرفته كبير جهل، لأن الله تعالى لو أراد أن يطلعنا عليه لأطلعنا، والحكمة الأولى من القصص القرآني هي التقاط العبرة والعظة منها.

ثانياً: إن حياة إبراهيم υ كانت نسقا متكاملا من الابتلاءات العظيمة، والتي أبدى فيها الصبر والتصبّر والتوكل والرضا بقضاء الله تعالى دون جزع أو تردد.

ثالثاً: اتبع إبراهيم υ جميع الأساليب الممكنة في توصيل دعوته إلى قومه، فمن المواجهة الفردية والجماعية إلى إقامة الحجة بالبرهان والحوار والتورية.

رابعاً: لقد غير إبراهيم υ المنكر بيديه حين كسّر الأصنام، وبلسانه طوال مدة بعثته، ولم يكن أبداً ممن يغير المنكر بقلبه؛ لأنه لم يكن ضعيف الإيمان مطلقاً.

خامساً: رفع إبراهيم υ قواعد البيت الحرام قبلة المسلمين التي رضيها رسول الله محمد ρ بعد أن توجه في صلاته إلى المسجد الأقصى عدداً من السنين. ثم توجّه بعد ذلــك بــأربعين عاماً إلى رفع قواعد المسجد الأقصى المبارك، قبلة المسلمين الأولى، ومسجدهم الثاني.

سادساً: وجوه التشابه بين أبي الأنبياء υ وخاتمهم ρ كثيرة جداً فمن الشبه الخَلقي إلــى التشابه في الصفات الخُلُقية، وفي الدعاء، وفي محبة الله والناس، والمكانة في الدنيا والآخرة.

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل الكتاب على عبده ليكون للعالمين نذيرا، وجعله للمؤمنين سراجا منيرا، وأرسل لتبليغه أشرف خلقه، وصفوة عباده، وخاتم رسله، فبلغ وأدى، وصام وصلى، وحج واعتمر، وجاهد في سبيل الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، اللهم صلّ عليه صلاةً تُفتح بها أبواب خير موصدة، وصلّ عليه صلاةً توصد بها أبواب شرٍ مفتوحة، اللهم صلّ عليه عدد ما مشى فوق الأرض بشر، وعدد ما حطّ طير على الشجر، وشفّعه اللهم فينا، اللهم واقبل شفاعته عنا، وبارك لنا في عقولنا لنتمّ حفظ كتابك؛ علما وعملا، ونبلغ دعوتك، فننال بذلك الدرجات العلى من الجنة، أما بعد...

فإن حبيبنا المصطفى ε مبلّغ هذه الرسالة الغرّاء كان خاتما للأنبياء والرسل من سلالة إسماعيل **υ**، وهو دعوة أبي الأنبياء[1]، وإمام الحنفاء إبراهيم **υ**، قال تعالى على لسانه υ **(رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ)** [2]، وقد قال رسول الله ε: "**إني عبد الله وخاتم النبيين وأبي منجدل في طينته وسأخبركم عن ذلك أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي آمنة التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين وأن أم رسول الله ε رأت حين وضعته له نورا أضاءت لها قصور الشام...**" [3] ، وهو الرسول الذي ابتلاه الله تعالى بما لا يطيقه إنسان، وشدد عليه حتى استحق أن يكون في باقة أولي العزم من الرسل، فمن طغيان قومه، وطاغوت ملك زمانه، إلى كفر والده، وتكذيب أهل الأرض له، وأمْره بمفارقة ابنه الذي انتظره سنوات عديدة، ثم أمْره بذبحه ككبش يُضحى به[4]، ورغم هذه الظروف الحالكة السواد فقد مضى **υ** يبلغ رسالة ربه عز

[1] الأميري، أحمد البراء، **فقه دعوة الأنبياء**، ط1. دمشق: دار القلم. 1420هـ– 2000م. ص166.

[2] البقرة، 129

[3] الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله أبو عبد الله (405هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1411هـ– 1990م. كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأحزاب، ح3566. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

[4] بهجت، أحمد، **أنبياء الله**، ط3. بيروت: دار الشروق. 1975م. ص94.

وجل، ويحاور الطغاة ويجادلهم بالحجـــة والبرهـــان تـــارة[1]، وبالمقاطعـــة والاعتـــزال تـــارة أخرى[2]، وبتحطيم طواغيتهم[3] والتورية عن ذلك تارة ثالثة[4]، حتـــى أتـــاه اليقـــين وهـــو علـــى ما عاهد عليه اللهَ تعالى[5].

وأنا إذ أبحث في هذا الجهد المتواضع حياة هـــذا الرجـــل العظـــيم الـــذي كـــان أمـــةً وحده أسأل الله العلي القدير أن يجمعنا وإياكم بـــه فـــي مســـتقر رحمتـــه، فإنـــه ولـــي ذلـــك والقادر عليه، وأسأله أن يدخر لي ثواب جهدي المقـــلّ إلـــى يـــوم تشـــخص فيـــه الأبصـــار، وأن يبارك فيكم أساتذتنا الأفاضل، ويجزيكم خيـــر الجـــزاء عـــن كـــل لحظـــة أوليـــتم فيهـــا اهتماما بنا وبمستقبلنا لنبقى نحن وأنتم على صلة وطيـــدة بكتـــاب الله تعـــالى وســـنة نبيـــه**ع**، وليظل العلم رحما بين طلابه ومعلميه.

فما كان في بحثـــي هـــذا مـــن صـــواب فمـــن الله تعـــالى، ثـــم رضـــا الوالـــدين، وما كان فيـــه مـــن خطـــأ أو ســـهو أو نســـيان فمـــن ذنـــوبي وقصـــور جهـــدي البشـــري، ومـــن الشـــيطان، أعاذنـــا الله وإيـــاكم منـــه ومـــن همزاتـــه ولمزاتـــه ووسوســـاته، وحفـــظ عيوننا وعيونكم مـــن العمـــى عـــن الهـــدى، وآذاننـــا وآذانكـــم مـــن الصـــمم عـــن الحـــق، وقلوبنا وقلوبكم مـــن أن تمـــور فيهتـــز الإيمـــان فيهـــا، ووفقنـــا إلـــى مـــا فيـــه صـــلاحها في الدنيا والآخرة.

---

[1] زين العابدين، محمد بن سرور بن نايف، **منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله**، ط3. برمنجهام: دار الأرقم. 1408هـ–988م. ج1. ص93.

[2] المرجع السابق. ص96.

[3] المرجع السابق. ص119.

[4] المرجع السابق. ص121.

[5] العارف، هشام فهمي، **سيرة إبراهيم الخليل في القرآن المجيد والأحاديث الصحيحة**، ط1. بيروت: دار البشائر الإسلامية. 1417هـ– 1996م. ص30.

الدراسات السابقة:

لم أجد كثيراً من الكتب التي أفردت الحديث عن سيدنا إبراهيم υ، وإنما ذهب جلُّ هذه الكتب إن لم تكن كلها إلى ذكره مع مجموعة من الأنبياء ضمن قصصهم، مع وجود بعض الكتب المتخصصة، وهي كالآتي:-

*كتاب إبراهيم أبو الأنبياء، لعباس محمود العقاد، بدون معلومات الطباعة.

*كتاب النبي إبراهيم في الثقافة العربية الإسلامية، للدكتور تهامي العبدولي، طبعة دار المدى للثقافة بسوريا لسنة 2001م.

* وكتاب درب إبراهيم عليه السلام، لسعيد شبلي، طبعة دار علاء الدين بدمشق لسنة 2003م.

* وسيرة إبراهيم الخليل، لهشام العارف، طبعة دار البشائر الإسلامية الأولى ببيروت.

* وإبراهيم وأبناء عهده مع الله، للأستاذ الدكتور رينهارد لاوت، ترجمة الأستاذ الدكتور غانم هنا، طبعة خطوات للنشر والتوزيع بدمشق لسنة 2006م.

أسباب اختيار البحث:

بعد أعظم الأسباب وأرقاها وهو نيل رضوان الله تعالى ومحبة رسوله ε، يأتي اختياري لاستنباط الحكم من هذه القصة لتكون أطروحتي في طريق العلم الذي لا ينتهي، لأكشف عن الطرق والأساليب التي اتبعها سيدنا إبراهيم υ لعرض دعوته، ولأستنبط من حياة هذا الرسول الكريم υ العبر والحكم؛ لتكون نبراسا لي في إيصال ما حصلت عليه من العلم لطلبته، ودافعا قويا للمضي قدما في مواجهة الصعوبات التي تعترض طريق المؤمن مهما كان نوعها، ومعينا في تربية ثمرة قلبي تربية تكون سببا في نجاتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

مشكلة البحث:

من هو نبي الله إبراهيم υ؟ وما هي صفاته؟ ومتى نبأه الله تعالى؟ وكيف حاور من حاور من أهل الأرض؟ وإلام توصل؟ وما هي ابتلاءاته؟ وما الحكمة من دعوته υ؟ وما هي أوجه الشبه بينه وبين رسولنا ε؟ هذه الأسئلة وغيرها سأحاول الإجابة عنها من خلال صفحات هذا البحث أسأل الله أن يوفقني فيه وأن يثيبني عليه خير الجزاء.

منهج الباحثة:

لقد قمت باستخدام المنهج الاستقرائي في جمع النصوص الواردة في القرآن والسنة، والتي ذكرت دعوة سيدنا إبراهيم υ، كما قمت بجمع ما استطعت الوصول إليه من أقوال العلماء فيما يخص مادة هذا البحث من أمّات[1] الكتب مستخدمة المنهج الوصفي، ثم قمت بالمقارنة بين الأقوال والترجيح بينها حسب المنهج العلمي التحليلي، أما خطوات تحقيق منهجي فتتَلَخّص بالنقاط الآتية:-

1. جمعت الآيات المتعلقة بدعوة سيدنا إبراهيم υ.
2. قمت بعزوّ الآيات إلى مواضعها في السور وتوثيقها بالهامش.
3. بينت معاني الألفاظ الغريبة من مظانّها.
4. رجعت إلى المصادر الأصيلة ما استطعت فإن لم أجدها أخذت عمّن نقل عنها.

---

[1] أمهات واحدتها أم وأصلها أمهة ولذلك جمعت على أمات باعتبار اللفظ وأمهات بإعتبار الأصل وقال بعضهم الأمهات للناس والأمّات للبهائم. أنظر: البعلي، محمد بن أبي الفتح الحنبلي أبو عبد الله (709هـ)، **المطلع على أبواب الفقه**، بيروت: المكتب الإسلامي، 1401هـ – 1981 م. ج1. ص317. وقال بعضهم: الأُمَّهات فيمن يعقل، و الأُمّات بغير هاء فيمن لا يعقل. أنظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم أبو الفضل، **لسان العرب**، بيروت: دار صادر. ج12. ص29.

5. رجعت إلى كتب اللغة والتفسير والحديث والعقيدة، ولم أغفل الكتب المدونة على الصفحات الإلكترونية، والأقراص المدمجة.

صعوبات البحث:

تعددت صعوبات البحث كأي بحث يسعى طالب العلم فيه إلى بلوغ مرامه من رضا الله تعالى إلى الرضا عن الذات القاصرة المقصرة، وتقبل العلماء لبحثه مادة وموضوعا، ومستوى المعلومات التي يتوصل إليها، ومدى ما تقدمه هذه المعلومات له ولأمته الإسلامية، ومن الصعوبات التي يعاني منها معظم طلاب العلم في بلادنا أن مكتباتنا ينتابها بعضُ النقص في المراجع مما يضطرنا أحيانا للجوء إلى المراجع المدونة على الصفحات الإلكترونية والتي لا نستطيع دائما أن نجزم بالثقة في توثيقها، هذا بالإضافة إلى ضيق الوقت وقلة بركته، والالتزام بالعمل وهمومه ومتطلباته، إلى مثله وأضعافه في البيت، ومتابعة الأولاد ودراستهم وتحفيظهم، فسبحان القائل { **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**}[1] فلو بقيت كل منا في بيتها لما أنقض وزرُها ظهرَها، لكن العمل فوق أنه عبادة فهو سبب من أسباب تيسير العلم وتقريب المأمول، هذه الأعباء وغيرها كانت سببا في تقصيري في هذا البحث.

ورضي الله عن القاضي البيساني[2] الذي قال للعماد الأصفهاني[3]: "**إني ما رأيت أنه يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو**

---

[1] الأحزاب: 33

[2] هو القاضي الفاضل: هو عبد الرحيم بن علي بن حسن البيساني المتوفى سنة 596هـ وله ديوان لا يزال مخطوطا. أنظر: أبو بكر، أحمد ابن محمد بن عمر (851هـ): **طبقات الشافعية**، ط1. بيروت: عالم الكتب. 1407هـ. ج2. ص30.

[3] العماد الأصفهاني: هو أبو عبد الله محمد بن صفي الدين أبو الفرج المتوفى سنة 597هـ وله كتاب (خريدة القصر وجريدة العصر) و(البرق الشامي) ومؤلفات كثيرة، وكان بينه وبين القاضي الفاضل مكاتبات ومحاورات لطاف، فمن ذلك ما يحكى عنه أنه لقيه يوما راكبا على فرس، فقال له: سر فلا كبا بك الفرس، فقال له الفاضل: دام علا العماد. وهذا مما يُقرأ مقلوبا وصحيحا سواء. أنظر: ابن خلكان، شم الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، أبو العباس، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، لبنان: دار الثقافة، ج5، ص147.

زيد كذا لكان يستحسن، ولو قُدم هذا لكان أفضل، ولــو تُــرك هــذا لكــان أجمــل"[1]، وإنهــا لميزة في كل بحث أنه لا يتم أبدا، فالحمد لله الذي يسر لي مــا يســر مــن أســباب الرضــا بقدره وقضائه، وكلي أما أن تتسع صدوركم فتقــوّم جهلنــا وأن لا يضــيق حلمكــم بزلاتنــا؛ فأنتم قدوتنا وإن كان لنا فخر في شيء بعد إسلامنا فهو أنكم أساتذتنا وشيوخنا.

[1] حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله الرومي الحنفي القسطنطيني (1076هـ): **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.** بيروت: دار الكتب العلمية. 1413هـ. ج1. ص17.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمـــة ذكـــرت فيهـــا مشـــكلته، وأســـباب اختيـــاره، والدراســـات السابقة فيه، والصعوبات التي أعاقت حسن سبكه، وفيه ثلاثـــة فصـــول تحتـــوي علـــى عـــدد من المباحث والمطالب، وخاتمة وفهارس، أما خطة البحث فهي كالآتي:

الفصل الأول: حياة سيدنا إبراهيم υ الخاصة والعامة

المبحث الأول: نشأته وحياته.

المبحث الثاني: معبودات قومه:

المبحث الثالث: بعثته وصحفه.

المبحث الرابع: ابتلاءاته وصبره ونصره:

المبحث الخامس: منزلته عند الله تعالى.

الفصل الثاني: الحكمة التي ظهرت في دعوته υ.

المبحث الأول: مواجهته للتقليد.

المبحث الثاني: المواجهة الفردية والجماعية.

المبحث الثالث: الحجة بالتشكيك والاستدراج.

المبحث الرابع: المخالطة والاعتزال.

المبحث الخامس: الحوار في دعوته:

المبحث السادس: الحكمة في تحطيم الأصنام.

الفصل الثالث: علاقة أبي الأنبياء بخاتمهم:

المبحث الأول: التشابه بينهما في المكانة عند الله وعند الناس.

المبحث الثاني: التشابه في الصفات الخلقية.

المبحث الثالث: الدعاء والاستجابة.

الخاتمة.

الفصل الأول

حياة سيدنا إبراهيم υ الخاصة والعامة

المبحث الأول: نشأته وحياته.

المبحث الثاني: معبودات قومه.

المبحث الثالث: بعثته وصحفه.

المبحث الرابع: ابتلاءاته ونصره.

المبحث الخامس: منزلته عند الله تعالى.

الفصل الأول

حياة سيدنا إبراهيم υ الخاصة والعامة

المبحث الأول: نشأته وحياته.

لا بدّ للإنسان من قدوة يتأسّى بها، ويستنير بهديها، ويستمدّ منها قوته لمواجهة مصاعب الحياة؛ وبما أن المسلم يتأثر بواقع حياة الرسل والأنبياء والصالحين ويقتدي بهم، فإنني سأتناول في هذا المبحث حياة سيدنا إبراهيم υ قبل الرسالة، وطرفا من حياته بعد البعثة، وسيكون هذا من خلال المطالب الآتية إن شاء الله تعالى.

المطلب الأول: اسمه ونسبه.

"إبراهيم" كلمة سريانية تعني أب رحيم، وفي العبرانية اسم مركب من كلمتين هما: أب أي أبٌ، وراهام أي جماعة أو جمهور أو عدد كثير كرهام بالعربية[1]، وقيل أن إبراهيم اسم أعجمي غير معرب، وقيل: هو مشتق من البرهمة وهي شدة النظر وإدامته[2].

ويقال أيضا إن اسم إبراهيم من الأسماء التي تنبئ عن نشأة دينية لأنه على أرجح معانيه يفيد معنى (حبيب الله)، لأن (رام) تعني المحبة بالسريانية، ولعل التغيير الذي حصل على اسم (إبرام) إنما استحدث ليفيد معنى (حبيب الله) بدلا من (حبيب الإله) الذي كان يعبده والده في معابد الوثنية[3]. قال ابن حجر: "وقيل أن المعنى بالسريانية أنه راحم"[4].

---

[1] الرُّهْم والرُّهام جماعة الرجل وبه سميت المرأة رُهْماً. ابن منظور، **لسان العرب**، مادة رهم ج12. ص257. وانظر أيضا: الزاوي، طاهر أحمد، **ترتيب القاموس المحيط**، بيروت: دار الكتب العلمية، 1979م، مادة رهم ج2. ص403.

[2] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة برهم ج12. ص48.

[3] العقاد، عباس محمود، **إبراهيم أبو الأنبياء**، بدون معلومات الطباعة، ص294.

[4] العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي (852هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، بيروت: دار المعرفة، 1379هـ ، ج6، ص389.

واختلف المؤرخون في اسم أبي إبراهيم υ أهو آزر أم تارح؟ ومنشأ هذا الاختلاف هو أن القرآن الكريم سماه آزر، وقد عرف عبر التاريخ بأن اسمه تارح أو تارخ. وفيما يلي أقوال بعض العلماء.

أولاً: ما قاله الإمام ابن جرير الطبري من أن الراجح عنده أن اسمه آزر ولعل له اسمان علمان أو أن أحدهما لقب والآخر علم؛ وهو على ذلك يرى أن كلمة آزر في قوله تعالى {**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ**}[1] تأتي مجرورةً بالفتحة لأنه اسم أعجمي ويعربُ بدلاً من أبيه، وقد ذكر أن هناك قراءات أخرى كقراءة الحسن البصري[2] وهي بالرفع على أنه منادى، وقراءة السديّ[3] بالنصب على أن المعنى أتتخذ أصناما، ونقل عنه قوله أن آزر اسم صنم، وقد قال بعضهم إن آزر تعني المعوجّ في لغتهم وهي أشد كلمة قالها إبراهيم υ[4].

ثانياً: ما قاله الإمام القرطبي من أن اسمه آزر، وقد ذكر قول مجاهد أن آزر ليس اسم أبيه وإنما هو اسم صنم، واسمه هو إبراهيم υ بن تارح بن ناخور بن ساروع.[5]

---

[1] الأنعام: 74

[2] هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. ولد بالمدينة، وشب في كنف علي بن أبي طالب، عظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء، وأقربهم هديا من الصحابة. توفي بالبصرة سنة 110هـ. أنظر: الزركلي، **الأعلام**، ج2، ص226.

[3] هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي: تابعي، حجازي الاصل، سكن الكوفة. قال فيه ابن تغري بردي: صاحب التفسير والمغازي والسير، وكان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس توفي سنة 128هـ. أنظر: الزركلي، **الأعلام**، ج1، ص317.

[4] الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر (310هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، بيروت: دار الفكر، 1405هـ، ج7. ص243. بتصرف.

[5] القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله (671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، القاهرة: دار الشعب، 1372هـ، ج7. ص22.

ثالثاً: قول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى وترجيحـــه أن يكـــون لأبـــي إبـــراهيم اسمان أحدهما لقبا، وعلل قول مجاهد والســدّي مــن أن آزر اســم للصــنم وقــد غلــب على اسم أبي إبراهيم υ لكثرة خدمته له[1].

رابعا: ما قاله الإمام الفخر الرازي رحمــه الله تعــالى ورجــح فيــه أن آزر مــا كان والد إبراهيم υ بل كان عماً له فأما والده فهــو تــارح، والعــم قــد يســمى بــالأب، بدليل أن أولاد يعقوب سموا إسماعيل بكونه أبــاً ليعقــوب[2]، مــع أنــه كــان عمــاً لــه، ويحتمل أن آزر كان والد أم إبراهيم υ وهكذا قد يقال له أب[3].

والراجح على ما يبدو أن اسم أبيه آزر لإخبار القرآن بــذلك صــراحة فــي آيــة سورة الأنعام المذكورة سابقا، ولحــديث الإمــام البخــاري: قــال رســول الله ε: "**يلقــى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قتــرة وغبــرة فيقــول لــه إِبْــرَاهِيمُ أَلَــمْ أَقُلْ لك لا تعصيني فيقول أَبُوهُ فَالْيَوْمَ لا أَعْصِيكَ فيقول إِبْــرَاهِيمُ يــا رَبِّ إِنَّــكَ وَعَــدْتَنِي أَنْ لا تُخْزِيَنِي يوم يُبْعَثُونَ فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مــن أبــي الأَبْعَــدِ فيقــول الله تَعَــالَى إِنــي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ على الْكَافِرِينَ ثُمَّ يُقَالُ يا إِبْرَاهِيمُ ما تَحْتَ رِجْلَيْكَ فَيَنْظُــرُ فــإذا هــو بِــذِيخٍ مُلْتَطِخٍ[4] فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى في النَّارِ**"[5]

ولا أرى أنه اسم صنم؛ إذ كيف يعاقب الله تعــالى صــنما لا حــول لــه ولا قــوة يوم القيامة؟!

كما أن الراجح أيضا أن كلمة آزر في الآيــة الكريمــة تعــرب بــدلا مــن أبيــه مجرورة بالفتحة عوضا عن الكسرة لأنها اســم أعجمــي، وليســت منــادى؛ لأن القــرآن

---

[1] ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي أبو الفداء(774هـ)، **تفسير القرآن العظيم** ، بيروت: دار الفكر، 1401هـ، ج2. ص150. بتصرف.

[2] إشارة إلى قوله تعالى **[قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ]**: البقرة، 133

[3] الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين الطبرستاني أبو عبد الله (606هـ)، **مفاتيح الغيب**، بيروت: دار الكتب العلمية، 1425هـ – 2004م، ج13، ص33.

[4] الذيخ ذكر الضباع وأراد بالتلطخ التلطخ برجيعه أو بالطين. أنظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج3، ص16.

[5] البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بزدبه أبو عبد الله (256هـ)، **الجامع الصحيح المسند من أمور الرسول ε وسننه وأيامه**، ط1. بيروت: دار الفكر. 2000م، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى "واتخذ الله إبراهيم خليلا"، ح3172.

أورد في موضع آخر طريقة حوار إبراهيم υ مع أبيـــه وكيـــف يناديـــه بقولـــه (ياأبـــتِ) قال تعالى {**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَـــتِ لِـــمَ تَعْبُـــدُ مَـــا لا يَسْـــمَعُ وَلا يُبْصِـــرُ وَلا يُغْنِـــي عَنْـــكَ شَيْئاً**}[1]، فهل من الممكـــن أن يناديـــه باســـمه هكـــذا؟! ثـــم إن الله تعـــالى ذكـــر أنـــه υ استغفر لأبيه حتى نهاه الله عن ذلك {**وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّـــهُ كَـــانَ مِـــنَ الضَّـــالِّينَ**}[2]، ولأجـــل ذلك أستبعد أن تكون كلمة آزر سباً لأبيه كما ذكـــر ابـــن أبـــي حـــاتم[3]عـــن معتمـــر بـــن سليمان[4] قال: سمعت أبي[5] يقـــرأ "**وإذ قـــال إبـــراهيم لأبيـــه آزر**" قـــال: بلغنـــي أن آزر معناها أعوج، وأنها أشد كلمة قالها إبـــراهيم υ[6]؛ فالأنبيـــاء معصـــومون عـــن الصـــغائر فضلا عن الكبائر وسب الوالد من الكبائر فقـــد حـــرم الله تعـــالى قـــول (الأفّ) للوالـــدين {**فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَـــوْلاً كَرِيمـــاً**}[7] ولـــيس الســـباب مـــن القـــول الكريم أبداً.

ويمتد نسب إبراهيم υ إلى سام بن نوحυ فســـلالة قومـــه مـــن المســـلمين الـــذين نجوا بعد الطوفان، ذكر ابن كثير اسمه فقال: هو إبـــراهيم بـــن تـــارح بـــن نـــاحور ابـــن ساغور بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نـــوح υ، واســـم أمـــه (أميلـــه) وقيل اسمها بونا بنت كربتا بن كرثى بن أرفخشذ بن سام بن نوح υ [8].

---

[1] مريم: 42

[2] الشعراء: 86

[3] عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، أبو محمد: حافظ للحديث، له تصانيف، منها الجرح والتعديل، و التفسير وعلل الحديث وتقدمة المعرفة بكتاب الجرح والتعديل وغيرها، توفي سنة327هـــ. أنظر: الزركلي، **الأعلام**، ج3، ص324.

[4] معتمر بن سليمان التيمي أبو محمد البصري يلقب الطفيل ثقة من كبار التاسعة مات سنة 87هـــ، وقد جاوز الثمانين. أنظر: العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي(852هـــ)، **تقريب التهذيب**، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1416هـــ-1996م، ص471.

[5] هو سليمان بن طرخان التيمي، سمع أنساً والحسن، قال عنه شعبة ما رأيت أحدا أصدق من سليمان التيمي كان إذا حدث عن النبي ρ تغير لونه، توفي بالبصرة سنة 43هـــ. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب**، ص192.

[6] ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (327هـــ)، **تفسير القرآن**، صيدا: المكتبة العصرية، ج4، ص1325.

[7] الإسراء: 23

[8] ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي أبو الفداء(774هـــ)، **قصص الأنبياء**، ط1، المنصورة: مكتبة الإيمان، ص102.

وهذا النسب الذي ذكره ابن كثير رحمه الله تعالى لا دليل عليه وهو من الإسرائيليات.

المطلب الثاني: مولده وموطنه وقوميته.

اختلف العلماء في تحديد زمان مولده υ فقد تضاربت الروايات في تعيينه، واعتمد كثير منها على روايات أهل الكتاب، وقد روي عن ابن عباس ψ كلام في تحديد أزمنة ميلاد بعض الأنبياء منهم إبراهيم υ لا يُطمأن إليه[1]، ولكن أكثر المؤرخين على أنه ولد في الفترة الواقعة ما بين عامي ألفين وألفٍ وسبعمائةٍ قبل الميلاد، والله أعلم[2].

أما عن مكان ولادته فقد روي عن ابن عباس ψ قال: ولد إبراهيم بغُوطة دمشق، في قرية يقال لها (برزة)، في جبل يقال له (قاسيون)[3]. وقال ابن عساكر: والصحيح أنه ولد في بابل، وإنما نسب إليه هذا المقام لأنه صلى فيه حين جاء معينا للوط υ[4].

ولم تقف الروايات عند هاتين المدينتين في تحديد مكان مولده υ بل قيل أيضا إنه من مواليد السوس بأرض الأهواز، وقيل بحرّان، التي يرجح الدكتور مهران[5] أنها مولده، وهي في إقليم العراق الأعلى في منطقة الجزيرة بين دجلة والفرات، وليس أور البابلية في جنوب العراق[6].

---

[1] الأميري، **فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم**، ص169.

[2] مهران، محمد بيومي، **تاريخ العرب القديم**، الإسكندرية: دار المعرفة،2000م، ص169.

[3] المرجع السابق نفسه، ص169.

[4] ابن عساكر، تقي الدين علي بن الحسن أبو القاسم (571هـ)، **تاريخ مدينة دمشق**، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1982م، ج2. ص326.

[5] الأستاذ الدكتور محمد بيومي مهران: أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم في جامعة الإسكندرية، حصل على درجة الدكتوراه في الآداب بمرتبة الشرف في التاريخ القديم من كلية الآداب – جامعة الإسكندرية، ثم عين مدرساً بها، شغل مناصب كثيرة وهامة، وله كتاب تاريخ العرب القديم. أنظر: صفحة المتحولون www.14masom.com/mostabsiron/

[6] مهران، **تاريخ العرب القديم**، ص122.

ولا يوجد دليل صحيح على مثل هذه المعلومات وما هي إلا اجتهادات للعلماء في محاولة حثيثة لتتبّع سيرة هذا النبي الكريم.

وأما عن قومية إبراهيم υ فيؤكد عباس محمود العقاد على عروبته ويقول: فلا يقال عنه إنه إسرائيلي؛ لأن يعقوب هو أول من تسمى بإسرائيل وهو حفيد إبراهيم، ولا يقال أيضا إنه يهودي؛ لأن اليهودي ينسب إلى يهودا رابع أبناء يعقوب، ولا يقال إنه عبري إن أريد بالعبرية اللغة؛ إذ أنه كان يتكلم لغة يفهمها كل أهل الإقليم ولم تكن العبرية قد انفصلت عن بقية اللغات السامية بعد. وقد يقال إنه سامي، ولكنها نسبة جد لا نسبة قوم، وقد تكلم السريانية في ذلك الوقت أناس ليسوا سريانيين، ولا آراميين، ولا حميريين، كالأحباش[1].

ويرى الدكتور مهران أن إبراهيم υ كان من العرب العاربة وأن قومه قد خرجوا من الجزيرة العربية كجماعة من الجماعات السامية العديدة، وأنه υ هو أبو العرب العدنانيين الذين هم أبناء إسماعيل υ[2].

كما يرى بعض العلماء منهم محمد رشيد رضا[3] أن إبراهيم υ كان يتكلم العربية القديمة، التي هي قريبة من عربية جرهم، وكانت هي اللغة السائدة، وأن العبرية لهجة من لهجاتها[4].

ومما يؤكد هذا الكلام أن إبراهيم υ ذهب إلى مكة بعد أن شبّ ابنه إسماعيل υ وتحدث مع زوجته الجرهمية العربية وقد فهم كل منهما الآخر، وهذا مذكور في

---

[1] العقاد، **إبراهيم أبو الأنبياء**، ص 289–291.

[2] مهران، **تاريخ العرب القديم**، ص137– 157.

[3] هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب: صاحب مجلة المنار وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. من الكتّاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير. ولد ونشأ في القلمون من أعمال طرابلس الشام، ثم رحل إلى مصر سنة 1315 هـ فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له. أنشأ مدرسة الدعوة والإرشاد، من أشهر آثاره مجلة المنار وتفسير القرآن الكريم الذي كتبه نقلا عن محمد عبده ولم يكمله، و تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده. توفي سنة 1354هـ. أنظر: الزركلي، **الأعلام**، ج6، ص126.

[4] رضا، محمد رشيد (1354هـ)، **تفسير المنار**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، ج7. ص535.

البخاري من حديث ابن عباس ψ: "**انطلق إبـراهيم... فلـم يجـد إسـماعيل فسـأل امرأتـه عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشـهم وهيئـتهم، فقالـت: نحـن بِشَـرّ نحـن في ضيق وشدة، فشكت إليه، قال: فإذا جـاء زوجـك فـاقرئي عليـه السـلام وقـولي لـه يغير عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئا، فقال: هـل جـاءكم مـن أحـد؟ قالـت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسـألني كيـف عيشـنا فأخبرتـه أنّـا فـي جهد وشدة، قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم أمرنـي أن أقـرأ عليـك السـلام ويقـول: غيّرعتبة بابك. قال: ذاك أبي، وقد أمرنـي أن أفارقـك، الحقـي بأهلـك، فطلقهـا وتـزوج منهم أخرى، فلبث عنهم إبراهيم ما شـاء الله ثـم أتـاهم بعـد، فلـم يجـده، فـدخل علـى امرأته فسألها عنه، فقالت: خرج يبتغـي لنـا، قـال: كيـف أنـتم؟ وسـألها عـن عيشـهم وهيئتهم، فقالت: نحن بخير وسعة، وأثنت علـى الله. فقـال: مـا طعـامكم؟ قالـت: اللحـم، قال: فما شرابكم؟ قالت الماء، قال: اللهم بـارك لهـم فـي اللحـم والمـاء. قـال النبـي ρ: ولم يكن لهم يومئذ حب، ولو كان لهم دعا لهـم فيـه قـال: فَهُمـا لا يخلـو عليهمـا –أي اللحم والماء– أحد بغير مكة إلا لـم يوافقـاه[1]، قـال: فـإذا جـاء زوجـك فـاقرئي عليـه السلام، ومريه يثبت عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل قال: هل أتـاكم مـن أحـد؟ قالـت: نعـم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنـت عليـه، فسـألني عنـك فأخبرتـه، فسـألني كيـف عيشـنا فأخبرته أنا بخير، قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم هـو يقـرأ عليـك السـلام، ويـأمرك أن تثبت عتبة بابك، قال ذاك أبي، وأنت العتبة أمرني أن أمسكك....**"[2].

وأكثر ما تظهر غرابته من ألفاظ في هذا الحديث هو قولـه " قـولي لـه يغيـر عتبـة بابه"، وقوله " مريه يثبت عتبة بابه" وقـد فهمـت الزوجتـان كـلام إبـراهيم υ لكنهمـا لـم تفهما المراد منه، وفهمه إسـماعيل υ، والشـاهد فـي الحـديث أن الزوجتـان نقلتـا الكـلام بحرفيته باللغة العربية التي تتكلمانها، معع أنهما لم تفهما المـراد مـن الكنايـة، وهـو كنايـة

---

[1] يقال خلوت بالشيء واختليت به إذا لم أخلطه بغيره، وفي حديث أبيّ: "**ليس أحد يخلو على اللحم والماء بغير مكة إلا اشتكى بطنه**". أنظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج6، ص405.

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأنبياء، باب يزفون وهو النسلان في المشي، ح3184. وانظر أيضا بيان طرق الحديث: ابن حجرالعسقلاني، **فتح الباري**، ج6. ص401.

عن تطليق الزوجة الأولى واستبقاء الثانية، ولو فهمت الأولى معنى الكلام لما أوصلته، وقد فهم إسماعيل υ المراد من الكناية.

المطلب الثالث: زوجاته.

أولى زوجاته υ هي سارة ابنة ملك حرّان، والمشهور أنها ابنة عمه هاران الذي تُنسب إليه حرّان[1]، وقد ورد ذكر سارة رضي الله عنها في الأحاديث النبوية الشريفة وسيأتي ذكر الحديث في موضعه إن شاء الله تعالى. وقد ذهب بعض العلماء إلى القول بنبوتها هي وأم موسى ومريم عليهن السلام إلا أن التحقيق يثبت أنهن صديقات رضي الله عنهن وأرضاهن[2]. ودليل ذلك قوله تعالى {**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ**}[3] فاللفظ واضح لا يحتاج إلى كبير جهد في التفسير وقد أكده الله تعالى في موضعين آخرين من القرآن الكريم[4]. وقد كان إبراهيم عليه السلام يحبها حبا شديدا لدينها وقرابتها منه وحسنها الباهر[5]. وهي العقيم التي ذكرها الله تعالى في كتابه { **فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ**}[6] وبشرها بإسحاق ويعقوب {**وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ**}[7]، وماتت سارة بقرية حبرون التي في أرض كنعان، وقد جاء في معجم البلدان للحموي: "حبرون بالفتح ثم السكون وضم الراء وسكون الواو ونون: اسم القرية التي فيها قبر إبراهيم الخليل υ بالبيت المقدس، وقد غلب على اسمها الخليل، ويقال لها أيضا حبرى.

---

[1] ابن كثير، **قصص الأنبياء**، ص116.

[2] المصدر السابق، ص118.

[3] الأنبياء، 7

[4] يوسف، 109 والنحل، 43

[5] ابن كثير، **قصص الأنبياء**، ص119.

[6] الذاريات، 29

[7] هود، 71

وقد روي عن كعب الأحبار[1]: أن أول من مات ودفن في حبرى سارة زوجة إبراهيم υ، وأن إبراهيم خرج لما ماتت يطلب موضعا لقبرها فقدم على صفوان وكان على دينه وكان مسكنه ناحية حبرى، فاشترى الموضع منه بخمسين درهما، وكان الدرهم في ذلك العصر خمسة دراهم، فدفن فيه سارة، ثم دُفن فيه إبراهيم إلى جنبها"[2]. وقد ذكر في موضع آخر من كتابه الاسم الحديث لحبرون: "الخليل اسم موضع وبلدة فيها حصن وعمارة وسوق بقرب البيت المقدس، بينهما مسيرة يوم، فيه قبر الخليل إبراهيم υ في مغارة تحت الأرض، وهناك مشهد وزوار وقوام في الموضع، وضيافة للزوار، وبالخليل سمي الموضع، واسمه الأصلي حبرون، وقيل حبرى، وفي التوراة: أن الخليل اشترى من عفرون بن صوحار الحيثي موضعا بأربعمائة مثقال فضة ودفن فيه سارة"[3]. وكذا قال الطبري[4].

أما نصوص التوراة التي تحدثت عن موتها ψ فقد ذكرت أن إبراهيم υ اشترى المغارة من رجل يُدعى عفرون بأربع مائة شاقل، وهي العملة الإسرائيلية التي نتداول بها اليوم، وربما تكون إعادة تداولها في وقتنا الحالي من باب ادّعاء اليهود لحقهم في أرضنا حيث جاء في سفر التكوين: "**فَسَمِعَ إِبْرَاهِيمُ لِعِفْرُونَ، وَوَزَنَ إِبْرَاهِيمُ لِعِفْرُونَ الْفِضَّةَ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي مَسَامِعِ بَنِي حِثٍّ. أَرْبَعَ مِئَةِ شَاقِلِ فِضَّةٍ جَائِزَةٍ عِنْدَ التُّجَّارِ**"[5]،

---

[1] هو كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق: تابعي. كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة في دولة عمر، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيرا من أخبار الأمم الغابرة، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة. وخرج إلى الشام، فسكن حمص، وتوفي فيها سنة 32هـ، عن مئة وأربع سنين. أنظر: الزركلي، **الأعلام**، ج5، ص228.

[2] الحموي، ياقوت بن عبد الله أبو عبد الله (626هـ)، **معجم البلدان**، بيروت: دار الفكر، ج2، ص212.

[3] المصدر السابق، ج2، ص387.

[4] الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر (310هـ)، **تاريخ الأمم والملوك**، عمان: بيت الأفكار الدولية، 2004م، ج1، ص187.

[5] الصوري، الكاهن إسحاق أبو الحسن السامري، **التوراة السامرية**، ط1، القاهرة: دار الأنصار، 1398هـ- 1978م، ترجمها من العبرية إلى العربية الكاهن أبو الحسن السامرية في مدينة نابلس. سفر التكوين 23: 16

وقد دفنها في المكان المسمى "**وَبَعْدَ ذلِكَ دَفَنَ إِبْرَاهِيمُ سَارَةَ امْرَأَتَهُ فِي مَغَارَةِ حَقْلِ الْمَكْفِيلَةِ أَمَامَ مَمْرَا، الَّتِي هِيَ حَبْرُونُ، فِي أَرْضِ كَنْعَانَ**"[1].

أما زوجته الثانية فهي هاجر المصرية الجارية التي أهداها ملك مصر الفاجر لسارة[2] –وسيأتي ذكر ذلك بإذن الله تعالى– وهي أم إسماعيل υ الابن الأكبر لإبراهيم υ الذي بشر به لست وثمانين سنة خلت من عمره، ثم أمر بإسكانه في جبال فاران وهي أرض مكة المكرمة، وهي حينئذ خالية من أية حياة، وهو البارّ الذي بنى البيت العتيق مع والده[3]، قال تعالى على لسانه υ (**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ**) [4] وهو الذي وصفه ربه عز وجل بصدق الوعد فقال {**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً**}[5]، وقد توفيت هاجر في مكة المكرمة، وهي ابنة تسعين سنة وقد دفنها إسماعيل υ في الحجر[6]، ثم دُفن إسماعيل υ في الحجر بجانب أمه[7]، إلا أن التوراة تذكر أن هاجر ψ وابنها تاها في صحراء بئر السبع "**فَبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ صَبَاحًا وَأَخَذَ خُبْزًا وَقِرْبَةَ مَاءٍ وَأَعْطَاهُمَا لِهَاجَرَ، وَاضِعًا إِيَّاهُمَا عَلَى كَتِفِهَا، وَالْوَلَدَ، وَصَرَفَهَا. فَمَضَتْ وَتَاهَتْ فِي بَرِّيَّةِ بِئْرِ سَبْعٍ**"[8]. وهذا منافٍ للصحة تماما، وعارٍ عنها أيضاً، فقد ثبت في كتاب الله تعالى إسكانه لزوجته وابنه مكةَ المكرمة، وهذا ما أجمع عليه العلماءن وهو واضح الدلالة في قوله تعالى [**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**][9]. وبعد وفاة سارة تزوج بامرأة اسمها قنطورا بنت يقطن الكنعانية فولدت له ستة: مدين وزمران

---

[1] التوراة، سفر التكوين 23: 19

[2] ابن كثير، **قصص الأنبياء**، ص188.

[3] المصدر السابق، ص120–123.

[4] إبراهيم، 37

[5] مريم، 54

[6] ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج70، ص145.

[7] المقدسي، مطهر بن طاهر (355هـ)، **البدء والتأريخ**، بورسعيد: مكتبة الثقافة الدينية، ج3، ص61.

[8] التوراة، **سفر التكوين** 21 : 14

[9] إبراهيم، 37

وسرج ويقشان ونشق ولم يسمّ السادس، ثم تزوج بعــدها حجــون بنــت أمــين، فولــدت لـــه خمسة: كيان وسورج وأميم ولوطان ونـــافس[1]. والظـــاهر أن أحــدا مــن هــؤلاء الأولاد لــم ينجب، وهي معلومات لا دليل عليها.

المطلب الرابع: أولاده.

أنجب إبراهيم υ إسماعيل υ وهو ابن ستٍ وثمانين ســنة، وقــد حصــل ذلــك بعــد أن هاجر υ من بلاد قومه فسأل ربه أن يهب لــه ولــدا صـــالحا قـــال تعـــالى علـــى لســـانه {**رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ**}[2]، فوهبه الله إسماعيلυ، مــن هـــاجر القبطيـــة[3]، والـــذي كـــان محمد ε آخر الرسل والأنبياء وخاتمهم من نسله.

ثم بعد ذلك بثلاث عشرة سنة بشره الله تعالى بإســحاق υ الــذي ســينجبه مــن ابنـــة عمه سارة، ثم ينجب هو يعقوب υ[4] الذي كـــان مــن نســله يوســف υ وأخوتـــه الأســـباط، وموسى υ وهارون وداود وسليمان، وأيوب ويونس، وزكريـــا ويحيـــى وعيســـى، وغيـــرهم من الرسل والأنبياء منهم من ذكره الله ومنهم مـــن لـــم يـــذكره [**وَلَقَـــدْ أَرْسَـــلْنَا رُسُـــلاً مِـــنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُـــصْ عَلَيْـــكَ**][5] صـــلوات الله علـــيهم وعلـــى تابعيهم {**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلّاً هَدَيْنَا وَنُوحاً هَـــدَيْنَا مِـــنْ قَبْـــلُ وَمِـــنْ ذُرِّيَّتِـــهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**}[6].

المطلب الخامس: الحياة السياسية وقت ولادته.

---

[1] ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله (230هـ)، **الطبقات الكبرى**، ج1، ص17.

[2] الصافات، 100

[3] ابن كثير، **قصص الأنبياء**، ص149.

[4] المصدر السابق، ص149

[5] غافر، 78

[6] الأنعام، 84

يقول الدكتور أحمد شلبي[1]: كانت مصـــر وبابـــل دولتـــان مزدهرتـــان, قامـــت فيهمـــا أرقى حضارات العصور القديمة, وقد تـــأثرت أرض كنعـــان بنتـــائج الحـــروب والمنافســـات بين الدولتين وكانت السيطرة على أرض كنعان وسكانها للغالـــب منهمـــا, وممـــا تـــدل عليـــه الآثار البابلية أنها هي الحضارة التي كانت تسيطر علـــى أرض كنعـــان فـــي الألـــف الثالثـــة قبل الميلاد لذا فقد تأثرت حضارة الكنعانيين بحضارة بابل[2].

وقد ولد إبراهيم υ في عهد نمرود بن كنعان بن كـــوش بـــن ســـام بـــن نـــوح الـــذي كان حاكماً مستبداً جباراً استخف قومه فنصب نفسه إلهاً لهـــم فأطـــاعوه إضـــافةً إلـــى عبـــادة الأصنام والتماثيل[3]. ولم لا فالأصنام الناطقـــة أفضـــل مـــن الأصـــنام الجامـــدة كمـــا يقـــول الشيخ زين العابدين[4].

وإن كانت كلها أصنام ففي النتيجة كلها تحتاج لمـــنجٍّ مـــن عـــذاب الله يـــوم القيامـــة، ومع أن التفاضل لا يقع إلا فـــي الخيـــر إلا أننـــي أرى أن الأصـــنام الجامـــدة أفضـــل مـــن الناطقة، مخالفةً لكلام الشيخ زين العابدين السابق؛ لأن الصـــنم الجامـــد لـــم يـــدّع الألوهيـــة، ولا يتجرّأ على ذلك، أما الصنم الناطق فهو جاحد، متعدٍّ علـــى الـــذّات الإلهيـــة، مـــع علمـــه بضعفه وقلّة حيلته، فهو ينسى أصله الترابيّ، ويُنَصِّب نفســـه إلهـــاً وأنّـــى لـــه ذلـــك؟! ولـــم تكن هذه هي المرة الوحيدة التي يدّعي فيها ملك الألوهية فقـــد فعلهـــا فرعـــون، وهـــي عـــين ما سيفعله الدجّال آخر الزمان، أعاذنا الله وإيـــاكم منـــه، فهـــي إذن ظـــاهرة قديمـــة متجـــددة، منشؤها الفراغ الروحي الذي يعاني منه المرء فيحاول التغلب عليـــه مثبتـــاً لنفســـه مكانـــةً لا تليق به؛ لأنه دونها، مما يعظّم في نفسه المريضـــة الشـــعور بعظمتهـــا الكاذبـــة، ومـــن ثـــمّ

---

[1] هو الدكتور أحمد محمد جاب الله شلبي ولد بقرية عليم 1915م، تلقى دراسته في الأزهر الشريف وتخرج في كلية دار العلوم جامعة القاهرة، حصل على درجة الماجستير والدكتوراه من لندن وكمبردج مؤلفاته تزيد عن خمسين كتابا وأهمها: موسوعة التاريخ الإسلامي، موسوعة الحضارة الإسلامية. حصل على العديد من الأوسمة ومنها وسام الجمهورية من الطبقة الأولى والثانية في عهد الرئيس محمد حسني مبارك. أنظر: موقع الدكتور أحمد شلبي ahmedshalbyschool.110mb.com

[2] شلبي، أحمد، **مقارنة الأديان اليهودية**، ط 8، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ص44.

[3] الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ج1، ص142.

[4] زين العابدين, **منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله**, ص90.

فإنه يحاول إقناع غيره بهذه المكانة التي توهّم وجودهـا، وبمـا أن النـاس لـن يؤمنـوا لـه بهذه البساطة؛ ذلك لأن طبيعة البشر رفض الانصياع إلـى إنسـان مـثلهم إلا بامتلاكـه قـوة وسيطرة، فإنه يستخدم هذه السيطرة ليتخذه الناس إلهاً ولو عن غير قناعة.

هذا ويذكر الإمام الشهرسـتاني فـي كتابـه الملـل والنحـل أن النـاس فـي زمـن إبراهيم υ كانوا مختلفين في أديانهم، وعقائدهم، وأشهر فرقهم اثنتان[1]:

الأولى فرقة الصابئة.

والثانية فرقة الحنفاء[2].

ومن الطبيعي أن يكون حاكم هـذه الدولـة أو ملكهـا الجبـار المتألّـه طاغيـة مـن طواغيت عصره، كيف لا وقد كـان مـن السـهل عليـه جـداً أن يصـدر أمـراً بـإحراق إبراهيم υ {**قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ**}[3]، كيـف لا وقـد ادعـى الربوبية والإحياء والإماتة {**قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ**}[4].

المطلب السادس: هجراته.

هاجر إبراهيم υ هجرتين هجـرة بالقلـب وهـي الأسـاس وهجـرة بالجسـد ولكـل مقصودها؛ فالهجر –حسب ما يقـول ابـن القـيم– ضـد الوصـل، ولابـد مـن أن يكـون المهاجَر أحب إلى قلب المهاجِر من المهجور، فمن يهاجر بقلبـه مـن محبـة غيـر الله إلـى محبته ومن عبودية العباد إلى عبوديته، ومن خـوف غيـره ورجائـه والخضـوع لـه إلـى خوفه ورجائه والخضوع له وحده، يسمى مهاجرا[5]. وعلـى هـذا الاعتبـار فـإن لكـل نبـي هجرة واحدة على الأقل، تتمثل في اعتزال دين قومـه، ولسـيدنا إبـراهيم υ هجـرة بالقلـب

---

[1] الشهرستاني, محمد بن عبد الكريم أبو الفتح (548هـ)، **الملل والنحل**، القاهرة: مؤسسة الحلبي، ج2. ص35.

[2] كان يقال للرجل إذا أَسْلَـم فـي زمن النبـي: قد صَبَأَ: عَنَوْا أَنه خرج من دين إِلـى دين. أنظر: إبن منظور، **لسان العرب**، مادة صبأ ج1. ص107. قد حَنَفَ وتَـحَنَّفَ. والدينُ الـحنـيف: الإِسلام، و الـحَنـيفِـيَّة: مِلة الإِسلام. والحنفاء: جَمْع حَنـيفٍ، وهو الـمائل إِلـى الإِسلام الثابتُ علـيه. المصدر السابق نفسه، مادة حنف ج9. ص58.

[3] الأنبياء، 68

[4] البقرة، 285

[5] ابن القيم، محمد بن أبي بكر (751هـ)، **الرسالة التبوكية**، زاد المهاجر إلى ربه، ص9 .

تمثلت بالاعتزال. قال تعالى {**وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَـدْعُونَ مِـنْ دُونِ اللَّـهِ وَأَدْعُـو رَبِّـي عَسَـى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيّاً**}[1]. فبعد أن يئس مـن اسـتجابة أبيـه وقومـه لـه واسـتمرارهم على الكفر، قرر أن يعتزلهم بقلبه، إذ أن الأمر بهجرة الجسد لم يكـن قـد صـدر بعـد، وقـد ورد في القرآن الكريم أمر للرسول ε باعتزال المشركين، فقـال تعـالى {**خُـذِ الْعَفْـوَ وَأْمُـرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَـنِ الْجَـاهِلِينَ**}[2]. إلا أن الاعتـزال لا يعنـي الانعـزال عـن المجتمـع وتركه أسير الرذيلة والفسق، وإنما يعنـي هجـر محرمـات المجتمـع والتـذكير بـالله قـال تعالى {**فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ # وَذَكِّـرْ فَـإِنَّ الـذِّكْرَى تَنْفَـعُ الْمُـؤْمِنِينَ**}[3] حتـى مـع المنافقين الذين هم أشد الناس خطـرا علـى الـدعوة الإسـلامية أمـر الله بـاعتزال فكـرهم والاستمرار بدعوتهم علّ الله يهديهم {**أُولَئِكَ الَّـذِينَ يَعْلَـمُ اللَّـهُ مَـا فِـي قُلُـوبِهِمْ فَـأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً**}[4]، وقد فهـم إبـراهيم υ هـذا المعنـى فطبقـه في تعامله معهم.

قال الإمام الطبري: "وقوله (وأعتـزلكم ومـا تـدعون مـن دون الله) مـن الأوثـان والأصنام (وأدعو ربي)، يقول: وأدعـو ربـي بـإخلاص العبـادة لـه وإفـراده بالربوبيـة، (عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا)، يقول عسى أن لا أشـقى بـدعاء ربـي، ولكـن يجيـب دعائي ويعطيني ما أسأله"[5].

وقال الإمام ابن كثير رحمـه الله تعـالى: "(وأعتـزلكم ومـا تـدعون مـن دون الله وأدعو ربي) أي أجتنبكم وأتبرأ منكم ومـن آلهـتكم التـي تعبـدونها مـن دون الله (وأدعـو ربي) أي وأعبد ربي وحده لا شريك له (عسـى أن لا أكـون بـدعاء ربـي شـقيا) وعسـى هذه موجبة لا محالة فإنه عليه السلام سيد الأنبياء بعد محمد ε"[6].

---

[1] مريم، 48

[2] الأعراف، 199

[3] الذاريات، 54، 55

[4] النساء، 63

[5] الطبري، **جامع البيان**، ج16، ص92.

[6] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج3، ص125.

وإن الإنسان إذا ما اعتزل الناس وكفرهم ومعاصيهم لوجه الله تعالى فإن الله يكافئه ويعوضه، قال تعالى {**فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلّاً جَعَلْنَا نَبِيّاً**}[1]، وربما يكون في هذا كله ما يصبّر قلوب الدّعاة في عصرنا الحالي، الذي يبدو فيه الإنسان الذي يدعو إلى الله بإنكار المنكرات المتعددة كأنه غريب، مما يضطره أحيانا إلى اعتزال الناس وأفكارهم، مع أن الأصل المخالطة والتوجيه وعدم اليأس، فقد قال رسول الله ρ: "**الْمُسْلِمُ إذا كان مُخَالِطًا الناس وَيَصْبِرُ على أَذَاهُمْ خَيْرٌ من الْمُسْلِمِ الذي لَا يُخَالِطُ الناس ولا يَصْبِرُ على أَذَاهُمْ**"[2].

قال الإمام القرطبي: وقوله عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا قيل أراد بهذا الدعاء أن يهب الله تعالى له أهلا وولدا يتقوى بهم حتى لا يستوحش بالاعتزال عن قومه ولهذا قال فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحق ويعقوب أي آنسنا وحشته بولد[3].

وبعد اعتزاله قومه جاءه الأمر بالهجرة الحقيقية أي البدنية، وذلك بعد أن آمن له ابن أخيه لوط υ[4] {**فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**}[5]. وقد كانت الهجرة الأولى إلى بيت المقدس، ويدل على ذلك قوله تعالى {**وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ**}[6]، وقد ذكر غير واحد من العلماء أن هذه الأرض هي بلاد الشام وتحديدا بيت المقدس[7].

وقد دلت الآثار على أن الأرض المباركة هي بيت المقدس، فعن أبي بن كعبψ قال في قوله تعالى: {**وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ**}[8]

---

[1] مريم، 49

[2] الترمذي، **جامع الترمذي**، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب 51، ح2507.

[3] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن الكريم**، ج11، ص113.

[4] وهو لوط بن هاران بن تارح وهو آزر: **ابن كثير**، **قصص الأنبياء**، ص149.

[5] العنكبوت، 26

[6] الأنبياء، 71

[7] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج11، ص305، وانظر أيضا الطبري، **جامع البيان**، ج17، ص47.

[8] الأنبياء، 71

قال: الشام وما من ماء عذب إلا يخـــرج مـــن تحـــت الصـــخرة، وكـــذا قـــال أبـــو العاليـــة[1] أيضا.

وقال قتادة: كانا بأرض العراق فأنجاهما الله إلى الشـــام وكـــان يقـــال: للشـــام أعقـــار دار الهجرة وما نقص من الأرض زيد في الشام وما نقص مـــن الشـــام زيـــد فـــي فلســـطين وكان يقال: هي أرض المحشر والمنشـــر وبهـــا ينـــزل عيســـى بـــن مـــريم υ وبهـــا يهلـــك المسيح الدجال، وقال كعب الأحبار: في قوله إلى الأرض التـــي باركنـــا فيهـــا للعـــالمين إلـــى حران، وقال السدي: انطلق إبراهيم ولوط قِبَل الشام فلقي إبـــراهيم ســـارة وهـــي ابنـــة ملـــك حران وقد طعنت على قومها في ديـــنهم فتزوجهـــا علـــى أن لا يغربهـــا. رواه ابـــن جريـــر وهو غريب والمشهور أنها ابنة عمه وأنه خرج بها مهـــاجرا مـــن بـــلاده[2]. وقـــد ورد أيضـــا في تفسير الآية نفسها: يريد نجينا إبراهيم ولوطا إلـــى أرض الشـــام وكانـــا بـــالعراق وكـــان إبراهيم υ عمه، قاله ابن عباس وقيـــل لهـــا مباركـــة لكثـــرة خصـــبها وثمارهـــا وأنهارهـــا ولأنها معادن الأنبياء والبركة ثبوت الخير[3].

وهذه الآثار كلها أقـــوال للصـــحابة τم وهـــي آثـــار لا تحتمـــل الاجتهـــاد، وتبلـــغ درجة الرفع في بيـــان فضـــيلة أرض الشـــام وأنهـــا مهـــاجَرإبراهيم υ ، وقـــد وردت أيضـــا أحاديث مرفوعة تؤكد هذه المعاني منها:

ما ورد عن عبد الله بـــن عمـــروτ؛ قـــال: ســـمعت رســـول الله ε يقـــول: "**ســـتكون هجرة بعد هجرة فخيار أهل الأرض ألـــزمهم مهـــاجر إبـــراهيم ويبقـــى فـــي الأرض شـــرار أهلها تلفظهم أرضوهم وتقذرهم نفس الـــرحمن وتحشـــرهم النـــار مـــع القـــردة والخنـــازير**

---

[1] رُفَيْعٌ أَبُو الْعَالِيَةِ أَدْرَكَ أَيَّامَ النَّبِيِّ ρ، وقِيلَ: اسمه رفيع بن مهران الرياحي من التابعين، سئل مرة: أَدْرَكْتَ النَّبِيَّ ρ؟ قَالَ: لا، جِئْتُ بَعْدَهُ بِسَنَتَيْنِ أَوْ ثَلاثَةٍ " أنظر: العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي(852هـ)، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ط1، بيروت: دار الفكر، 1421هـ– 2001م، ج2، ص191.

[2] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج 3، ص186.

[3] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن الكريم**، ج11، ص305.

تبيت معهم حيثما باتوا وتقيل معهم حيثما قالوا"[1]، والشاهد هنا أن بلاد الشام وفلسطين تحديدا هي مهاجَر إبراهيم υ لأنها خيرة الله من أرضه يجتبي إليها خيرة عباده كما جاء في حديث عبد الله بن حوالة الأزدي[2] قال: قال: رسول الله ρ: "**ثم سيصير الأمر إلى أن تكون جنود مجندة جند بالشام وجند ظاهرا وجند بالعراق فقال ابن حوالة خر لي يا رسول الله إن أدركت ذاك قال عليك بالشام فإنه خيرة الله من أرضه يجتبي إليه خيرته من عباده فإن أبيتم فعليكم بيمنكم واسقوا من غدركم فإن الله قد توكل لي بالشام وأهله**"[3].

ويقول الدكتور أحمد شلبي من خلال تتبعه للمراجع ودراسة الآثار اللغوية والاجتماعية، أن خط السير كلن أشبه بجزء من دائرة، فقد كان الاتجاه إلى الشمال حتى الاتصال بمناطق الآراميين، ثم الانحدار إلى الجنوب حتى الدخول في أرض كنعان[4].

إن المتتبع لأقوال العلماء يدرك أنهم اختلفوا اختلافاً بيناً في تحديد خط سير سيدنا إبراهيم υ، وربما يرجع هذا الاختلاف إلى تغير أسماء المدن والبلدان منذ ذلك الحين وحتى زمن التأريخ، وقد يرجع أيضا إلى ندرة النصوص الصحيحة في هذا الشأن، وقد يرجع كذلك إلى كثرة الاجتهادات الواردة عن الصحابة والعلماء نظرا لتعدد الأفهام وتفاوت القدرات على تحليل النصوص، وبالتالي فإنني وجدت نصوصا كثيرة تتكلم عن خط هجرته الذي يبدأ من بابل، وربما تكون هذه هي نقطة البداية التي اتفق عليها الجميع، ثم اختلفوا في اسم المدينة الأولى التي نزلها فقيل حران قرب دمشق،

---

[1] أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (275هـ)، **سنن أبي داود**، بيروت: دار الفكر، كتاب الجهاد، باب سكنى الشام، ح2482. قال ابن حجر الحديث لا بأس به وفيه شهر بن حوشب وهو صدوق كثير الإرسال والأوهام. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج11، ص380.

[2] هو عَبْدُ اللهِ بْنُ حَوَالَةَ الْأَزْدِيُّ أبو حَوَالَةَ سَكَنَ الْأُرْدُنَّ، له صحبة. أنظر: الأصبهاني، **معرفة الصحابة**، ج3، ص1622.

[3] الشيباني، أحمد بن حنبل أبو عبد الله (241هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مصر: مؤسسة قرطبة، ج4، ص110. ح17046. والحديث ضعيف لأن فيه بقية بن الوليد وهو كثير التدليس عن الضعفاء. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب**، ص65.

[4] شلبي، أحمد، **مقارنة الأديان اليهودية**، ص5148.

وقد خالف ابن عساكر فروى عن أبي الحسين الرازي: أنه υ لم يتجه إلى حرلان، وهي قرية من غوطة دمشق، بينها وبين دمشق اثنا عشر ميلا، وهي حرلان بلام ألف من أرض دمشق، وليست هي حران بألف التي في أرض الجزيرة، كذا قال: وإنما هاجر إبراهيم υ من أرض بابل إلى حران التي بأرض الجزيرة والله أعلم.

وذكر أيضا عن عروة بن الزبير ψ قوله: "فانطلق إبراهيم υ فنزل أرض فلسطين، ونزل لوط سدوم، ونزل هاران حران، وإنما سميت حران لأن هاران نزلها وذلك قبل أن يبوئ الله لإبراهيم البيت"[1]. ومن المعلوم عندنا كمسلمين أنه υ هاجر بزوجته سارة إلى مصر حيث وهبها الملك الجبار هاجر أو آجر كجارية وهبتها هي بعد ذلك لإبراهيم υ، ثم هاجر هو بها وابنها إسماعيل υ إلى مكة المكرمة[2].

وبالتالي فإن هجراته υ حسب ما أرى كانت: من بابل أرض مولده إلى فلسطين، مرورا بحرّان لكنه لم يسكنها، كما جاء في الحديث السابق، مصداقا لقوله تعالى {**وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ**}[3]، ثم هاجر بسارة إلى مصر هجرة دعوة إلى الله تعالى، فحصل معهما ما سيرد ذكره في موضعه إن شاء الله فعادا بهاجر القبطية إلى فلسطين، ثم هاجر بهاجر وابنها إسماعيل υ إلى مكة المكرمة، وعاد إلى فلسطين بأمر من الله تعالى، فكانت على ذلك ثلاثة أضرب: فالأولى فراراً بالدعوة، والثانية نشراً للدين، والثالثة عمارةً للأرض. والله تعالى ورسوله أعلى وأعلم.

المطلب السابع: وفاته.

إن الموت حق على كل إنسان، وكذلك الأنبياء والرسل، فقد كتب الله تعالى عليهم الموت، الذي هو نهاية كل حي، وقد اختلف العلماء في الطريقة التي قُبض بها إبراهيم υ ولا يوجد مرجِّح لرواية على أخرى، وإنما هي اجتهادات للتوفيق بين

---

[1] ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج19، ص141– 145. بتصرف

[2] المصدر السابق، ص145.

[3] الأنبياء، 71

الروايات. والطريقة التي قبض فيها υ وليس فيها اختلاف هـي مـا روي عـن سـعيد بـن جبير قال: "كان الله يبعث ملك الموت إلى الأنبياء عيانـا، فبعثـه إلـى إبـراهيم υ ليقبضـه، فدخل دار إبراهيم في صورة رجل شاب جميل، وكان إبـراهيم رجـلا غيـورا، فلمـا دخـل عليه حملته الغيرة على أن قال له: يا عبـد الله مـن أدخلـك داري؟ قـال: أدخلنيهـا ربهـا، فعرف إبراهيم υ أن هذا الأمر حدث، قال: يا إبراهيم إنـي أمـرت بقـبض روحـك، قـال: فأمهلني يا ملك الموت حتى يدخل إسحاق، فأمهله، فلمـا دخـل إسـحاق قـام إليـه فـاعتنق كل واحد منهما صاحبه، فرق لهما ملك المـوت، فرجـع إلـى ربـه فقـال: يـا رب رأيـت خليلك جزع من الموت، فقال: يا ملك الموت فأت خليلـي فـي منامـه فاقبضـه قـال فأتـاه في منامه فقبضه"[1].

وقد اختُلف في عمره وقت وفاته υ اختلافا واضـحا بـين العلمـاء، فقـد جـاء فـي الطبقات الكبرى لابن سعد: عن أبي هريرة ψ قـال: "**اختـتن إبـراهيم υ وهـو ابـن مائـة وعشرين سنة ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة**"[2]، لكن هذا الحـديث يعـارض مـا جـاء فـي صحيح مسلم عن أبي هريرة ψ قال: قال رسول الله ρ: "**ثـم اختـتن إبـراهيم النبـي وهـو ابن ثمانين سنة بالقـدوم**" [3]. وكلاهما مـن حـديث أبـي هريـرة ψ، إلا أنّ الأول موقـوف والثاني مرفوع، والأولى تقديم المرفـوع، وعلـى أيّ حـال فإنـه لا يضـيرنا كثيـرا عـدم معرفة تاريخ وفاته في هذا البحـث، إذ أنّ هـذه الأمـور ممـا اسـتأثر الله تعـالى بعلمهـا، وهي مما قال فيه العلماء: العلم بها لا ينفع، والجهل بها لا يضرّ.

وقد ذُكر في التوراة أنه اختتن وعمره تسـعٌ وتسـعون سـنة " **وَكَـانَ إِبْـرَاهِيم ابْـنَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً حِينَ خُتِنَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِـهِ**"[4]، وأنـه قـد مـات وعمـره مائـة وخمـس

---

[1] ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج6، ص256. والحديث حسن لأن فيه يعقوب بن عبد الله بن سعد الأشعري أبو الحسن القُمي بضم القاف وتشديد الميم صدوق يهم من الثامنة مات سنة 74هـ. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب** ص537.

[2] ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج1، ص20.

[3] النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري أبو الحسين (261هـ)، **صحيح مسلم**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل، ح2370.

[4] التوراة، سفر التكوين، 24: 17

وسبعون سنة، وهي رواية مختلفة تماما عن الروايات الإسلامية " **وَهذِهِ أَيَّامُ سِنِي حَيَاةِ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي عَاشَهَا: مِئَةٌ وَخَمْسٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً**"[1]، " **وَأَسْلَمَ إِبْرَاهِيمُ رُوحَهُ وَمَاتَ بِشَيْبَةٍ صَالِحَةٍ، شَيْخًا وَشَبْعَانَ أَيَّامًا، وَانْضَمَّ إِلَى قَوْمِهِ**"[2] ، وقال ابن حجر: مات وعمره مائة وعشرون سنة[3]. كما ذُكر أنه دفن في المكان الذي دُفنت في سارة "**هُنَاكَ دُفِنَ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ امْرَأَتُهُ في الْحَقْلِ الَّذِي اشْتَرَاهُ إِبْرَاهِيمُ مِنْ بَنِي حِثٍّ**"[4].

وربما يكون جلّ اهتمامنا بأبينا وسيدنا إبراهيم υ هو دعوته، وما يُستنبط منها من حكم جليلة تليق بقدره υ، ولا نغفل عن ذكر ما جاء في ثوابه عند الله عز وجل، حتى لا نحيد عن خطه ولا عن خط نبينا ρ قيد أنملة، رجاء أن يجمعنا الله بهما وبأنبيائه ورسله يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، فعن أبي هريرة ψ قال: قال رسول الله ρ: "**إن في الجنة قصرا من درة لا صدع فيها ولا وهن أعده الله لخليله إبراهيم عليه السلام نزلا**"[5].

المبحث الثاني: معبودات قومه:

لقد تعددت المعبودات التي توجه إليها قوم إبراهيم υ، ولم يُذكر عنه أنه وقع في عبادة أيٍّ منها، حاله كحال سائر الأنبياء والرسل υم، فهم أكمل الناس خُلُقاً، وأفضل من يُتّخذُ أسوةً عبر تاريخ البشرية، وقد جاء هذا المبحث ليبيّن معبودات قوم إبراهيم υ في عدة مطالب هي:

المطلب الأول: الأصنام.

---

[1] التوراة، سفر التكوين، 25: 17

[2] التوراة، سفر التكوين، 25: 8

[3] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج6، ص391.

[4] التوراة، سفر التكوين، 25: 10

[5] الطبراني، سليمان بن أحمد أبو القاسم (360هـ)، **المعجم الأوسط**،، القاهرة: دار الحرمين، 1415هـ، ج8، ص107، ح8114.

لقد كانت الأصنام معبودات لكثيـــر مـــن الأقـــوام، ولـــم يكـــن قـــوم إبـــراهيم υ ببعيد عن هذه المعبودات، قال تعالى {**وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْـرَاهِيمَ رُشْـدَهُ مِـنْ قَبْـلُ وَكُنَّـا بِـهِ عَالِمِينَ# إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ**}[1].

تبين الآية الكريمة الأسلوب الراقـــي الـــذي اســـتخدمه إبـــراهيم υ فـــي الحـــوار مع أبيه وقومه؛ فقد بدأ بسؤال الحائر عن هذا المعبـــود الـــذي يبـــدو للنـــاظر إليـــه مـــن الوهلة الأولى أنه لا يضر ولا ينفع، المندهش من خضوع العاقـــل لغيـــر العاقـــل، وقـــد كانت أسئلته υ غاية في الذكاء والفطنـــة، مـــن حيـــث الاستحضـــار والإلقـــاء ومناقشـــة الإجابات.

وقد جاء في الجامع لأحكـــام القـــرآن: فـــي تفســـير قولـــه تعـــالى ولقـــد آتينـــا إبراهيم رشده: قال الفرّاء[2]: أي أعطيناه هداه من قبـــل؛ أي مـــن قبـــل النبـــوة، أي وفقـــاً للنظر والاستدلال لمّا جنّ عليه الليل فرأى الـــنجم والشـــمس والقمـــر، وقيـــل مـــن قبـــل أي من قبل موسى وهارون عليهما السلام، ويكـــون الرشـــد علـــى هـــذا التفســـير هـــو النبوة، وعلى التفسير الأول أجمع أكثر أهـــل العلـــم، كمـــا قـــال الله تعـــالى ليحيـــى υ: {**يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَـبِيّاً**}[3]، وقـــال القرظـــي[4]: رشـــده صـــلاحه، وكنا به عالمين أي: أنه أهلٌ لإيتاء الرشد وصالحٌ للنبوة.

وقوله تعالى إذ قال لأبيه قيل: المعنـــى أي اذكـــر حـــين قـــال لأبيـــه، فيكـــون الكلام قد تم، ثم قوله وكنا به عالمين وقيل: المعنى وكنـــا بـــه عـــالمين إذ قـــال، فيكـــون الكلام متصلا، ولا يوقف على قوله عـــالمين لأبيـــه وهـــو آزر وقومـــه نمـــرود ومـــن اتبعه، ما هذه التماثيـــل أي: الأصـــنام، والتمثـــال: اســـم موضـــوع للشـــيء المصـــنوع

---

[1] الأنبياء، 51/ 52

[2] هو الحسين بن مسعود بن محمد، الفراء، أو ابن الفراء، أبو محمد، ويلقب بمحيي السنة، البغوي: فقيه، محدث، مفسر. نسبته إلى بغا من قرى خراسان، له التهذيب في فقه الشافعية، وشرح السنة في الحديث، ولباب التأويل في معالم التنزيل في التفسير، ومصابيح السنة وغير ذلك. توفي بمرو الروذ سنة 510هـ. أنظر: الزركلي، **الأعلام**، ج2، ص258.

[3] مريم، 12

[4] محمد بن كعب هو: محمد بن كعب بن سُليم القرَظيّ المدني وهو ثقة عالم، مات سنة 120هـ أصله من بني قريظة. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب**، ص438.

مشبها بخلق من خلق الله تعالى، يقال مثلت الشيء بالشيء أي شبهته به، واسم ذلك الممثَّل تمثال، التي أنتم لها عاكفون أي مقيمون على عبادتها، قالوا: وجدنا آباءنا لها عابدين، أي نعبدها تقليدا لأسلافنا، قال: لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين، أي في خسران بعبادتها إذ هي جمادات لا تنفع ولا تضر ولا تعلم[1].

وربما يكون هذا الأسلوب من أنجح الأساليب الدعوية المستفادة من سيرة سيدنا إبراهيم υ، فمن غير الصحّيّ أن يتبع الداعية أسلوبا واحدا ويستمر عليه؛ لأن ذلك يدخل الملل إلى قلوب المدعوين فينفضُّوا عن الداعية، وبالنظر نجده υ قد استخدم أسلوب الحوار، الذي يفتح مجالات متعددة بين المتحاورين، ومن هذه المجالات إظهار مهارة طرح السؤال، الذي يؤدي إلى أن يؤكد المجيب صحة معتقده أو دحضه، وهذا بالضبط ما حصل مع هؤلاء القوم الذين رجعوا إلى أنفسهم وتبين لهم أنهم يظلمونها بعبادة تلك الأصنام وذلك بعد أن حطمها لهم فتى يدعى إبراهيم {**فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ# ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ**}[2]، إلا أن هذه الصحوة لم تدم فقد عادوا مباشرة إلى كِبرهم المهلك، وقرروا حرق نبي الله بلا رحمة ولا هوادة، فالأمر يتعلق بكرامة آلهتهم الصمّاء {**قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ**}[3].

ثم قرر إبراهيم υ بعد ذلك مصارحة أبيه برأيه في معبوده الذي يصنعه بيديه {**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ**}[4]، وبعد المداولات وتأكد إبراهيم υ من إصرار أبيه وقومه على الكفر قرر إعلان البراء منهم {**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ** }[5].

وسيأتي ذكر حواره معهم بشيء من التفصيل في موضعه إن شاء الله تعالى.

المطلب الثاني: الكواكب.

---

[1] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج11، ص296.

[2] الأنبياء، 64/ 56

[3] الأنبياء، 68

[4] الأنعام، 74

[5] الزخرف، 26

انفلت تفكير البشر خلال حقبات زمنية من أي عقال حتى عبدوا النجوم والكواكب والشمس والقمر، وقد ذكر القرآن ما كان من قوم سبأ على لسان هدهد سليمان υ **{وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ}**[1] ولم يغفل القرآن أيضا أن يحرم السجود لهذه الأجرام منعا لعبادتها كما كان في السابق **{وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}**[2]، وربما يجد الباحث في أسباب هذا الانفلات العجيب ما قد يُعذروا به؛ فهم كانوا يفتشون دائما عن إله يُدرك بالحواس؛ ليتوصلوا من خلاله إلى الله الذي خلق السماوات والأرض **{أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}**[3]. هذا مع علمهم الباطن أن هذه الآلهة لا تضر ولا تنفع، فاتجهوا لعبادة الأجرام السماوية نظرا لبعدها وعلوّها وشدة إضاءتها. وانطلاقا من هذا الاعتقاد بنى إبراهيم υ حوارا ذكيا مع قومه فيه استدراج لهم حين قال **{فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ# فَلَمَّا رَأى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ# فَلَمَّا رَأى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ}**[4] .

يتبيّن لنا من النظر في الآيات السابقة أن الأسباب التي تدعو القوم للخضوع لهذه المعبودات هي:

1. ظهورها ليلا عند اشتداد الظلمة.
2. بزوغها وشدة إضاءتها.
3. حجمها الهائل.

---

[1] النمل، 24

[2] فصلت، 37

[3] الزمر، 3

[4] الأنعام، 76– 78

وهذه الأسباب مجتمعة تجعل من لا علم لــه يصـــدق أن لهـــا ســـيطرة معينـــة علـــى العالم بشكل عام، وعلى البشر بشكل خاص، ويعدّ هذا قمـــة فـــي الـــذكاء مـــن إبـــراهيم υ أن يتحدث إليهم بهذا الأسلوب، وبهذا النسق العجيــب. وســـيأتي كـــلام العلمـــاء وآراؤهـــم فـــي حواره هذا في موضعه إن شاء الله تعالى.

المطلب الثالث: الملوك.

وُلد إبراهيم υ في زمن ملك طاغيـــة متألـــه؛ ذكـــر الطبـــري أن اســـمه الضـــحّاك، وقال أيضا: أنه نمرود بن كوش بن كنعان بن حام بـــن نـــوح υ، ويـــرجح الإمـــام الطبـــري أن الثاني الذي هو ملك بابل صاحب إبراهيم υ[1]، وهـــو الـــذي أخبـــر عنـــه الله عـــز وجـــل في كتابه {**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِـــي رَبِّـــهِ أَنْ آتَـــاهُ اللَّـــهُ الْمُلْـــكَ إِذْ قَـــالَ إِبْـــرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْـــرَاهِيمُ فَـــإِنَّ اللَّـــهَ يَـــأْتِي بِالشَّـــمْسِ مِـــنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّـــذِي كَفَـــرَ وَاللَّـــهُ لا يَهْـــدِي الْقَـــوْمَ الظَّـــالِمِينَ**}[2] قـــال مجاهد[3]: " لم يملك الأرض كلها إلا أربعة مؤمنـــان وكـــافران فالمؤمنـــان ســـليمان بـــن داود وذو القرنين والكافران فبخت نصر والذي حـــاجّ إبـــراهيم فـــي ربـــه"[4] والله أعلـــم، ومعنـــى قوله ألم تر أي بقلبك يا محمد (إلى الذي حاجّ إبـــراهيم فـــي ربـــه) أي وجـــود ربـــه؛ وذلـــك أنه أنكر أن يكون ثَمَّ إلهٌ غيره، كما قال بعده فرعون لملأه: {**وَقَـــالَ فِرْعَـــوْنُ يَـــا أَيُّهَـــا الْمَلَـــأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي**}[5]، وما حمله علـــى هـــذا الطغيـــان والكفـــر الغلـــيظ والمعانـــدة الشديدة إلا تجبّره وطول مدّته في الملك، وذلك أنه يقال انـــه مكـــث أربـــع مائـــة ســـنة فـــي

---

[1] الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ج1، ص126– 128.

[2] البقرة، 258

[3] هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم: تابعي، مفسر من أهل مكة. قال الذهبي: شيخ القراء والمفسرين. أخذ التفسير عن ابن عباس، قرأه عليه ثلاث مرات، يقف عند كل آية يسأله: فيم نزلت وكيف كانت؟ أما كتابه في التفسير فيتقيه المفسرون، لأنهم كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب، يقال: إنه مات وهو ساجد سنة 104هـ. أنظر: الزركلي، **الأعلام**، ج5، ص278.

[4] ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي أبو بكر (235هـ)، **المصنف في الأحاديث والآثار**، ط1، الرياض: مكتبة الرشد، 1409هـ، كتاب الفضائل، باب ما ذُكر في ذي القرنين، ح31916. وانظر طرق الحديث: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج6، ص358.

[5] القصص، 38

ملكه، ولهذا قال: أن آتاه الله الملك، وكان طلب من إبراهيم دليلا على وجود الرب الذي يدعو إليه فقال إبراهيم: (ربيَ الذي يحيي ويميت)، أي إنما الدليل على وجوده حدوث هذه الأشياء المشاهدة بعد عدمها، وعدمها بعد وجودها، وهذا دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة؛ لأنها لم تحدث بنفسها، فلا بدّ لها من موجد أوجدها، وهو الرب الذي أدعو إلى عبادته وحده لا شريك له، فعند ذلك قال المحاجّ وهو النمرود: (أنا أحيي وأميت)، قال قتادة ومحمد بن إسحاق والسدي وغير واحد: وذلك أني أُوتَى بالرجلين قد استحقا القتل فآمر بقتل أحدهما فيقتل، وآمر بالعفو عن الآخر فلا يقتل، فذلك معنى الإحياء والإماتة، والظاهر والله أعلم أنه ما أراد هذا؛ لأنه ليس جوابا لما قال إبراهيم، ولا في معناه مانع لوجود الصانع، وإنما أراد أن يدعي لنفسه هذا المقام عنادا ومكابرة، ويوهم أنه الفاعل لذلك، وأنه هو الذي يحيي ويميت، كما اقتدى به فرعون في قوله (ما علمت لكم من إله غيري)، ولهذا قال له إبراهيم لما ادعى هذه المكابرة: (فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب)، أي إذا كنت كما تدعي من أنك تحيي وتميت، فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود في خلق ذواته، وتسخير كواكبه، وحركاته، فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق، فإن كنت إلها كما ادعيت تحيي وتميت فأت بها من المغرب، فلما علم عجزه وانقطاعه وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام بهت، أي أُخرس، فلم يتكلم، وقامت عليه الحجة، قال الله تعالى {**وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**}[1]أي لا يلهمهم حجة ولا برهانا بل {**حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**[2] }[3].

وربما يكون كلام ابن كثير رحمه الله تعالى مقنعا إلى حدّ ما، إلا أن فيه نظراً؛ فكيف يجوّز إنسانٌ لنفسه أن يدّعي الإحياء والإماتة، إلا إذا كان قاصدا تأليه نفسه؟ ثم إن ابن كثير ناقض رأيه في كلام النمرود عندما عطف فعل فرعون على فعل النمرود في ادعاء الألوهية، ومن المعلوم تأكيدا عندنا أن فرعون ادعى الربوبية لا الألوهية

[1] البقرة، 258

[2] الشورى، 16

[3] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج1، ص 314.

فقط {**فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى**}[1]، هذان الملكان جاوزا الحد في الطغيان، ومن المرجح عندي أن النمرود دعا الناس إلى عبادته من دون الله، ووجد من ضعفاء الناس آذاناً صاغية، وقلوباً خاضعةً، وأجساداً متذللةً لإله لا يستحق، إلا أنه استخف بهم فأطاعوه.

المبحث الثالث: بعثته وصحفه.

بالنسبة للعمر الذي بُعث فيه سيدنا إبراهيم υ فقد قال تعالى {**وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ**}[2] وربما تكون هذه الآية الوحيدة بالإضافة إلى قوله تعالى {**قَالُوا سَمِعْنَا فَتىً يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ**}[3] هي التي تشير إلى عمره عندما بُعث، وهو أنه كان فتى صغيرا حديث السن، فما المقصود بكلمة "الفتى"؟ وما المقصود بكلمة "من قبل"؟ وهل لذلك علاقة بتحديد عمره υ وقت البعثة؟

قال صاحب الكشاف:الرشد: الاهتداء لوجوه الصلاح، والرُّشد والرَّشَد كالعُدْم والعَدَم، ومعنى إضافته إليه أنه رشد مثله وأنه رشد له شأن. أما قوله تعالى: {**مِن قَبْلُ**} فهو يرجح أن ذلك عائد ومرتبط بالآية قبلها التي تتحدث عن موسى وهارونυ، ويقصد أن إبراهيم υ أوتي النبوة والهداية قبلهما، وأن الله تعالى علم منه أحوالا وأسرارا عجيبة، وصفات استحق فيها أن يكون خليلا خالصا[4].

جاء في زاد المسير لابن الجوزي: قوله تعالى: { **ولقد آتينا إِبراهيم رُشْدَهُ**} أي: هُداه { **مِنْ قَبْلُ** } وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: من قبل بلوغه، قاله أبو صالح عن ابن عباس ψ.

والثاني: آتيناه ذلك في العِلْم السابق، قاله الضحاك عن ابن عباس ψ.

---

[1] النازعات، 24

[2] الأنبياء،51

[3] الأنبياء، 60

[4] الزمخشري، محمود بن عمر الخوارزمي أبو القاسم (538هـ)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ط1، بيروت: دار الفكر، 1403هـ- 1983م، ج2، ص575. بتصرف

والثالث: مِنْ قَبْل موسى وهارون، قاله الضحاك. أما قوله تعالى: {**وكُنَّا بِه عالمِين** } أي: علمنا أنه موضع لإيتاء الرُّشد[1].

وقد جاء في مفاتيح الغيب للفخر الرازي: اعلم أن للرشد في قوله تعالى: {**ولَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرٰهِيمَ رُشْدَهُ** } ثلاثة أقوال:

الأول: أنه النبوة واحتجوا عليه بقوله: { **وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ** } قالوا: لأنه تعالى إنما يخصّ بالنبوة من يعلم من حاله أنه في المستقبل يقوم بحقها، ويجتنب ما لا يليق بها، ويحترز عما ينفر قومه من القبول.

والثاني: أنه الاهتداء لوجوه الصلاح في الدين والدنيا، ومنه قوله تعالى: {**فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ**}[2] .

والثالث: وهو أن تدخل النبوة والاهتداء تحت الرشد؛ إذ لا يجوز أن يبعث نبي إلا وقد دله الله تعالى على ذاته وصفاته، ودله أيضاً على مصالح نفسه، ومصالح قومه، وكل ذلك من الرشد.

أما قوله تعالى: { **مِن قَبْلُ** } ففيه وجوه:

أحدها: آتينا إبراهيم نبوته واهتداءه من قبل موسى υ عن ابن عباس ψ.

وثانيها: في صغره قبل بلوغه، حين كان في السرب وظهرت له الكواكب فاستدل بها. وهذا على قول من حمل الرشد على الاهتداء؛ وإلا لزمه أن يحكم بنبوتهυ قبل البلوغ عن مقاتل[3].

---

[1] ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (597هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، ط3، بيروت: المكتب الإسلامي، 1404هـ، ج5، ص357.

[2] النساء، 6

[3] مقاتل بن سليمان بن بشير الازدي أبو الحسن: من أعلام المفسرين. أصله من بلخ انتقل إلى البصرة وتوفى فيها، كان متروك الحديث، من كتبه التفسير الكبير. توفي سنة 150هـ. أنظر: الزركلي، **الأعلام**، ج7، ص281.

وثالثها: يعني حين كان في صلب آدم υ حـين أخـذ الله ميثـاق النبيـين عـن ابـن عباس رضي الله عنهما[1].

ومن الملاحظ هنا أن الفخر الرازي رحمه الله تعالى لـم يـرجح قـولا علـى آخـر، مع أن المتتبع لكلامه في المسألة يستشـفّ ميلـه نحـو المعنـى الـذي يفيـد الاهتـداء دون النبوة، ولم يرجح كذلك رأياً على الآخر في تفسير قوله تعـالى "**مـن قبـل**"، إلا أنـه يظهـر في كلامه استبعاده أن يكون المعنى قبل البلوغ.

وقال الإمام ابوحيّان الأندلسي رحمـه الله تعـالى: لقـد أبعـد مـن ذهـب إلـى أن التقدير: "مِن قَبْلُ" أي من قبل بلوغه أو "**مِن قَبْلُ**" نبوته يعنـي حـين كـان فـي صـلب آدم، حين أخذ الله تعالى ميثاق الأنبياء[2].

وعند النظر في أقوال المفسرين لا نجد اختلافـا كبيـرا فـي معنـى الرشـد بيـنهم، وأكثر أهل العلم على أن الرشد هـو الهـدى قبـل النبـوة، أي أنـه υ وُفّـق إلـى النظـر بالاستدلال، والراجح أن الكلمة جامعة مانعة؛ فهي تشمل كل أنـواع الهدايـة بمـا فـي ذلـك النبوة، أما السن التي نُبّئ بها υ فإن من قال بأن المقصـود نبوتـه قبـل موسـى وهـارونυ فإنه لم يأت بجديد فهذا من المعروف نقلا وعقـلا، ومـن قـال بـأن المقصـود فـي العلـم السابق، وأظنه يعني اللوح المحفوظ، فقد أصاب لكنه لم يفسـر، أمـا بالنسـبة للـرأي القائـل بأنه أوتي النبوة قبل البلوغ فإن معنى كلمة فتى كما جاء فـي بعـض معـاجم اللغـة: الفَتـى: الشابُّ. والفتاةُ: الشابَّة. وقد فَتِيَ بالكسر يَفْتى فتًى، فهو فتِـيٌّ السـنّ بـيِّن الفتـاءِ. وقـد ولـد له في فتاءِ سنِّه أولاد. والأَفْتاءُ من الدوابّ: خِلاف المسـانّ، واحـدها فَتِـيٌّ. ويقـال: لفـلان بنتٌ تَفَتَّتْ، أي تشبَّهت بالفتياتِ، وهي أصغرهنّ[3].

---

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج11، ص29.

[2] أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف أبو عبد الله (745هـ)، **البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم**، بيروت: دار الفكر، ج2، ص 219.

[3] الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (721هـ)، **مختار الصحاح**، طبعة جديدة، بيروت: مكتبة لبنان، 1415هـ-1995م، مادة فتي ج1، ص206.

والراجح أنه υ بُعث وهو صغير السن قبل الأربعين، وهو ما تدل عليه كلمة فتى، وليست هذه المرة الوحيدة التي يبعث الله فيها نبيا حديث السن؛ إذ أنه جل وعلا بعث يحيى υ صبيا صغيرا فقال {**يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً**}[1]، والصَّبِيُّ: من لَدُنْ يُولَد إِلى أَنْ يُفْطَم[2]، قال ابن حجر: ولا اختصاص لذلك بيحيي فقد قال عيسى وهو في المهد [**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً**[3]][4].

قال ابن كثير: يا يحيى خذ الكتاب بقوة: أي تعلم الكتاب بقوة، أي بجد وحرص واجتهاد، "**وآتيناه الحكم صبيا**": أي الفهم والعلم والجد والعزم، والإقبال على الخير، والانكباب عليه والاجتهاد فيه، وهو صغير حدث[5].

قال ابن الجوزي: ولد يحيى υ قبل عيسى υ بستة أشهر، وقيل قبل أن يرفع عيسى υ وكان يحيى υ قد رزق الفطنة والفهم في زمن الصبا من الصغر، قال قتادة في قوله "**وآتيناه الحكم صبيا**" قال: ابن ثلاث سنين، وقال علماء السير: نُبّيء يحيى صغيرا فساح ثم دخل الشام يدعو الناس، وكان طعامه الجراد وقلوب الشجر، وكان يحيى كثير العبادة، غزير الدمعة[6].

وقال الإمام الفخر الرازي: الحكم في الآية هو فهم التوراة والفقه في الدين، أو هو العقل، وقد روي عن معمر بن راشد[7] أنه قال: بلغنا أن يحيى υ كان يقول

---

[1] مريم، 12

[2] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة صبا ج 14، ص 449.

[3] مريم، 30

[4] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج8، ص362.

[5] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج3، ص114.

[6] ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج (597هـ)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، ط1، بيروت: دار صادر، 1358هـ. ج2، ص7.

[7] معمر بن راشد الأزدي مولاهم أبو عروة البصري نزيل اليمن ثقة ثبت فاضل إلا أن في روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عروة شيئا وكذا فيما حدث به بالبصرة من كبار السابعة مات سنة 54هـ. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب**، ص 473.

للصبيان: "**ما للعب خلقنا**"[1]. أو هو النبوة؛ فإن الله تعالى أحكم عقله في صباه؛ لأن الله تعالى ذكر في هذه الآية صفات شرفه ومنقبته، ومعلوم أن النبوة أشرف صفات الإنسان فذِكْرُها في معرض المدح أولى من ذكر غيرها، ولأن الحُكم هو ما يصلح لأن يَحكم به على غيره ولغيره على الإطلاق، وذلك لا يكون إلا بالنبوة، وليس استبعاد صيرورة الصبي عاقلاً أشد من استبعاد انشقاق القمر وانفلاق البحر[2].

وقال ابن قيم الجوزية في معرض كلامه عن الحكمة وعلاقتها بالفلسفة: أصح الطوائف حكمة من كانت حكمتهم أقرب إلى حكمة الرسل التي جاءوا بها عن الله تعالى، قال تعالى عن نبيه داود υ [**وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ**[3]] وقال عن المسيح υ [**وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْأِنْجِيلَ**[4]] وقال عن يحيىυ [**يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً**[5]] والحكم هو الحكمة – كما يقول الإمام ابن القيم– وقد قال لرسوله محمد ρ [**وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً**[6]]وقال [**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إلا أُولُو الْأَلْبَابِ**[7]] وقال لأهل بيت رسولهρ [**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً**[8]] فالحكمة التي جاءت بها الرسل، هي الحكمة الحقيقية المتضمنة للعلم النافع، والعمل الصالح للهدى ودين الحق، لإصابة الحق اعتقادا وقولا وعملا، وهذه الحكمة قسمها الله سبحانه بين أنبيائه ورسله، وجمعها لمحمد ρ، كما جمع له من المحاسن ما فرقه في الأنبياء قبله، وجمع في كتابه من العلوم والأعمال ما فرقه في الكتب قبله، فلو جمعتَ

---

[1] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج64، ص183. والحديث ضعيف لأن معمر لم يسمّ من روى عنه.

[2] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج10، ص276.

[3] ص، 20

[4] آل عمران، 48

[5] مريم، 12

[6] النساء، 113

[7] البقرة، 269

[8] الأحزاب، 34

كل حكمة صحيحة في العالم، من كل طائفة، لكانت من الحكمة التي أوتيها ρ جزءا يسيرا جدا، لا يدرك البشر نسبته[1].

وليس لهذا العطاء –الحكمة– عمراً معيناً لا تتجاوزه الحكمة الإلهية، بل إن الله تعالى يعطي من يشاء بالكيفية التي يشاء في أي وقت يشاء، وهذا ما يشير إليه ظاهر الآية الكريمة [**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الْأَلْبَابِ**[2]] وإلى هذا المعنى أشار عبد الله بن عباس ψ عندما فسّر مجموعة من الآيات التي تبيّن عطاء الحكمة متمثلاً بتصرفات فتيةٍ آتاهم الله تعالى من الحكمة ما لم يؤت رجالا آخرين.

قال ابن عباس ψ: ما بعث الله نبيا إلا شابا ولا أوتي عالمٌ علماً إلا شابا ثم تلا هذه الآية [**قَالُوا سَمِعْنَا فَتىً يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ**[3]] وقد أخبر الله تعالى به، ثم آتى يحيى بن زكريا υ الحكمة [**يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً**[4]] وقال تعالى تعالى [**إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً**[5]] وقال تعالى [**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً**[6]] وقال تعالى [**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً**[7]][8].

---

[1] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (751هـ)، **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، ط2، بيروت: دار المعرفة، 1395هـ– 1975م. ج2، ص256–257.

[2] البقرة، 269

[3] الأنبياء، 60

[4] مريم، 12

[5] الكهف، 10

[6] الكهف، 13

[7] الكهف، 60

[8] الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح (852هـ)، **المستطرف في كل فن مستظرف**، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1406هـ 1986م، ج2، ص67.

فإذا صدُق هذا الأمر في حق يحيى υ –وهو النبوة قبل البلوغ– فهو في جانب إبراهيم υ وتبليغه قبل الأربعين أثبت وأقرب للمنطق من باب أولى، وهو أبوه وأبو من بعدَه من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

أما صحفه υ فقد ذُكرت في القرآن الكريم، والواجب على المؤمن الإيمان الجازم بأن الله أنزل صحفاً على إبراهيم وموسى υ، وسماها الصحف الأولى، وذكر بعضاً ممّا في هذه الصحف، فمن ذلك قوله تعالى {**أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى # وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى # أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى # وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إلا مَا سَعَى #وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى # ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى # وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى # وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى # وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا # وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى # مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى # وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَى # وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى # وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى# وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأُولَى# وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى # وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى # وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى# فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى**}[1] وقال تعالى: { **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى # وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى # بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا # وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى # إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى # صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**}[2] وما في هذه الآيات قد جاء في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، قال القرطبي: إن هذا القرآن لفي الصحف الأولى أي الكتب الأولى صحف إبراهيم وموسى يعني الكتب المنزلة عليهما ولم يرد أن هذه الألفاظ بعينها في تلك الصحف وإنما هو على المعنى أي إن معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف[3]. وعن عكرمة عن ابن عباس ψ قال: **ثم لما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال رسول الله ρ: "كلها في صحف إبراهيم " فلما نزلت والنجم إذا هوى فبلغ وإبراهيم الذي وفّى "ألا تزر وازرة وزر أخرى"، إلى قوله "هذا نذير من النذر الأولى"**[4].

---

[1] النجم، 36– 58

[2] الأعلى، 14– 19

[3] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 20، ص 24.

[4] الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله أبو عبد الله (405هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1411هـ– 1990م، كتاب التفسير، ح2930. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

أما ما ذُكر عنها في السنة النبوية فقليل جدا، ومنــه مــا ورد عــن أبــي ذر الغفــاري ψ أنه اغتنم يوما وجود الرسول ε وحده في المســجد، فجلــس إلــى جانبــه وســأله أسـئلة عدة منها: قوله: يا رسول الله ما كانت صحيفة إبراهيم؟ فقــال: "**كانــت أمثــالا كلهــا: أيهــا الملك المسلط المبتلى المغرور، إني لم أبعثك لتجمع الــدنيا بعضــها علــى بعــض، ولكنــي بعثتك لترد عني دعوة المظلوم؛ فإني لا أردها ولو كانت من كــافر، وعلــى العاقــل مــا لــم يكن مغلوبا على عقله أن تكون له ساعات: ســاعة ينــاجي فيهــا ربــه، وســاعة يحاســب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها في صنع الله، وســاعة يخلــو فيهــا لحاجتــه مــن المطعــم والمشرب، وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا إلا لــثلاث: تَــزَوُّدٌ لمعــاد، أو مَرَمَّــةٌ[1] لمعــاش، أو لذة محرم، وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه، مقــبلا علــى شــأنه، حافظــا للســانه، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيمــا يعنيــه**، قلــت: يــا رســول الله فمــا كانــت صحف موسى؟ **قال كانت عبرا كلها**... إلى آخر الحديث "[2]

المبحث الرابع: ابتلاءاته وأنواعها:

إن الابتلاء[3] سنةُ الله في خلقــه، وإنــه لمــا أراد أن يصــطفي خيــرتهم مــن بيــنهم لمهمة عظيمة، كان لا بد من اختبارهم؛ ليرى مدى صبره.

والابتلاء كما جاء في التسهيل لعلوم التنزيــل: هــو الاختبــار، واختبــار الله لعبــده لتقوم الحجة على العبد بما يبدو منه، وقد كان الله عالما بذلك قبــل كونــه، والإنســان يُبتلــى بالخير والشر علــى حــد ســواء، قــال تعــالى [**وَنَبْلُــوكُمْ بِالشَّــرِّ وَالْخَيْــرِ فِتْنَــةً وَإِلَيْنَــا تُرْجَعُونَ**[4]][1].

---

[1] مَرَمَّةً. ورَمُّ الأَمر: إِصلاحه بعد انتشاره: أنظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة رمم ج 12، ص 251.

[2] ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي أبو حاتم (354هـ)، **صحيح ابن حبّان**، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1414هـ– 1993م، كتاب البر والإحسان، ذكر استحباب أن يكون للمرء من الخير حظ، ح361. وقال المنذري: "رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم واللفظ له وقال: صحيح الإسناد": أنظر: المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي أبو محمد (656هـ)، **الترغيب والترهيب**، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1417هـ، ج3، ص132.

[3] الابتلاء الاختبار بــيمين كان أَو غيرها. و أَبْلَــيْتَ فلاناً يميناً إِبْلاءً إِذا حلفتَ له فَطيَّبتَ بها نفسه: انظر ابن منظور، **لسان العرب**، مادة بلي ج14، ص86.

[4] الأنبياء، 35

كما أن كل مسلم أنعم الله عليه بهـذه النعمـة العظيمـة يعلـم أن متطلبـات الإسـلام كبيرة، وطريق المسلم شاقة؛ خاصة إذا ثبت على المضيّ قـدما نحـو طاعـة ربـه، ونشـر دينه، وهو ما يقتضيه التكليف الإلهي، التزاماً بهذا الـدين، وإحقاقـاً للحـق، وإعـلاءً لكلمـة الله، وإن كان هذا حال المسلم فكيف بحال النبـيّ ؟...قـال تعـالى {**وَلَنَبْلُـوَنَّكُمْ حَتَّـى نَعْلَـمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَـارَكُمْ**}[2]. وقـد شـاءت حكمـة المـولى سـبحانه أن يبتلي عباده الصالحين بصروف متنوعة من الابتلاءات، فعـن محمـود بـن لبيـد[3] قـال: إن رسول الله ρ قال: "**ثم ان الله عز وجل إذا أحـب قومـا ابـتلاهم فمـن صـبر فلـه الصـبر ومن جزع فله الجزع**"[4]. وعن سعد بن أبي وقـاص ψ قـال: ثـم سـألت رسـول الله ρ أي الناس أشد بلاء؟ فقال: "**الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلـى الرجـل علـى حسـب دينـه فـإن كان رقيق الدين ابتلى على حسب ذاك وان كان صلب الـدين ابتلـى علـى حسـب ذاك قـال فما تزال البلايا بالرجل حتى يمشى في الأرض وما عليه خطيئة**"[5].

يتبين من النصوص السابقة أن الابـتلاء مِنحـةٌ فـي مِحنـةٍ؛ فهـو شـوك طريـق الداعية، وسنة الله في عباده المؤمنين، فكيف بالأنبياء والمرسلين منهم ؟.

وعلى هذا الأساس ابتلى الله تعالى رسـوله وخليلـه إبـراهيم υ والمقصـد الأصـلي من الابتلاء هو ظهور كمال إحسان المحسنين[6]. وقـد اشـتمل هـذا المبحـث علـى أربعـة مطالب هي:-

---

[1] ابن جزي الكلبي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج4، ص197.

[2] سورة محمد ρ، 31

[3] هو محمود بن لبيد بن رافع بن امريء القيس، اختلف العلماء في صحبته، فذهب البخاري إلى أن له صحبة، وقد أخرج له أحمد حديثا في مسنده، وذكره ابن حبان في التابعين وقال إنه يروي المراسيل، وذكره ابن حجر في الصحابة لأن له رؤية، وأكثر روايته عن الصحابة. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج5، ص 95.

[4] الشيباني، **مسند أحمد بن حنبل**، ج5، ص427، ح23672.

[5] المصدر السابق، ج1، ص173، ح1494.

[6] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد أبو عبد الله (542هـ)، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، بيروت: دار الفكر، ج5، ص259.

المطلب الأول: الابتلاء بالكلمات.

قال عز وجل {**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**}[1].

نقل الإمام ابن كثير آراء بعض الصحابة والتابعين في تفسير لفظ الكلمات التي ابتلي بها إبراهيم υ، وسأذكر رأي ابن عباس ψ حيث قال: " **ابتلاه الله بالمناسك**"[2] وعنه أيضاً قال: "**الكلمات التي ابتلي بهن إبراهيم فأتمهن: فراق قومه في الله حين أُمر بفراقهم، ومحاجّته نمرود في الله، حتى وقفه على ما وقفه عليه من خطر الأمر الذي فيه خلافهم، وصبره على قذفه إياه في النار ليحرقوه في الله على هول ذلك من أمرهم، والهجرة بعد ذلك من وطنه وبلاده في الله حين أمره بالخروج عنهم، وما أمره به من الضيافة والصبر عليها بنفسه وماله، وما ابتلي به من ذبح ولده حين أمره بذبحه، فلما مضى على ذلك من أمر الله كله وأخلص له، قال الله له: أسلم، قال: أسلمت لرب العالمين على ماكان من خلاف الناس وفراقهم** "[3]. وقال ابتلاه بالطهارة خمس في الرأس وخمس في الجسد في الرأس قص الشارب والمضمضة والإستنشاق والسواك وفرق الرأس وفي الجسد تقليم الأظفار وحلق العانة والختان ونتف الإبط وغسل أثر الغائط والبول بالماء[4].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة τ عن النبي ρ قال: "**الفطرة خمس الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط**"[5]، لكن هذا ليس بملزم لتكون هذه الأوامر هي الكلمات المذكورة في الآية.

---

[1] البقرة، 124

[2] الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب التاريخ، ذكر اسحاق بن إبراهيم υ –من قال أن الذبيح هو إسحاق، ح4050. وقال صحيح الإسناد وشواهدها كثيرة وقد خرجتها في كتاب المناسك.

[3] ابن أبي حاتم الرازي، **تفسير القرآن**، ج1، ص220.

[4] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج1، ص166.

[5] متفق عليه، واللفظ لمسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، ح257.

وقد ذكرت كتب التفسير هذه الأقوال وغيرها على أنها هي المراد بالكلمات؛ بشيء من التفصيل أحيانا، وبشيء من التحليل أحيانا أخرى، وقد رجح بعضهم قولا على الآخر، وبعضهم لم يرجح، بل إن الإمام القرطبي رحمه الله تعالى قال: قال أبو إسحاق الزجّاج: هذه الأقوال ليست بمتناقضة لأن هذا كله مما ابتُليَ به إبراهيم υ[1].

وهذه حقيقة في أن كل هذه الأمور مما يُبتلى فيه الإنسان، فيما عدا أمور الفطرة، فإنها من الأمور السهلة على النفس بل هي من مستلزمات الحياة، ومستكمِلات الإنسانية، وهي ما جُبل عليه الإنسان بوجه عام من حبه للنظافة، وما جُبل عليه الأنبياء بصفة خاصة استكمالاً للطهارة الداخلية.

أما الإمام الطبري رحمه الله تعالى فقال: قد تكون تلك الكلمات هي جميع ما ذُكر في تأويل الكلمات وجائز أن تكون بعضه؛ لأن إبراهيم υ كان قد امتحن بكل ذلك فعمل به، وقام فيه بطاعة الله وأمره الواجب عليه فيه، وإذ كان ذلك كذلك فغير جائز لأحد أن يقول: إن الله تعالى عنى بالكلمات التي ابتلى بها إبراهيم شيئا من ذلك بعينه دون شيء، ولا عنى به كل ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها، من خبر عن الرسول ρ أو إجماع، ولم يصح فيه شيء من ذلك، غير أنه روي عن النبي ρ في نظير معنى ذلك خبران، لو ثبتا أو ثبت أحدهما، لكان القول به أرجح في تأويل الكلمات[2]، ثم ذكر الإمام الطبري الخبرين:

* أما الحديث الأول فهو عن التابعي سهل بن معاذ بن أنس الجهني[3] عن أبيه قال كان النبي ρ يقول: **ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله الذي وفّى لأنه كان يقول كلما أصبح وكلما أمسى: "فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون حتى يختم الآية"**[1].

---

[1] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج2، ص98.

[2] الطبري، **جامع البيان**، ج1، ص528.

[3] سهل بن معاذ بن أنس الجهني كان يحيى بن معين يقول: سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه ضعيف. أنظر: ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي (327هـ)، **الجرح والتعديل**، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1271هـ- 1952م، ج4، ص203.

* والحديث الآخر عن أبي أمامة ψ قال: قـال رسـول الله ρ: "**وإبـراهيم الـذي وفّـى قـال أتدرون ما وفّى؟**" قالوا: الله ورسوله أعلـم. قـال: "**وفّـى عمـل يومـه أربـع ركعـات فـي النهار**" ثم قال: غير أنهما خبران فيهما نظر[2].

أما الرواية الكاملة للحديث الأول فهـي: عـن عبـد اللَّـهِ بـن عَبَّـاسٍ ψ عـن رسول اللَّهِ ρ قال: "**من قال حين يُصْبِحُ فسُبْحَانَ اللَّهِ حـين تُمْسُـونَ وَحِـينَ تُصْـبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ في السماوات وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِـرُونَ الآيَـةَ كُلَّهَـا أَدْرَكَ مـا فَاتَـهُ في يَوْمِهِ وَمَنْ قَالَهَا حين يُمْسِي أَدْرَكَ ما فَاتَهُ لَيْلَتَهُ**"[3].

ولم يظهر فيهـا أي ذكـر لسـيدنا إبـراهيم υ، أمـا الخبـر الثـاني فروايتـه الصحيحة هي: عن سعيد بن جبير قال: "وإبراهيم الـذي وفّـى"، قـال: "**بلّـغ مـا أُمـر به**""[4].

وقد استبعد الشيخ محمد عبـده[5] أن تكـون الكلمـات هـي: الختـان والاسـتحداد وقص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط، وقال: لو كُلّـف بهـا صـبيٌ مميـز لأتقنهـا،

---

[1] الطبري، **جامع البيان**، ج27، ص73. والحديث ضعيف لأن في سنده زبان بن فائد من أهل مصر يروي عن سهل بن معاذ بن أنس وهو منكر الحديث. أنظر: البستي، محمد بن حيان بن أحمد بن أبي حاتم التميمي أبو حاتم (354هـ)، **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، ط1، حلب: دار الوعي، 1396هـ،ج1، ص3134.

[2] الطبري، **جامع البيان**، ج1، ص528، والحديث ضعيف جدا لأن فيه جعفر بن الزبير الحنفي أو الباهلي الدمشقي نزيل البصرة، قال ابن حجر: متروك الحديث وكان صالحا في نفسه مات بعد الأربعين. أنظر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي(852هـ)، **تقريب التهذيب**، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1416هـ-1996م. ص79.

[3] الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (360هـ)، **المعجم الكبير**، ط2، الموصل: مكتبة الزهراء، 1404هـ- 1983م، ج12، ص239، ح12991. والحديث ضعيف لأن فيه سعيد بن بشير الأنصاري وهو مجهول من السابعة. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب**، ص173.

[4] ابن أبي شيبة، **المصنف في الأحاديث والآثار**، كتاب الفضائل، ذكر ما أعطى الله إبراهيم وفضله به، ح31814.

[5] هومحمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني: مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام. تعلم بالجامع الأحمدي بطنطا، ثم بالأزهر، وتصوف وتفلسف. وعمل في مجالات عدة كان آخرها التعليم إلى أن توفي بالاسكندرية، ودفن في القاهرة سنة 1323هـ. له تفسير القرآن الكريم لم يتمه، وكتبه تلميذه محمد رشيد رضا، وله رسالة التوحيد وغير ذلك. أنظر: الزركلي، **الأعلام**، ج6، ص252.

وأتمّها، ولا يُعدّ هذا أمرا عظيمــا، وأن فائــدة هــذا الابــتلاء هــو تعريــف إبــراهيم υ بنفسه، وأنه جدير بما اختصه الله تعالى به[1].

وقد رجح القاسمي أن معنى الكلمــات هــو ابــتلاؤه بالإســلام، فأســلم لــرب العالمين، وابتلاؤه بالهجرة، فخرج من بلاده مهــاجرا إلــى الله، وابــتلاؤه بالنــار فصــبر عليها، وابتلاؤه بالختان فصبر، وابتلاؤه بذبح الولد فصبر واحتسب[2].

والراجح عندي هو ما رجحه القاســمي، والــذي يبــدو مــن حيــاة إبــراهيم υ أنهــا كانت نسقاً متكاملاً من الابتلاءات اللائقة بخليل الله تعــالى، والتــي اســتحق بالصــبر عليهــا مقام الخلّة، وأبوّة الأنبياء، وخاصية العزم، وخصالا أخرى كثيــرة، يضــيق المقــام بــذكرها في بحثي المتواضع هذا.

المطلب الثاني: الابتلاء بمحاولة الاعتداء على الزوجة.

عن أبي هريرة ψ عنه قال: قال رسول الله ρ: "**لــم يكــذب إبــراهيم عليــه الســلام إلا ثلاث كذبات: ثنتين منهن في ذات الله عز وجل، قولــه إنــي ســقيم، وقولــه بــل فعلــه كبيرهم هذا، وقال بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى علــى جبــار مــن الجبــابرة، فقيــل لــه: إن ها هنا رجلا معه امرأة من أحسن النــاس، فأرســل إليــه فســأله عنهــا، فقــال: مــن هذه؟ قال أختي، فأتى سارة، فقال: يــا ســارة لــيس علــى وجــه الأرض مــؤمن غيــري وغيرك، وإنّ هذا سألني فأخبرته أنك أختي، فــلا تكــذبيني، فأرســل إليهــا، فلمــا دخلــت عليه ذهب يتناولها بيده، فأُخــذ، فقــال: ادعــي الله ولا أضــرك، فــدعت الله فــأُطلق، ثــم تناولها الثانية فأُخذ مثلها أو أشــد، فقــال: ادعــي الله لــي ولا أضــرك، فــدعت فــأُطلق، فدعا بعض حجبته فقال: إنكــم لــم تــأتوني بإنســان إنمــا أتيتمــوني بشــيطان، فأَخــدَمَها**

[1] رضا، **تفسير المنار**، ج1، ص374.

[2] القاسمي، محمد جمال الدين (1332هــ)، **محاسن التأويل**، ط1، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1376هــ-1957م، ج2، ص245.

هاجر، فأتته وهو يصلي، فأومأ بيده مهيم[1]؟ قالت: ردّ الله كيد الكافر أو الفاجر في نحره، وأخدم هاجر، قال أبو هريرة: "تلك أمكم يا بني ماء السماء[2]" "[3].

ربما تكون هذه من أعظم الابتلاءات التي قد يتعرض لها مسلم عفيف النفس على وجه الأرض، فمن ذا الذي يصبر على احتمال الاعتداء على زوجته، فضلا عن التأكد من وقوع ذلك؟ وربما تطرح بعض الأسئلة نفسها بفضول شديد في مثل هذا الموقف، ومن هذه الأسئلة التي أقحمت نفسها في بحثي:

ما الذي جعل إبراهيم υ يذهب إلى مصر؟

ما الذي جعله متأكدا من أن الملك سيعتدي على زوجته؟

ما الذي منعه من حمايتها، أوقتل الملك دفاعاً عنها، أو حتى الدعاء عليه؟

لماذا سماها أخته، وطلب منها أن تؤكد المعلومة؟

قال الإمام ابن حجر العسقلاني: واختلف في السبب الذي حمل إبراهيم على هذه الوصية، مع أن ذلك الظالم يريد اغتصابها على نفسها، أختا كانت أو زوجة، فقيل: كان من دين ذلك الملك أن لا يتعرض إلا لذوات الأزواج، كذا قيل ويحتاج إلى تتمة: وهو أن إبراهيم أراد دفع أعظم الضررين بارتكاب أخفهما؛ وذلك أن اغتصاب الملك إياها واقع لا محالة، لكن إن علم أن لها زوجا في الحياة حملته الغيرة على قتله وإعدامه، أو حبسه وإضراره، بخلاف ما إذا علم أن لها أخا؛ فإن الغيرة حينئذ تكون من قبل الأخ خاصة، لا من قبل الملك فلا يبالي به، وقيل: أراد إن علم أنك امرأتي ألزمني بالطلاق، وقيل: كان من دين الملك أن الأخ أحق بأن تكون أخته زوجته من

[1] مهيم: ما أمركم، ما شأنكم: ابن الأثير الجزري، المبارك بن محمد (606هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، بيروت: دار الفكر، 1399هـ- 1979م، ج4، ص 378.

[2] قال أبو هريرة: "تلك أمكم يا بني ماء السماء" كأنه خاطب بذلك العرب لكثرة ملازمتهم للفلوات التي بها مواقع القطر لأجل رعى دوابهم، ففيه تمسك لمن زعم أن العرب كلهم من ولد إسماعيل، وقيل: أراد بماء السماء زمزم لأن الله أنبعها لهاجر فعاش ولدها بها فصاروا كأنهم أولادها. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج6، ص394.

[3] متفق عليه واللفظ للبخاري، البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى "واتخذ الله إبراهيم خليلا"، ح3179.

غيره، فلذلك قال هي أختي اعتمادا على ما يعتقده الجبار، فلا ينازعه فيها، فلذلك قال إبراهيم: هي أختي؛ لأنه إن كان عادلا خطبها منه، ثم يرجو مدافعته عنها، وإن كان ظالما خلص من القتل، وقوله: ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، يشكل عليه كون لوط كان معه، كما قال تعالى "**فآمن له لوط**"[1] ويمكن أن يجاب بأن مراده الأرض التي وقع له فيها ما وقع، ولم يكن معه لوط إذ ذاك، وقوله فأخدمها هاجر أي وهبها لها لتخدمها؛ لأنه أَعْظَمَها أن تخدم نفسها، وفي رواية مسلم "**فأخرِجها من أرضي وأعطِها آجراً**"، ذكرها بهمزة بدل الهاء، وهي كذلك في رواية الأعرج والجيم مفتوحة على كل حال، وهي اسم سرياني، ويقال إن أباها كان من ملوك القبط، وإنها من حَفَنْ، بفتح المهملة وسكون الفاء، قرية بمصر، وقوله: قال أبو هريرة: "**تلك أمكم يا بني ماء السماء**" كأنه خاطب بذلك العرب؛ لكثرة ملازمتهم للفلوات التي بها مواقع القطر؛ لأجل رعى دوابهم، ففيه تمسك لمن زعم أن العرب كلهم من ولد إسماعيل، وقيل أراد بماء السماء زمزم؛ لأن الله أنبعها لهاجر فعاش ولدها بها، وقيل سموا بذلك لخلوص نسبهم وصفائه فأشبه ماء السماء، وفي الحديث مشروعية أخوة الإسلام، وإباحة المعاريض، والرخصة في الانقياد للظالم والغاصب، وقبول صلة الملك الظالم، وقبول هدية المشرك، وإجابة الدعاء بإخلاص النية، وكفاية الرب لمن أخلص في الدعاء بعمله الصالح، وفيه أن من نابه أمر مهم من الكرب ينبغي له أن يفزع إلى الصلاة[2].

لم يكن إبراهيم υ ليجلس قرير العين، هادئ البال لو لم يكن عنده علم من الله تعالى بأنه سينجيه وزوجته من هذا الطاغية، وما كان الله تعالى ليسمح بأن يُدنّس البيت الطاهر، إلا أن الابتلاء يأتي على قدر الإيمان، والمحبة، لتزداد به الحسنات، وترتفع به الدرجات، فما حدث مع سارة ψ من محاولة الاعتداء، هو ما حدث مع مريم υ من الرمي بالتهم، وهو ما حاول اليهود والمنافقون رمي عائشة ψ به، لكن بطرق وأساليب

---

[1] العنكبوت، 26

[2] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج6، ص363.

مختلفة، فما زادهنّ هذا الابــتلاء، ومـــا زاد أزواجهـــنّ وأهلهـــنّ إلا إيمانـــاً بـــالله، وتســـليماً لأمره.

يقول الشيخ أحمد البراء الأميري[1]: الأولى عنـــدي أن يقـــال: إن إبـــراهيم υ رســـول مؤيد بوحي من الله، وهو لا يمكن أن يقـــدم زوجتـــه بهـــذه الســـهولة لملـــك جبـــار فـــاجر، ليعاشرها معاشرة الأزواج، ما لم يكن قـــد علـــم مـــن ربـــه شـــيئا، ووعـــده بحفـــظ عفـــاف زوجته وطهرها، وإن الرجل العاديّ ليغلي الدم في عروقه مـــن مثـــل هـــذا، ويبـــذل روحـــه من دون تردد للمحافظة على شرفه وعرضـــه، فكيـــف بـــأبي الأنبيـــاء، وخليـــل الـــرحمن؟! هل يؤثر الحياة، ويخاف من الجبار، ويدفعه خوفـــه إلـــى الاســـتكانة والتخـــاذل؟ مـــا أظـــن ذلك يكون[2]. وهذا ما أؤيده وأراه منطقيا.

المطلب الثالث: الابتلاء بالإلقاء في النار.

لا يمكن لعقل سليم أن يتخيّل ملكا يأمر بإضرام نـــار عظيمـــة ليلقـــي بهـــا فتـــى دون ذنب يُذكر، إلا أنه دعا إلى توحيد الله، إلا وخـــرج ذلـــك العقـــل عـــن ســـلامته إلـــى دهشـــة أعظم من النار الموقدة، فكيف بالدهشة إذا علم العاقـــل أن معظـــم أهـــل البلـــد ســـاعدوا فـــي إضرام النار، وأن والد الفتى هو من الشاهدين على ذلك دون أي اعتراض؟

ذكر الله تعالى موقف إلقاء إبراهيم υ في النار بشـــيء مـــن الإجمـــال، تاركـــا ذكـــر عمره حينئذ، ومكان تنفيذ الحكم الجائر، وزمانـــه، ومـــا ذلـــك إلا لأن القـــرآن الكـــريم يهـــتم بأخذ العبرة والعظة من القصة، كمـــا أن العلـــم بهـــذه التفاصـــيل لا يفيـــد، والجهـــل بهـــا لا يضرّ. قال تعالى {**قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَـــا لا يَـــنْفَعُكُمْ شَـــيْئاً وَلا يَضُـــرُّكُمْ # أُفٍّ لَكُـــمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّـــهِ أَفَـــلا تَعْقِلُـــونَ # قَـــالُوا حَرِّقُـــوهُ وَانْصُـــرُوا آلِهَـــتَكُمْ إِنْ كُنْـــتُمْ**

---

[1] أحمد البراء بن عمر بهاء الدين الأميري ولد عام 1944 في قرنايل في سورية، عضو في رابطة الأدب الإسلامي العالمية، نشر العديد من مقالاته وقصصه المترجمة وقصائده في المجلات والصحف العربية مثل: الفيصل، المسلمون، أهلا وسهلا، من مؤلفاته: إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم. أنظر: www.wa3i.org.sa/news.php

[2] الأميري، أحمد البراء، **إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم**، ط1. جده: دار المنارة. 1406هـ- 1986م. ص 116.

فَاعِلِينَ # قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ # وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ}[1] ومما لا يخفى على أحد أن السبب المباشر في صدور هذا الحكم هو تحطيم إبراهيم υ للأصنام عندما كان قومه خارج المدينة يحتفلون بعيد من أعيادهم.

قال القرطبي: روى كعب الأحبار ψ عن النبي ρ: إن إبراهيم حين قيدوه ليلقوه في النار قال: "**لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك**" قال ثم رموا به في المنجنيق من مضرِب شاسع، فاستقبله جبريل فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: "**أما إليك فلا**"، فقال جبريل فاسأل ربك، فقال: "**حسبي من سؤالي، علمه بحالي**" فقال الله تعالى وهو أصدق القائلين "**يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم**"[2]. قال بعض العلماء: جعل الله فيها بردا يرفع حرّها، وحرًّا يرفع بردها، فصارت سلاما عليه، قال أبو العالية: ولو لم يقل بردا وسلاما لكان بردها أشد عليه من حرها، ولو لم يقل على إبراهيم لكان بردها باقيا إلى الأبد.

إن الملاحظ هنا أن الله تعالى لم يتخلّ عن خليله في وقت الشدة؛ وذلك لتواصله معه في وقت الرخاء، وكيف لشابٍّ يبلغ عمره في الرواية التي أعطته العمر الأكبر ستاًّ وعشرين سنة أن يستسلم للنار هكذا دون مقاومة تُذكر إلا أنه كان يعلم من الله ما لم يعلمه أرباب الفجور، مما يدل في رأيي أنه كان قد نُبِّئ قبل ذلك الوقت، ثم إن كلامه مع جبريل يدل على ذلك أيضا. والله تعالى أعلم.

وقد جاء في زاد المسير: ذكر أهل التفسير أنهم حبسوا إبراهيم υ في بيت، ثم بنوا له حيرا[3] طول جداره ستون ذراعا إلى سفح جبل منيف[4]، ونادى منادي الملك أيها الناس احتطبوا لإبراهيم ولا يتخلفن عن ذلك صغير ولا كبير فمن تخلف ألقي في تلك

---

[1] الأنبياء، 66–70

[2] العجلوني، **كشف الخفا**، ج1، ص472.

[3] حار يحار حيرة و حيرا بسكون الياء فيهما تحير في أمره فهو حيران وقوم حيارى و حيره فتحير ورجل حائر بائر إذا لم يتجه لشيء والحيرة بالكسر مدينة بقرب الكوفة، والحيْر شبه الحظيرة أو الحمى. أنظر: الرازي، **مختار الصحاح**، مادة حير ج1، ص69. ويظهر من المعاني أن الحير مكان مسوّر بسور دائري، يشعر المحبوس فيه أنه تائه وحائر.

[4] أناف الجبل وأناف البناء فهو جبل منيف وبناء منيف أي طويل. أنظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة نوف ج9، ص342.

النار، ففعلوا ذلك أربعين ليلة، حتى إن كانت المرأة لتقول إن ظفرت بكذا لأحتطبنّ لنار إبراهيم، حتى إذا كان الحطب يساوي رأس الجدار سدوا أبواب الحير وقذفوا فيه النار فارتفع لهبها، حتى إن كان الطائر ليمر بها فيحترق من شدة حرها، ثم بنوا بنيانا شامخا وبنوا فوقه منجنيقا ثم رفعوا إبراهيم على رأس البنيان، فرفع إبراهيم رأسه إلى السماء فقال: "**اللهم أنت الواحد في السماء وأنا الواحد في الأرض ليس في الأرض أحد يعبدك غيري حسبي الله ونعم الوكيل**" فقالت السماء والأرض والجبال والملائكة: ربنا إبراهيم يحرق فيك فائذن لنا في نصرته. فقال: "**أنا أعلم به وإن دعاكم فأغيثوه**" فقذفوه في النار وهو ابن ست عشرة سنة، وقيل ست وعشرين فقال: "**حسبي الله ونعم الوكيل**" فاستقبله جبريل فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: "**أما إليك فلا**" قال جبريل: فسل ربك فقال: "**حسبي من سؤالي علمه بحالي**" فقال الله عز و جل: "**يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم**"[1]

والأهم من ذلك كله أنه لم يتّجه لغير الله تعالى، وهذا يؤكد بلا شك أن هذه هي طريق كل صاحب رسالة على اختلاف الرسالات واختلاف أهدافها، فسواء كان الهدف عقائديا أو علميا أو اجتماعيا إصلاحيا، فإن الشواهد المنقولة تؤكد على محاربة المجتمع لحامل الرسالة ومبلّغها.

وعندما يرى الله تعالى صبر المبتلى، ويقين قلبه، يؤيّده بنصره، ويثبت قلبه المطمئن، فتسكن جوارحه بالرضا بقدر الله وقضائه، وهو بحد ذاته نصر مؤزّر، وقد يرفع الله تعالى البلاء بمعجزة تؤيّد نبيّه أو رسوله، وتُسكت أعداءه، كما فعل مع خليله υ، وقد يرفع البلاء عن الولي الصالح بكرامة يزيد بها إيمانُه، وتقوى عزيمتُه وتقواه، فتكون له العاقبة مصداقا لقوله تعالى {**وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى**}[2].

---

[1] ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج (597هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، ط3، بيروت: المكتب الإسلامي، ج5، ص367.

[2] طه، 132

المطلب الرابع: الابتلاء بذبح الولد.

عندما نتتبع أقوال المفسرين في قصة الذبح والفداء نجد الاختلاف بينهم واضحا في تحديد من هو الذبيح؟ ومما لا يخفى على طلاب العلم ومعلميه أن سبب الاختلاف هو التأثر بما ورد من روايات بني إسرائيل، ولأن المقصود هنا بيان الابتلاء والصبر عليه، فإنني سأسرد هذه الاختلافات بشيء من الإيجاز.

قال جلّ شأنه {**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ # فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ # وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ # قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ # وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ**}[1].

يرجح الإمام الطبري أن الذبيح هو إسحاق υ [2]. وكذلك يرجح الإمام القرطبي أنه إسحاقυ قال ابن عباس: بشر بنبوته وذهب إلى أن البشارة كانت مرتين، فعلى هذا الذبيح هو إسحاق؛ بشر بنبوته جزاء على صبره، ورضاه بأمر ربه واستسلامه له، ثم نقل وقد قيل إن الكناية في عليه تعود على إسماعيل وذلك لأن الله تعالى يذكر قبل آيات الذبح تبشيره بغلام حليم {**فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ**}[3] ثم يذكر بعد الانتهاء من قصة الذبح والفداء اسم الغلام الثاني الذي بشره به صراحة وهو إسحاق {**وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ**[5]}[4].

قال ابن حجر: وأخرج بن إسحاق في المبتدأ عن ابن عباس فوالذي نفسي بيده لقد كان أول الإسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة. وأخرجه أحمد أيضا عن عثمان بن أبي طلحة قال: أمرني رسول الله ε فواريت قرني الكبش حين دخل البيت. وهذه الآثار من أقوى الحجج لمن قال إن الذبيح إسماعيل[6].

---

[1] الصافات، 102- 107

[2] الطبري: **جامع البيان**، ج23، ص 85.

[3] الصافات، 101

[4] الصافات، 112

[5] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج15، ص 113. بتصرف.

[6] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج12، ص378.

وقد جاء في المستدرك: عن عبد الله بن سعيد الصنابحي قال: حضرنا مجلس معاوية بن أبي سفيان، فتذاكر القوم إسماعيل وإسحاق بن إبراهيم، فقال بعضهم: الذبيح إسماعيل، وقال بعضهم: بل إسحاق الذبيح، فقال معاوية: سقطتم على الخبير، كنا عند رسول الله ε فأتاه الأعرابي فقال: يا رسول الله خلفت البلاد يابسة، والماء يابسا، هلك المال وضاع العيال، فعد علي بما أفاء الله عليك، يا ابن الذبيحين، فتبسم رسول الله ε ولم ينكر عليه، فقلنا: يا أمير المؤمنين وما الذبيحان؟ قال: إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل الله أمرها أن ينحر بعض ولده، فأخرجهم فأسهم بينهم، فخرج السهم لعبد الله، فأراد ذبحه، فمنعه أخواله من بني مخزوم، وقالوا: أرض ربك وافد ابنك، قال: ففداه بمائة ناقة، قال: فهو الذبيح وإسماعيل الثاني[1].

أما الشيخ محمد رشيد رضا فيرجح أن الذبيح هو إسماعيل υ [2].

وما يهمنا هنا بشكل خاص هو صبر إبراهيم وولده υ على أمر الله الذي يشق على النفس الإنسانية، بغض النظر عن قوّتها؛ فإنها لو كانت نفسا رحيمة، أو جبارة، أو خبيثة، أو نفسا أصابتها القسوة، وباتت تلفّها أعتى معاني الغلظة، فإنها لا تحتمل ذبح ولدها بيدها، وإن تعودت على مثل تلك المشاهد للغير، فكيف استطاعت قدما أبي الأنبياء υ مطاوعته والمضي لتنفيذ الحكم؟ وكيف لم ترتجف يداه الطاهرتان وهو يمسك بالسكين ويمرره على عنق فلذة كبده؟ ليس لذلك إجابةٌ إلا الرضا المطلق بقضاء الله تعالى، والقنوت الحقيقي في جنبه، وهو الإيمان ذاته الذي ظهر في قلب أبينا υ يوم ألقي في النار، ويوم تعرضت زوجته للابتلاء، هذا الإيمان الحقيقي الذي لو وُزّع في زماننا الخاليَ هذا على أهل الأرض لوسعهم.

المبحث الخامس: منزلته عند الله تعالى.

لم يكن إبراهيم υ رجلا عادياً، بل كان رجلا متميزاً في كل ما يقول ويفعل، حتى استحق من الله تعالى معجزات وكرامات لم يستحقها أحد من عامة البشر. إلا

[1] الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب ذكر إبراهيم النبي خليل الله عز وجل، باب ذكر إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهمت، ح4036.

[2] رضا، **تفسير المنار**، ج12، ص 212.

رسول الله ρ، ولأجل هذه الصفات التي صقلت شخصيته، ذكره الله تعالى في مواضع عديدة من كتابه العزيز، في آيات تتلى حتى قيام الساعة، جعلت من شخصيته مثالا يتمنى كل إنسان أن يسير على خطاه، بل ويحشر معه، ويجاوره في الجنة، وهذه الصفات هي ما سأتناوله في المطالب الآتية.

المطلب الأول: صفاته في القرآن الكريم.

وصف الله تعالى عبده ونبيّه إبراهيم υ بأوصاف عدة في كتاب يُتلى حتى قيام الساعة، وأهم هذه الصفات التي اكتسبها من دينه هي حنيفيته السمحة[1]، قال تعالى **[وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ]**[2]، ثم إن الله تعالى سمى الراغب عن ملة إبراهيم υ سفيها[3] فقال **[وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ]**[4].

وقد أوتي υ الرشد منذ كان صغيرا **[وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِه عَالِمِينَ]**[5]، ومن الرشد الظاهر في شخصيته أنه كثير الندم على معاصيه وإن صغرت، شديد الحلم على من يخطئ معه مع عظم الخطأ **[إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأوَّاهٌ حَلِيمٌ]**[6] وليس هذا فحسب بل إنه أيضا دائم التوبة والرجوع إلى الله **[إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ]**[7] جاء في مفاتيح الغيب: وهذا مدح عظيم من الله تعالى لإبراهيم، أما الحليم فهو الذي لا يتعجل بمكافأة غيره، بل يتأنى فيه فيؤخر ويعفو، ثم ضم إلى ذلك ماله تعلق

---

[1] قد حَنَفَ وتَحَنَّفَ. والدينُ الحنيف: الإسلام، و الحَنيفِيَّة: مِلة الإسلام. والحنفاء: جَمْع حَنيفٍ، وهو المائل إلى الإسلام الثابتُ عليه. وفي الحديث: بُعثْتُ بالحنيفية السَّمْحة السَّهْلةِ: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة حنف ج9، ص58.

[2] البقرة، 135

[3] يقال: إنما البغي فعل مَن سَفِه الحق، والسفه في الأصل الخفّة والطيشُ وسَفِه فُلان رأيَه إذا كان مُضْطربا لا استِقامَ له: ابن الأثير الجزري، **النهاية في غريب الحديث**، ج2، ص 376.

[4] البقرة، 130

[5] الأنبياء، 51

[6] التوبة، 114

[7] هود، 75

بالحلم وهو قوله: "**أوّاه منيب**" لأن من يستعمل الحلم في غيره فإنه يتأوه إذا شاهد وصول الشدائد إلى الغير، فلما رأى مجيء الملائكة لأجل إهلاك قوم لوط، عظم حزنه بسبب ذلك، وأخذ يتأوه عليه، فلذلك وصفه الله تعالى بهذه الصفة، ووصفه أيضا بأنه منيب، لأن من ظهرت فيه هذه الشفقة العظيمة على الغير، فإنه ينيب ويتوب، ويرجع إلى الله في إزالة ذلك العذاب، ومن باب أولى صون النفس عن الوقوع في عذاب الله بالتوبة والإنابة[1].

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: وهو أنَّه كان حليمًا لا يُحِبُّ الْمُعَاجَلَةَ بِالعقَاب، كَثِيرَ التَّأَوُّهِ مِمَّا يَسوء ويؤلم ، مُنِيبٌ يَرْجِعُ إِلَى اللهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ[2].

ولم تكن هذه الصفات لتوجد إلا في قلب سليم كما أخبر عنه المولى عز وجل **[وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ # إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ]**[3] قال السيوطي: القلب السليم هو القلب الخالي من الشك في الله، والشرك به، ويشهد بأنه لا إله إلا هو[4].

وقلب إبراهيم υ أسلم القلوب في زمانه؛ إذ لم يكن على وجه الأرض مؤمن غيره وزوجته سارّة وابن أخيه لوط υ كما ثبت في الحديث الذي ذكرته في مطلب الابتلاء بالاعتداء على الزوجة[5].

ولم يُعطَ إنسان فوق النبوة عطاءً؛ فهي أشرف العطايا، وأعظمها، **[أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً]**[6] وقد فسر معظم العلماء الحكمة في الآية على أنها النبوة، قال ابن المنذر[7]: الكتاب: القرآن، والحكمة: السنة، ومُحَمَّد ρ من آل إبراهيم[1]. والمقصود من

---

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج2، ص 18.

[2] رضا، **تفسير المنار**، ج 12، ص 109.

[3] الصافات، 84

[4] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (911هـ)، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، ج2، ص252.

[5] أنظر صفحة 59.

[6] النساء، 54

[7] هو محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، أبو بكر: فقيه مجتهد، من الحفاظ. كان شيخ الحرم بمكة. قال الذهبي: ابن المنذر صاحب الكتب التي لم يصنف مثلها منها المبسوط في الفقه، والأوسط في السنن، وتفسير القرآن، توفي سنة319هـ. أنظر: الزركلي، **الأعلام**، ج5، ص294.

كلام ابن المنذر أن الله تعالى أعطى آل إبراهيم عطاءً جزيلاً، بل هو أفضل العطاء وأجلّه على الإطلاق، وهو النبوة، ومحمد ρ من آل إبراهيم υ وهو أفضلهم على الإطلاق.

أما الرازي فقد ذكر أن للحكمة معان ثلاثة: المواعظ، العلم والفهم، والنبوة، وهي أعظم مراتب الملك[2]. أما السيوطي فقد رجح أن تكون الحكمة هي السنة[3].

وكذلك فقد وصفه الله تعالى بأنه صديق فقال **[وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً]**[4] قال الفخر الرازي: الصدّيق هو الذي يكون كثير التصديق بالحق حتى يصير مشهوراً به، وذلك لأن المصدق بالشيء لا يوصف بكونه صديقاً إلا إذا كان صادقاً في ذلك التصديق، فيعود الأمر إلى الأول، فالمؤمنون بالله ورسله صادقون في ذلك التصديق، والنبي يجب أن يكون صادقاً في كل ما أخبر عنه؛ لأن الله تعالى صدّقه ومصدَّق اللهِ صادق، فلما ثبت أن كل نبي يجب أن يكون صديقاً ولا يجب في كل صديق أن يكون نبياً، ظهر بهذا قرب مرتبة الصديق من مرتبة النبي، فلهذا انتقل من ذكر كونه صديقاً إلى ذكر كونه نبياً. وأما النبي فمعناه كونه رفيع القدر عند الله وعند الناس وأي رفعة أعلى من رفعة من جعله الله واسطة بينه وبين عباده. وقوله: "**كَانَ صِدِّيقاً**" قيل: إنه صار وقيل إن معناه وجد صديقاً نبياً أي كان من أول وجوده إلى انتهائه موصوفاً بالصدق والصيانة[5].

وفوق كل هذه الصفات فهو كريم **[هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ]**[6] في هذه الآية يسأل الله تعالى سيدنا محمداً ρ إذا كان قد سمع عن ضيوف أبيه إبراهيم υ المكرَمين، وقد جاء الردّ في آية أخرى **[وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ**

---

[1] ابن المنذر النيسابوري، محمد بن إبراهيم أبو بكر (319هـ)، **تفسير القرآن**، ط1، المدينة المنورة: دار المآثر، 1423هـ ، 2002 م، ج2، ص 775.

[2] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج 4، ص 7 و ص161.

[3] السيوطي، **الدر المنثور**، ج3، ص 408.

[4] مريم، 41

[5] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج10، ص 311.

[6] الذاريات، 24

سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيـذٍ][1] قـال القرطبـي: فـي الآيـة أربـع عشـرة مسألة منها:

الأولى قوله تعـالى "**فمـا لبـث أن جـاء**" أن بمعنـى حتـى جـاء، قالـه كبـراء النحويين، حكاه ابن العربي[2]، والتقدير فما لبث حتى جاء، أي مـا أبطـأ عـن مجيئـه بعجـل حنيذ، وحنيذ مشوي، وقيل هو المشوي بحر الحجـارة دون أن تمسـه النـار، يقـال: حنـذتُ الشاة أحنِذُها حنذا أي شويتها، وجعلت فوقها حجارة محمـاة لتنضـجها، فهـي حنيـذ، وإنمـا جاء بعجل لأن البقر كانت أكثر أمواله.

الثانية في هذه الآية من أدب الضيف أن يعجل قـراه فيقـدم الموجـود الميسـر فـي الحال، ثم يتبعه بغيره إن كان له جدة ولا يتكلـف مـا يضـر بـه، والضـيافة مـن مكـارم الأخلاق، ومـن آداب الإسـلام، ومـن خلـق النبيـين والصـالحين، وإبـراهيم υ أول مـن أضاف[3].

وليست القوة في اليد والبصـيرة ببعيـدة عـن خليـل الـرحمن وأولاده υ **[وَاذْكُـرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ]**[4].

جاء في زاد المسير: (أولي الأيدي) يعني القـوة فـي الطاعـة، والأبصـار البصـائر في الدين والعلم[5].

وقال الرازي: واعلم أن اليد آلة لأكثر الأعمـال، والبصـر آلـة لأقـوى الإدراكـات، فحسن التعبير عن العمل باليـد وعـن الإدراك بالبصـر. إذا عرفـت هـذا فنقـول: الـنفس الناطقة الإنسانية لها قوتان عاملة وعالمة، أمـا القـوة العاملـة فأشـرف مـا يصـدر عنهـا

---

[1] هود، 69

[2] محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، أبوبكر ابن العربي. إمام من أئمة المالكية. وهو فقيه محدِّث مفسر أصولي أديب متكلِّم. كان أقرب إلى الاجتهاد منه إلى التقليد. له كتاب الخلافيات والإنصاف والمحصول في أصول الفقه وكتب كثيرة. توفي بمراكش ودفن بفاس سنة543هـ. نقلا عن الموسوعة العربية العالمية: http://www.mawsoah.net

[3] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج9، ص 63.

[4] سورة (ص)، 45

[5] ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج2، ص3.

طاعة الله، وأما القوة العالمة فأشرف ما يصدر عنها معرفة الله، وما سوى هذين القسمين من الأعمال والمعارف فكالعبث والباطل، فقوله: "**أولي الأيدي والأبصار**" إشارة إلى هاتين الحالتين، فاليد تذكر في اللغة على وجوه: أحدها: الجارحة وهو معلوم، وثانيها: النعمة، تقول: لفلان عندي يد أشكره عليها، وثالثها: القوة [1]. والراجح أن اليد في جانب هؤلاء الأنبياء υ تنطبق عليها المعاني الثلاثة.

المطلب الثاني: مكانته بين أولي العزم من الرسل.

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي: إن أكمل الناس توحيدا الأنبياء عليهم السلام، والمرسلون منهم أكمل في ذلك، وأولو العزم من الرسل أكملهم توحيدا، وأكملهم الخليلان: محمد ρ وإبراهيم υ، فإنهما قاما من التوحيد بما لم يقم به غيرهما علما، ومعرفة، وحالا، ودعوة للخلق وجهادا، فلا توحيد أكمل من الذي قامت به الرسل، ودعوا إليه، وجاهدوا الأمم عليه, ولهذا أمر سبحانه نبيه أن يقتدي بهم فيه, كما قال تعالى، بعد ذكر مناظرة إبراهيم υ قومه في بطلان الشرك وصحة التوحيد، وذكر الأنبياء من ذريته: [**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ**][2]. فلا أكمل مِن توحيد مَن أُمر رسولُ الله ρ أن يقتدي بهم, وكان ρ يعلّم أصحابه إذا أصبحوا أن يقولوا: "**أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد وملة أبينا إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين**"[3].[4].

وربما يقول قائل أنه لا يوجد تفاوت بين الأنبياء في التوحيد، فعلى أي أساس بنى ابن أبي العز الحنفي كلامه السابق؟ والإجابة حسب ما أرى هي أن التفاوت بينهم في التوحيد حاصل كما هو حاصل بين البشر، وإلا لما أمر الله تعالى نبيه محمداً ρ بالصبر تأسياً بمجموعة منهم سماهم الله تعالى أولوا العزم من الرسل، وقد تحدثتُ عنهم في الفصل الأول، ومع أنني أرجح أن الأنبياء كلهم أولوا عزم إلا أنني أؤكد على

---

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج 13، ص 202

[2] الأنعام، 90

[3] ابن حنبل، **مسند أحمد**، ج3، ص 305، ح 15397.

[4] ابن أبي العز الحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية**، ج 1، ص 96.

تفاوت هذا العزم بناء على كمال التوحيد، ولست أقصد -لا قدّر الله تعالى- الانتقاص من قدر الأنبياء ولكنها محاولة في فهم قوله تعالى [**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ**][1]. وكل مسلم يعلم سنة الله تعالى في التفضيل بين البشر فقد قال جل وعلا [**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**][2]. فالتقوى إذن هي معيار التفاضل بين الناس جميعا، وبما أن الآية خاليةٌ من أي تخصيص لطبيعة هؤلاء الناس فيدخل في التفضيل بالتقوى الأنبياء وغيرهم.

ذكرت هذه الصفة الخاصة مرة واحدة في القرآن الكريم قال الله عز وجل لحبيبه المصطفىρ [**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلاَغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ**][3]. وقد اختلف المفسرون في تحديد من هم أولو العزم من الرسل، فذهب معظمهم -وسأذكر أقوال بعضهم لاحقا- إلى أنهم الذين ذكرهم الله تعالى في آية واحدة، في سورة الشورى [**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ**][4]. وفيما يأتي أقوال بعضهم:

فقد ذهب الطبري إلى القول بأن أولي العزم هم الذين امتحنوا في ذات الله في الدنيا بالمحن، فلم تزدهم المحن إلا جدا في أمر الله، وهم: نوح وإبراهيم وموسى

---

[1] البقرة، 253

[2] الحجرات، 13

[3] الأحقاف، 35

[4] الشورى، 13

وعيسى عليهم السلام ومحمد ρ، وقد نَقل عن ابن زيــد[1] قولـــه: "كــل الرســل كــانوا أولــي عزم، لم يتخذ الله رسولا إلا كان ذا عزم"[2].

لذلك نرى الفخر الرازي يرجح أن الحرف "مــن" فــي قولــه تعــالى "**مــن الرســل**" للبيان وليس للتبعيض، كما يقال كسيته من الخز، وكأنــه قيــل: اصــبر كمــا صــبر الرســل من قبلك على أذى قومهم ووصفهم بالعزم لصبرهم وثباتهم[3].

وقد ذهب الإمام ابن القيم إلى القول بأن الله تعــالى خــصّ أهــل الــذكر بــالله وهــم أعلمهم بصفاته عز وجل بهذه الصفة، ولذلك كــان أولــو العــزم مــن الرســل وهــم نــوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصــلاة والســلام هــم خيــر خلــق الله؛ للمعــارف التي حصلت لهم بصفاته سبحانه بحيث لم يؤتها غيرهم[4].

أما الإمام القرطبي فقد نقــل عــن مجاهــد قولــه: "هــم خمســة: نــوح وإبــراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام" وهــم أصــحاب الشــرائع، وقــول الســدي: "هم ستة إبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيســى ومحمــد صــلوات الله علــيهم أجمعــين"، وقيل: نوح وهود وصالح وشعيب ولــوط وموســى[5] وهــم المــذكورون علــى النســق فــي سورة الأعراف والشعراء، وقول ابن عباس أيضــا كــل الرســل كــانوا أولــي عــزم قــال وإنما دخلت من للتجنيس لا للتبعيض، وقد استثنى بعــض العلمــاء آدم لقولــه تعــالى [**وَلَقَــدْ**

---

[1] هوجابر بن زيد الأزدي البصري، أبو الشعثاء: تابعي فقيه، من أهل البصرة. أصله من عمان. صحب ابن عباس وكان من بحور العلم، وصفه الشماخي (وهو من علماء الأباضية) بأنه أصل المذهب وأسه الذي قامت عليه آطامه. قال الإمام أحمد: لما مات جابر بن زيد سنة 93هـ قال قتادة: اليوم مات أعلم أهل العراق. أنظر: الزركلي، **الأعلام**، ج2، ص140.

[2] الطبري، **جامع البيان**، ج 27، ص36. بتصرف.

[3] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج28، ص31. بتصرف.

[4] ابن عيسى، أحمد بن إبراهيم (1329هـ)، **توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم الموسومة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية**، ط3، بيروت، المكتب الإسلامي، 1406هـ- 1386م، ج2، ص341.

[5] إشارة إلى سورة الأعراف الآيات: 59- 171، ومعظم آيات سورة الشعراء، إلا أن ترتيبهم في سورة الأعراف على النحو الآتي: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم الصلاة والسلام. أما في سورة الشعراء فعددهم سبعة وترتيبهم هو: موسى وإبراهيم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب.

عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً][1]، ويونس لخفة في صبره وخروجه مغاضبا **[وذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**[2]**]**[3].

وقد ذكر ابن كثير ما ذكره غيره من العلماء ورجح ما رجحه الطبري فقال: يقول تعالى لهذه الأمة **[شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ]**[4] فذكر أول الرسل بعد آدم υ، وهو نوح υ، وآخرهم وهو محمد ε، ثم ذكر مَن بين ذلك من أولي العزم، وهو إبراهيم وموسى وعيسى بن مريم عليهم السلام، وهذه الآية انتظمت ذكر الخمسة، كما اشتملت آية الأحزاب عليهم، في قوله تبارك وتعالى **[وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً]**[5] والدين الذي جاءت به الرسل كلها هو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال عز وجل[6]. وإلى مثل ذلك ذهب الإمام ابن أبي العز الحنفي[7].

وقد رجح الشيخ محمد رشيد رضا أنهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلَوات الله وسلامه عليهم كان يدفعهم إلى من بعده حتى إذا انتهوا إلى الخاتم كان هو الشَّافع المشفَّع[8].

---

[1] طه، 115

[2] الأنبياء، 87

[3] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج 16، ص 220 –222. بتصرف.

[4] الشورى، 13

[5] الأحزاب، 7

[6] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص110.

[7] ابن أبي العز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد الأذرعي الصالحي الدمشقي (792هـ)، **شرح العقيدة الطحاوية**، ط1، مصر: دار السلام للطباعة والنشر، 1426هـ– 2005م، ج1، ص349.

[8] رضا، **تفسير المنار**، ج 7، ص 502.

أما الإمام السيوطي الذي آثرتُ أن أذكر كلامه آخر الأقوال؛ لأن فيه شيئاً من التفصيل، فقد قال: أولوا العزم من الرسل هم نوح وهود وإبراهيم، فأُمر رسول الله ρ أن يصبر كما صبروا، وكانوا ثلاثة ورسول الله ρ رابعهم قال الله تعالى عن نوح υ **[وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ]**[1]. فأظهر لهم المفارقة، وقال هود υ حين قالوا **[إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ]**[2] فأظهر لهم المفارقة، وقال عن إبراهيم υ **[قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ]**[3] فأظهر لهم المفارقة، وقال يا محمد **[قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ]**[4] فقام رسول الله ρ عند الكعبة فقرأها على المشركين فأظهر لهم المفارقة[5].

والراجح عندي في مسألة تحديد أولي العزم من الرسل هو ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عائشة ψ قالت: "ظل رسول الله ρ صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه ثم ظل صائما قال: "**يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة إن الله لم يرض من أولي العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ثم لم يرض مني إلا أن يكلفني ما كلفهم فقال: فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وإني والله لأصبرن كما صبروا جهدي ولا قوة إلا بالله**"[6]. ومع أن هذا الحديث

---

[1] يونس، 71

[2] هود، 54

[3] الممتحنة، 4

[4] الأنعام، 56

[5] السيوطي، **الدر المنثور**، ج4، ص91.

[6] ابن أبي حاتم الرازي، **تفسير القرآن**، ج10، ص3279، والحديث ضعيف؛ في سنده مجالد بن سعيد الهمداني. أنظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج6، ص284.

ضعيف، إلا أن معناه صحيح، فقد أجمع العلماء على أن سـيدنا محمـدا ρ هـو إمـام أولـي العزم من الرسل، ولم يُبتلَ إنسان بمثل ما ابتُليَ بـه ρ، وهـو مـن هـؤلاء الرجـال الـذين هم أفضل البشرية على الإطلاق، وقد قال هو عـن نفسـه: "**أنـا سـيد ولـد آدم وأول مـن تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع**"[1].

فإذا اعتبرنا الابتلاء والصبر عليه أساسا لهذا الشرف فـي التسـمية، كـان الأنبيـاء كلهم أولي عزم، ودخل معهم في الصفة الصـابرون علـى الابـتلاء، وإذا اعتبرنـا تكـذيب أقوامهم لهم أساسا، دخل الأنبياء كلهـم فـي التسـمية، وإذا اعتبرنـا البعـد عـن النقـائص والصغائر والكبائر، دخل جميعهم كـذلك، أمـا بالنسـبة للمفارقـة التـي ذكرهـا السـيوطي رحمه الله فإنه من المعلـوم لـدى المسـلمين أن جميـع الأنبيـاء فـارقوا أقـوامهم مفارقـة جسدية أي بالهجرة، أو معنوية أي بالهَجر، مصداقا لقوله تعـالى [**فَـإِنْ كَـذَّبُوكَ فَقَـدْ كُـذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ**][2].

فالراجح عندي إذن أن الأنبياء كلهـم أولـو عـزم وبـأس وقـوة لـيس لهـا فـي البشرية مثيل، ولم يكن أحد من البشر مثلهم، ولـن يكـون، مـع الإقـرار بـأن هـذا العـزم يتفاوت حتى يقول الله تعالى [**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْـضٍ مِـنْهُمْ مَـنْ كَلَّـمَ اللَّـهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـاتٍ وَآتَيْنَـا عِيسَـى ابْـنَ مَـرْيَمَ الْبَيِّنَـاتِ وَأَيَّـدْنَاهُ بِـرُوحِ الْقُـدُسِ**][3]. وإبراهيم υ واحد من أولي العزم هؤلاء، تميـز علـيهم بأنـه أبٌ لمجموعـة كبيـرة مـنهم، ومن ذريته انبثقت الديانات الثلاث، التي ختمت بمحمد ρ.

المطلب الثالث: تكريمه بالإمامة ووصفه بالأمة.

ومما ورد في تكريمه υ أن الله تعالى كلّفه بالإمامـة، وهـي مـن التكـاليف الشّـاقّة، التي يعجز عنها كثير من الأقوياء عقلاً وجسداً، إلا أن إبـراهيم υ الـذي أوتـي رشـده منـذ أن كان صغيرا، تلقى هذا الابتلاء بالخير بصدر رحب كما عهـده ربُّـه جـلّ وعـلا، فكـان

[1] ابن أبي شيبة، **المصنف في الأحاديث والآثار**، كتاب الأوائل، باب أول من فعل وما فعله، ح35849.
[2] آل عمران، 184
[3] البقرة، 253

عند حسن ظنه، قال تعالى [**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْـرَاهِيمَ رَبُّـهُ بِكَلِمَـاتٍ فَـأَتَمَّهُنَّ قَـالَ إِنِّـي جَاعِلُـكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّـالِمِينَ**][1]. قـال ابـن كثيـر: لمـا جعـل الله إبراهيم إماما، سأل اللهَ أن تكون الأئمة من بعده من ذريتـه، فأجيـب إلـى ذلـك، وأخبـر أنه سيكون من ذريته ظالمون، وأنـه لا ينـالهم عهـد الله، ولا يكونـون أئمـة، فـلا يقتـدى بهم، والدليل على أنه أجيب إلى طلبه قوله تعـالى[**وَوَهَبْنَـا لَـهُ إِسْـحَاقَ وَيَعْقُـوبَ وَجَعَلْنَـا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الـدُّنْيَا وَإِنَّـهُ فِـي الْـآخِرَةِ لَمِـنَ الصَّـالِحِينَ**][2]. فكل نبي أرسله الله، وكل كتاب أنزله الله بعـد إبـراهيم كـان فـي ذريتـه υ، وأمـا قولـه تعالى "**قال لا ينال عهدي الظالمين**" فقد اختلفوا في ذلـك فقـال مجاهـد: إنـه سـيكون فـي ذريتك ظالمون[3].

وقد جاء في مفاتيح الغيب: اعلم أنـه سـبحانه وتعـالى لمـا استقصـى فـي شـرح وجوه نعمه على بني إسرائيل، ثم في شرح قبائحهم فـي أديـانهم وأعمـالهم، شـرع سـبحانه ههنا في نوع آخر من البيان وهو ذكـر قصـة إبـراهيم υ، والحكمـة فيـه أن إبـراهيم υ شخص يعترف بفضله جميـع الطوائـف والملـل، فالمشـركون كـانوا معتـرفين بفضـله، متشرفين بأنهم من أولاده، ومن ساكني حرمه وخـادمي بيتـه، وأهـل الكتـاب مـن اليهـود والنصارى كانوا أيضا مقـرين بفضـله، متشـرفين بـأنهم مـن أولاده، فحكـى الله سـبحانه وتعالى عن إبراهيم υ أمورا توجب علـى المشـركين وعلـى اليهـود والنصـارى قبـول قول محمد ρ، والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه، وبيانه من وجوه:

أحدها: أنه تعالى لما أمره ببعض التكاليف فلما وفّـى بهـا، وخـرج عـن عهـدتها لا جرم نال النبوة والإمامة.

وثانيها: أنه تعالى حكى عنه أنه طلـب الإمامـة لأولاده فقـال الله تعـالى: "**لا ينـال عهدي الظالمين**" فدل ذلك على أن منصـب الإمامـة والرياسـة فـي الـدين لا يصـل إلـى

---

[1] البقرة، 124

[2] العنكبوت، 27

[3] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج 1، ص 168.

الظالمين، فهؤلاء متى أرادوا وجدان هذا المنصب وجب عليهم ترك اللجاج والتعصب للباطل.

وثالثها: أن الحج من خصائص دين محمد ρ، فحكى الله تعالى ذلك عن إبراهيم ليكون ذلك كالحجة على اليهود والنصارى في وجوب الانقياد لذلك[1].

أما قوله تعالى: "**إني جاعلك للناس إماما**" فالإمام اسمٌ لمن يؤتم به كالإزار لما يؤتزر به، أي يأتمون بك في دينك. والذي يكون كذلك لا بد وأن يكون رسولا من عند الله مستقلا بالشرع لأنه لو كان تبعا لرسول آخر لكان مأموما لذلك الرسول لا إماما له، فحينئذ يبطل العموم. وهذا يدل على أنه υ كان معصوما عن جميع الذنوب لأن الإمام هو الذي يؤتم به ويُقتدى[2]، قال تعالى **[وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ]**[3].

وقد قال ابن أبي العز الحنفي: ولما كان بيت إبراهيم υ أشرف بيوت العالم على الإطلاق، خصهم الله بخصائص, منها: أنه جعل فيه النبوة والكتاب، فلم يأت بعد إبراهيم نبي إلا من أهل بيته. ومنها: أنه سبحانه جعلهم أئمة يهدون بأمره إلى يوم القيامة، فكل من دخل الجنة من أولياء الله بعدهم فإنما دخل من طريقهم وبدعوتهم, ومنها: أنه سبحانه اتخذ منهم الخليلين، ومنها: أنه جعل صاحب هذا البيت إماما للناس. ومنها: أنه أجرى على يديه بناء بيته الذي جعله قياما للناس ومثابة للناس وأمنا، وجعله قبلة لهم وحجا، فكان ظهور هذا البيت في الأكرمين, ومنها: أنه أمر عباده أن يصلوا على أهل البيت, إلى غير ذلك من الخصائص[4].

ومن خصائصه υ ما ذكره الله تعالى عنه من أَنَّه υ أَتَمَّ الكلمات التي ابتلاه الله بهنّ، وأَنَّه تعالَى قال لَه "**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**" وقد فُصلت الجملة عمّا قبلها ؛ لأنّها

---

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج2، ص 76 –77.

[2] المصدر السابق،ج2، ص68.

[3] الأنبياء، 73

[4] ابن أبي العز الحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية**، ج1، ص296.

جوابٌ عن سؤالٍ مقدَّرٍ تدل عليه القرينة، ولم يقل: فقال إنِّـــي جاعلـــك؛ للإشـــعار بـــأنَّ هـــذه الإمامةَ بمحض فضل الله تَعَالَى واصطفَائه، لا بســـبب إتمـــام الكلمـــات، فـــإنَّ الإمامـــةَ هنـــا عبارةٌ عن الرسالة وهي لا تنال بكسب الكاسب[1].

ثم وصفه الله تعالى بالأمة فقال **[إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّـــةً قَانِتــاً لِلّـــهِ حَنِيفـــاً وَلَـــمْ يَـــكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ]**[2] قال ابن الجوزي: هذا مثـــل قـــول العـــرب فـــلان رحمـــة، وفـــلان علاّمـــة ونسّابه، ويقصدون بهذا التأنيث قصد التناهي في المعنـــى الـــذي يصـــفونه، وللمفســـرين فـــي المراد بالأمة هاهنا ثلاثة أقوال:

أولها أن الأمّة الذي يعلّم الخير.

والثاني أنه المؤمن وحده في زمانه.

والثالث أنه الإمام الذي يُقتدى به[3].

وقد جاء في إعانة المستفيد للشيخ صالح الفـــوزان[4] أن الأمـــة معناهـــا: القـــدوة فـــي الخير، فهو إمامٌ للناس، ومرشد لهم، ومعـــين علـــى الخيـــر، ونوائـــب الـــدهر، كمـــا قـــال تعالى: **[وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَـــالَ إِنِّـــي جَاعِلُـــكَ لِلنَّـــاسِ إِمَامـــاً]**[5] يعنـــي: قدوة لأهل الخير إلى أن تقوم الساعة[6].

والراجح أنه الإمام الذي يقتدى به لمناسبة ذلك لأبـــي الأنبيـــاء؛ فهـــو υ لـــم يســـتحق تلك الصفة الخاصة إلا لأنه قدوة لهم علـــيهم صـــلوات الله أجمعـــين، وهـــو المـــؤمن وحـــده

---

[1] رضا، **تفسير المنار**، ج1، ص 374.

[2] النحل، 120

[3] ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج3، ص412.

[4] هو فضيلة الشيخ الدكتور: صالح بن فوزان بن عبد الله، ولد عام 1354هـــ، عضو في اللجنة الدائمة للإفتاء والبحوث العلمي في المملكة العربية السعودية، من **مشايخه:** الشيخ عبد العزيز بن باز، والشنقيطي، له: شرح العقيدة الواسطية، مجموع فتاوى في العقيدة والفقه، شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب. أنظر: www.alfawzan.ws/

[5] البقرة، 124

[6] الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله، **إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد**، ط3، القاهرة: مؤسسة الرسالة، 1423هـــ 2002م، ج1، ص 75.

وزوجته وابن أخيه في زمانه، وهو معلم البشرية الخير وفضـــله علـــى جميـــع أهـــل الملـــل بعده.

فهو υ إمام الناس، وأبـــو الأنبيـــاء، ووالـــد الـــذبيح، وخليـــل الله، صـــلى الله تعـــالى عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا، لقد كان أمـــةً وحـــده؛ لكمـــال صـــفاته الخُلُقيـــة المؤهلـــة لهذه المرتبة الرفيعة.

المطلب الرابع: تكريمه بالصلاة الإبراهيمية.

يسمى الدعاء الذي نتلوه مرة واحدة فـــي الجلـــوس الأخيـــر مـــن كـــل صـــلاة قبـــل التسليم: الصلاة الإبراهيمية؛ نسبة إلى سيدنا إبراهيم υ؛ لأننا نثني فيهـــا عليـــه، ونـــدعو لـــه ولآله فيها برحمة الله وتسـليمه، فعـــن أبـــي حميـــد الســـاعدي[1] أن الصـــحابة رضـــوان الله عليهم قالوا: يا رسول الله كيف نصـــلي عليـــك؟ قـــال: "**قولـــوا اللهـــم صـــل علـــى محمـــد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك علـــى محمـــد وأزواجـــه وذريتـــه كمـــا باركت على آل إبراهيم إنك حميـــد مجيـــد**"[2]. جـــاء فـــي شـــرح الطحاويـــة: وهنـــا ســـؤال مشهور، وهو: أن النبي ρ أفضل من إبراهيم υ، فكيف طلـــب لـــه مـــن الصـــلاة مثـــل مـــا لإبراهيم، مع أن المشبه به أصله أن يكون فوق المشبه؟ وقـــد أجـــاب عنـــه العلمـــاء بأجوبـــة عديدة، وأحسنها: أن آل إبراهيم فيهم الأنبياء الذين ليس فـــي آل محمـــد مـــثلهم، فـــإذا طلـــب للنبي ρ ولآله من الصلاة مثل ما لإبراهيم وآلـــه وفـــيهم الأنبيـــاء، حصـــل لآل محمـــد مـــا يليق بهم لأنهم لا يبلغون مراتب الأنبيـــاء، وتبقـــى الزيـــادة التـــي للأنبيـــاء وفـــيهم إبـــراهيم ومحمد ρ، فيحصل له من المزية ما لم يحصل لغيره. وأحســـن مـــن هـــذا: أن النبـــي ρ مـــن آل إبراهيم، بل هو أفضـــل آل إبـــراهيم، فيكـــون قولنـــا: كمـــا صـــليت علـــى آل إبـــراهيم متناولا الصلاة عليه وعلى سائر النبيين من ذرية إبـــراهيم وهـــو متنـــاول لإبـــراهيم أيضـــا.

---

[1] هو المُنْذِرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ الْمُنْذِرِ أَبُو حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ مُخْتَلَفٌ فِي اسْمِهِ، فَقِيلَ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَقِيلَ: الْمُنْذِرُ، من فقهاء الصحابة. روى عنه: جابر بن عبد الله، وعروة بن الزبير. شهد أحدا وما بعدها. توفي سنة60هـــ، وقيل توفي قبلها بقليل. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج6، ص64.

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الدعوات، باب هل يصلى على غير النبي ρ ، ح5999.

كما في قوله تعالى: **[إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ]**[1]. فإبراهيم وعمران دخلا في آل إبراهيم وآل عمران[2].

وخالف الشيخ العثيمين[3] رحمه الله فقال: اختلف العلماء في نوع الكاف في "كما صلَّيت على آل إبراهيم" هل هي للتشبيه أو للتعليل؟ فذهب أكثرهم إلى أنها للتشبيه، وهؤلاء فتحوا على أنفسهم إيراداً يحتاجون إلى الجواب عنه، وذلك بأن القاعدة أن الأصل في المشبَّه أن يكون دون المُشبَّه به، ومعلومٌ أنَّ محمداً ρ وآله أفضل من إبراهيم υ وآله، فلذلك حصل الإشكال؛ لأن هذا يعارض القاعدة المتفق عليها -من أن المشبه به فوق المشبه- وأجابوا عن ذلك بأجوبة، وذكر مثل ما قاله ابن أبي العز الحنفي، ثم أكد أن الكاف للتعليل؛ واستشهد لصحة ذلك بقول ابن مالك[4]:

شَبِّه بكافٍ وبها التَّعليل قد يُعنى وزائداً لتوكيد وَرَدْ[5]

فأفاد بقوله: "وبها التعليل قد يُعنى" أنه قد يُقصد بها التعليل. وأثبت ذلك بأمثلة كقوله تعالى: **[كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ]**[6] فإن الكاف هنا للتعليل لما سبق. فهذا القول بأنَّ الكاف في قوله: "**كما صَلَّيت**" للتعليل من باب التوسل بالفعل السابق إلى تحقيق اللاحق، هو القول الأصحُّ الذي لا يَرِدُ عليه إشكال[7].

---

[1] آل عمران، 33

[2] ابن أبي العز الحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية**، ج1، ص 296.

[3] هو الشيخ محمد بن صالح آل عثيمين من بني تميم. اهتم بالتأليف وتحرير الفتاوى والأجوبة التي تميَّزت بالتأصيل العلمي الرصين, وصدرت له العشرات من الكتب والرسائل والمحاضرات والفتاوى والخطب واللقاءات والمقالات, تُوفي في جدّة عام 1421هـ. أنظر: *www.ibnothaimeen.com*

[4] محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين: أحد الأئمة في علوم العربية. ولد في جيان بالأندلس وانتقل إلى دمشق فتوفي فيها. أشهر كتبه الألفية في النحو، وله تسهيل الفوائد الكافية الشافية أرجوزة في نحو ثلاثة آلاف بيت، توفي سنة 672هـ. أنظر: الزركلي، **الأعلام**، ج6، ص233.

[5] ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي (769هـ)، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، ط1، بيروت: دار الفكر، 1414هـ- 1994م، ج2، ص558.

[6] البقرة، 151

[7] العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (1421هـ)، **الشرح الممتع على زاد المستقنع**، ط1، دار ابن الجوزي، 1428 هـ، ج2، ص166.

والراجح قول الشيخ عثيمين؛ لأنه -كما قال- لا يرد عليه إشكال، ولإخبار الله تعالى أنه صلى على آل إبراهيم υ على لسان نبيه ρ، ولأن الأصل في الدعاء أن يسأل المؤمن الله تعالى من خير ما سأله منه عباده الصالحون فقد أخرج ابن أبي شيبة عن ابن مسعود τ أنه قال: **إذا فرغ أحدكم من التشهد في الصلاة فليقل: اللهم إني أسألك من الخير كله، ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله، ما علمت منه وما لم أعلم، اللهم إني أسألك من خير ما سألك عبادك الصالحون، وأعوذ بك من شر ما استعاذ منه عبادك الصالحون، ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار**[1]. وكلام ابن مسعودψ هذا تلقاه عن رسول الله ρ حين سأل الله تعالى في نهاية صلاته ما سأله إياه إبراهيم υ، وهو ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثناء على إبراهيم υ وآله فقال**[قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ]**[2]، وهو أيضا ما أثنى به على محمد ρ وآله حين قال **[وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً]**[3].

المطلب الخامس: تكريمه ببناء البيت ونداء الناس.

يعتقد المسلمون جميعا اعتقادا جازما بأن إبراهيم υ هو الذي رفع القواعد من الكعبة وقد كان مكانها معروفا سابقا، قال تعالى **[وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ]**[4]، قال ابن عباس ψ بوأنا أي: جعلناه، وقال مقاتل دللناه عليه[5].

ويدل على ذلك قوله تعالى **[وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ]**[6]، قال الفخر الرازي: فهذا صريح في أن تلك القواعد كانت موجودة متهدمة إلا أن إبراهيم υ رفعها وعمّرها[7].

---

[1] ابن أبي شيبة، **المصنف في الأحاديث والآثار**، كتاب الأوائل، باب ما يقال بعد التشهد، ح3025.

[2] هود، 73

[3] الأحزاب، 33

[4] الحج، 26

[5] ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج1، ص75.

[6] البقرة، 127

[7] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج2، ص106.

ثم أمره الله تعالى بتطهير البيت لحجاجه فقال عز وجل **[وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ]**[1]. قال قتادة يريد طهراه من عبادة الأوثان والشرك وقول الزور، فإن قيل لم يكن هناك بيت، فما معنى أمرهما بتطهيره؟ فقد نقل فيه جوابان:

أحدهما: أنه كانت هناك أصنام فأمرا بإخراجها قاله عكرمة τ.

والثاني: أن معناه ابنياه مطهرا[2].

وذكر الرازي في هذا أقوالاً للمفسرين:

أولها: ابنياه وطهراه من الشرك وأسساه على التقوى.

وثانيها: عرفا الناس أن بيتي طهرة لهم متى حجوه وزاروه وأقاموا به.

وثالثها: ابنياه ولا تدعا أحداً من أهل الريب والشرك يزاحم الطائفين فيه، بل أَقِرَّاه على طهارته من أهل الكفر والريب.

ورابعها: معناه نظفا بيتي من الأوثان والشرك والمعاصي، ليقتدي الناس بكما في ذلك.

وخامسها: قال بعضهم: إن موضع البيت قبل البناء كان يلقى فيه الجيف والأقذار فأمر الله تعالى إبراهيم υ بإزالة تلك القاذورات وبناء البيت هناك، وهذا ضعيف؛ لأنه قبل البناء لم يكن البيت موجوداً، فتطهير ذلك المكان لا يكون تطهيراً للبيت، ويمكن أن يجاب عنه بأنه سماه بيتاً لأنه علم أن مآله إلى أن يصير بيتاً، ولكنه مجاز[3]، وهو يرجح أن يكون الأمر بالتطهير من النجاسة المعنوية والمادية[4].

وهذا هو الأهم إذ بعد ذلك التطهير هناك أمر من الله تعالى يُدهش العقول؛ فقد أمر نبيه υ أن ينادي بالناس إلى الحج **[وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً**

---

[1] البقرة، 125

[2] ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج1، ص 111.

[3] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج2، ص 341.

[4] المصدر السابق، ج2، ص341.

وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ][1]، فسأل ربه عن الوسيلة فأوحى إليه أن عليك النداء وعليّ التبليغ فعن ابن عباس ψ قال: "**لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت العتيق قيل له أذن في الناس بالحج، قال: رب وما يبلغ صوتي؟ قال: أذن وعليّ البلاغ، قال: فقال إبراهيم υ: يا أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق، قال: فسمعه ما بين السماء إلى الأرض، ألا ترى أن الناس يجيئون من أقاصي الأرض يلبون**"[2].

وقد روي مثله عن أبي هريرة ψ مرفوعا: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ρ: "**لَمَّا فَرَغَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ أَمَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُنَادِيَ فِي الْحَجِّ، فَقَامَ عَلَى الْمَنَارِ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ قَدْ بَنَى لَكُمْ بَيْتًا فَحُجُّوهُ، وَأَجِيبُوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَأَجَابُوهُ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ: أَجَبْنَاكَ أَجَبْنَاكَ، لَبَّيْكَ اللهُمَّ لَبَّيْكَ، قَالَ: "فَكُلُّ مَنْ حَجَّ الْيَوْمَ فَهُوَ مِمَّنْ أَجَابَ إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَدْرِ مَا لَبَّى**"[3]. ثم دعا إبراهيم υ ربه جل وعلا أن يريه المناسك **[وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ]**[4].

قال ابن رشد القرطبي: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قال : "قد فعلت، أي ربي فأرنا مناسكنا: أبرزها لنا، علمنا إياها"، فبعث الله عز وجل جبريل υ، فحج به. وقيل: أي علمنا كيف نذبح نسائكنا[5].

وقد التزم إبراهيم υ بأمر ربه، فأقام البيت، وطهره، ونادى في الناس، فبلغ نداؤه قلوب البشر وأسماعهم إلى يوم القيامة، ولا زالت آثار رفعه للبيت ماثلة حتى اليوم **[فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ**

---

[1] الحج، 27

[2] ابن أبي شيبة، **المصنف في الأحاديث والآثار**، كتاب الفضائل، باب ما ذكر مما أعطى الله إبراهيم υ، ح31818.

[3] الفاكهي، محمد بن إسحاق بن العباس أبو عبد الله (272هـ)، **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**، ط2، بيروت: دار خضر، 1414هـ، ج1، ص445.

[4] البقرة، 128

[5] ابن رشد القرطبي، محمد بن أحمد أبو الوليد (450هـ)، **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة**، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1408هـ- 1988م، ج17، ص 308.

الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ][1]. ولا زال أيضا صدى ذاك النداء يهزّ قلوبنا، ويشنّف أسماعنا.

وهناك حديث في الصحيح يدلّ على أن إبراهيم υ هو باني المسجد الأقصى أيضا فعن أبي ذر الغفاري ψ قال: "**سألت رسول الله ρ عن أول مسجد وضع في الأرض، فقال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون عاما**"[2]. قال ابن القيم رحمه الله: وقد أشكل هذا الحديث على من لم يعرف المراد به فقال: معلوم أن سليمان بن داود υ هو الذي بنى المسجد الأقصى، وبينه وبين إبراهيم υ أكثر من ألف عام، وهذا من جهل هذا القائل؛ فإن سليمان υ إنما كان له من المسجد الأقصى تجديده لا تأسيسه، والذي أسسه هو يعقوب بن إسحاق صلى الله عليهما وآلهما وسلم بعد بناء إبراهيم υ الكعبة بهذا المقدار[3].

وقد قال الإمام ابن حجر: وجواب ذلك: إن الإشارة إلى أول البناء تعني وضع أساس المسجد، وليس إبراهيم υ أول من بنى الكعبة، ولا سليمان υ أول من بنى بيت المقدس، فقد روينا أن أول من بنى الكعبة آدم υ، ثم انتشر ولده في الأرض، فجائز أن يكون بعضهم قد وضع أساس بيت المقدس، ثم بنى إبراهيم υ الكعبة بنص القرآن. ونَقَل عن الخطابي قوله: يمكن أن يكون أول من وضع بناء المسجد الأقصى بعض أولياء الله قبل داود وسليمان υ، ثم داود وسليمان υ، فزادا فيه ووسّعاه، فأضيف إليهما بناؤه، وقد قيل: إن أول من أسس المسجد الأقصى آدم υ، وقيل: الملائكة، وقيل: سام بن نوح υ، وقيل: إبراهيم ويعقوب υ، وقيل: داود وسليمان υ. فعلى الأولين –تأسيس آدم υ أو الملائكة للمسجد الأقصى- يكون ما وقع ممن بعدهما تجديدا، كما وقع في الكعبة، وعلى الأخيرين يكون الواقع من إبراهيم أو يعقوب υ أصلا وتأسيسا، ومن داود υ تجديدا لذلك، وابتداء بناء، فلم يكمل على يده حتى أكمله سليمان υ، والاحتمال الذي يرجحه ابن حجر هو الذي ذكره ابن الجوزي، وقد وجد ما

---

[1] آل عمران، 97

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأنبياء، باب يزفون وهو النسلان في المشي، ح3186.

[3] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (751هـ)، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ط14، بيروت، الكويت، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية،1407هـ- 1986م، ج1، ص49.

يشهد له ويؤيده وهو قول من قال: إن آدم υ هو الذي أســس كــلاً مــن المســجدين، وذكــر أن ابن هشام قال في كتاب التيجان: أن آدم υ لما بني الكعبــة، أمــره الله بالســير إلــى بيــت المقدس، وأن يبنيه فبناه ونسك فيه، وبناء آدم للبيت مشهور[1].

والراجح لديّ أن إبراهيم υ هو الــذي رفــع قواعــد المســجد الأقصــى بعــد رفــع قواعد البيت الحرام بأربعين عاما، كما ورد فــي الحــديث الصــحيح[2] أو ربمــا أنــه أوكــل هذا الرفع إلى سيدنا إسحاق وولده υ، أو أنهم تعاونوا فــي ذلــك كمــا تعــاون معــه ســيدنا إسماعيل υ في رفع قواعد الكعبة قبل ذلك بــأربعين عامــا؛ وذلــك لقــرب المــدة الزمنيــة بينهما كما نص على ذلك الحديث الصــحيح، كمــا أننــي أرجــح اشــتراك إســحاق υ مــع والده في الرفع. والله تعالى أعلم

المطلب السادس: مقام الخُلَّة.

قال الإمام ابن الأثير الجزري في تفســير قــول الرســول ρ: "**إنــي أبــرأ إلــى كــل خليل من خلته**": الخُلَّة بالضَّم الصَّدَاقة، والمَحَبَّة التــي تَخَلَّــت القَلْــب فصــارت خَلاَلَــه، أي في باطنه والخَلِيل الصَّدِيق، وقد لقّب بهــا إبــراهيم υ وإنَّمــا قــال ذلــك لأن خُلَّتَــه كانــت مَقْصُورَةَ على حُبّ الله تعالى، فلــيس فيهــا لِغَيــرِه مُتَّسَــع ولا شَــرِكَة مــن مَحــابِّ الــدنيا والآخرة، وهذه حَالٌ شَرِيفَةٌ لا يَنَالها أحدٌ بِكْسب ولا اجتهاد[3].

وقال ابن أبي العز الحنفي: الخلــة هــي كمــال المحبــة المســتغرقة للمحــب، كمــا قيل:

قيل تخللتَ مسلك الروح مني ولذا سمي الخليل خليلا[4]

ولكن محبته وخلته كما يليق بــه تعــالى، كســائر صــفاته, وليســت بــالطبع كخُلّــة البشر، وهي أجلّ وأعظم منها، بل إنه لا يوجد بينهمــا وجــهٌ للمقارنــة، ويشــهد لمــا دلــت

---

[1] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج6، ص408.

[2] أنظر في الصفحة 89.

[3] ابن الأثير الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ج2، ص72.

[4] العقيلي، بشار بن برد أبو معاذ (167هـ)، **ديوان بشار بن برد**، ط1، الرياض: الريّس للكتب، 2008م، ج1، ص329.

عليه الآية الكريمة ما ثبت في الصحيح عن أبــي ســعيد الخــدري ψ، عــن النبــي ρ قــال: "**لو كنت متخذا من أهل الأرض خلــيلا لاتخــذت أبــا بكــر خلــيلا، ولكــن صــاحبكم خليــل الله**"[1].

جاء في شرح العقيد الطحاوية في معنى بصاحبكم نفسَــه: وفــي روايــة "**إنــي أبــرأ إلى كل خليل من خلته ولو كنت متخذا من أهــل الأرض خلــيلا لاتخــذت ابــا بكــر خلــيلا**" وفي رواية "**إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبــراهيم خلــيلا**" فبــين ε أنــه لا يصــلح لــه أن يتخذ من المخلوقين خليلا، وأنه لو أمكن ذلك لكان أحق الناس بــه ابــو بكــر الصــديق، مــع أنه ε قد وصف نفسه بأنه يحب أشخاصا كقولــه لمعــاذ: "**والله إنــي لأحبــك**" وكــذلك قولــه للأنصار، وكان زيد بن حارثة حب رسول الله ε وابنه أسامة حبه، وأمثــال ذلــك وقــال لــه عمرو بن العاص: "**أي الناس أحب اليك؟ قال: عائشة، قــال: فمــن الرجــال؟ قــال: أبوهــا**" فعلم ان الخلة أخص من مطلق المحبة، والمحبــوب بهــا لكمالهــا يكــون محبوبــا لذاتــه، لا لشيء آخر، إذ المحبوب لغيره هو مؤخر في الحب عن ذلك الغيــر، ومــن كمالهــا لا تقبــل الشركة ولا المزاحمة، لتخللها المحبة، ففيها كمال التوحيد وكمال الحــب, ولــذلك لمــا اتخــذ الله إبراهيم خليلا، وكان إبراهيم قد ســأل ربــه أن يهــب لــه ولــدا صــالحا، فوهــب لــه إسماعيل، فأخذ هذا الولد شعبة من قلبه، فغــار الخليــل علــى قلــب خليلــه أن يكــون فيــه مكان لغيره، فامتحنه به بذبحه، ليظهر سر الخلــة فــي تقديمــه محبــة خليلــه علــى محبــة ولده، فلما استسلما لأمر ربهما، وعزم على فعله، فظهر ســلطان الخلــة فــي الإقــدام علــى ذبح الولد إيثارا لمحبة خليله على محبته، نسخ الله ذلــك عنــه، وفــداه بالــذبح العظــيم؛ لأن المصلحة في الذبح كانت ناشئة من العزم وتوطين الــنفس علــى مــا أمــر، فلمــا حصــلت هذه المصلحة عاد الذبح نفسه مفسدة، فنسخ فــي حقــه، وصــارت الــذبائح والقــرابين مــن الهدايا والضحايا سنة في أتباعه إلى يوم القيامة. وكمــا أن منزلــة الخلــة ثابتــة لإبــراهيم υ فقد شاركه فيها نبينا ε[2].

---

[1] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق ψ، ح2383.

[2] ابن أبي العز الحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية**، ج1، ص 294.

ومن أروع ما قيل في هذا المقام كلام قرأته للشيخ عبـد العزيـز قـاري فـي خطبـة جمعة قال فيها: "ولم يكن المراد ذبح ولده على الحقيقة ولكـن كـان المـراد ذبـح المشـاركة في هذه الدرجة العليا من المحبة في قلـب إبـراهيم, ولـذلك فإنهمـا لمـا اسـلما وجهيهمـا لأمر الله، وقدم إبراهيم محبة الله على محبة ولده، خَلُـصَ مقـامُ الخلـة فَفُـدِيَ الولـدُ بكـبش عظيم"[1].

وليس هناك أمر أشد على النفس البشرية من أن يُبتلـى المـرء بولـده، فكيـف بـهυ وقد أُمر بتنفيذ الحكم على فلذة كبده؟ إن أحدنا قد ينْفذ صـبره عنـد أبسـط ابـتلاء بـالمرض أو الموت الذي هو نهاية طبيعية لحياة البشر بغض النظـر عـن الأجنـاس والأعمـار التـي لا يقدرها إلا واهبها عز وجل، وإن كثيرا من الناس ليتزعـزع الإيمـان فـي قلبـه إذا فقـد ولده قتلاً؛ لأن طبيعة النفس البشرية تجعلنا نسـلّم أن المـرض مـن عنـد الله ولا دخـل لأيٍّ من البشر فيه، أما القتل فإنه يوقد في القلـب نـارا لا يطفئهـا إلا القصـاص، فيعتقـد الفاقـد أن القاتل هو المريد لإنهاء حياة المقتول، وينسـى أحيانـاً أن المـرض والقتـل مـا همـا إلا سببان مخلوقان لا أكثر ولا أقل، والسبب الحقيقي في المـوت هـو انقضـاء الأجـل، فكيـف اسـتطاع إبـراهيم υ أن ينـزع مـن قلبـه كـل مشـاعر الاعتـراض المقصـودة وغيـر المقصودة؟ وأن يسيّره على مراد الله تعالى دون نقاش؟ لـولا أنـه كـان أمـةً فـي الصـبر، والاستسلام للباري، والانقياد لأوامره.

وربما تكون كلمات الدكتور أحمد بهجت التـي آثـرت أن أخـتم بهـا هـذا الفصـل من أجمل ما قرأت في هذا المقام: "كان إبراهيم هو هـذا العبـد الربـاني الـذي اسـتحق أن يتخذه الله خليلا... فتلك درجة من درجات الأنبيـاء لا نعـرف مقـدارها ولا كيـف نصـفها، ونعتقد أن أيّ كلمات بشرية تقال عنها تكون سـجنا يظلمهـا ويسـيء إليهـا... فـنحن أمـام فيض إلهي من نور السماوات والأرض... نعرف أن المحـار يصـنع اللؤلـؤ حـين يقـتحم جسم غريب عالم اللؤلؤ الداخلي، وكأن الجراح تلـد اللآلـيء، ونحسـب بيقـين أن المحـار

---

[1] قاري، عبد العزيز بن عبد الفتاح، *سيدنا محمد ρ خليل الرحمن*، **خطبة رقم 911**، **موقع المنبر** ww.alminbar.net/alkhutab/khutbaa.asp، مسجد قباء في المدينة المنورة. 2004م.

قلد قلب إبراهيم υ فيما يفعل... فنحن أمام قلب ألقـــي فـــي هـــذا العـــالم كلمـــا أصـــابه منـــه جرح صنع لؤلؤة... ومن المدهش أن هذا القلـــب أدرك رشـــده منـــذ طفولتـــه"[1]. والحمـــد لله رب العالمين.

[1] بهجت، **أنبياء الله**، ص76.

الفصل الثاني

الحكمة التي ظهرت في دعوته υ

المبحث الأول: مواجهته للتقليد.

المبحث الثاني: المواجهة الفردية والجماعية.

المبحث الثالث: الحجة بالتشكيك والاستدراج.

المبحث الرابع: المخالطة والاعتزال.

المبحث الخامس: الحوار في دعوته.

المبحث السادس: الحكمة في تحطيم الأصنام.

الفصل الثاني

الحكمة التي ظهرت في دعوته υ

لا بد من التقديم لهذا الفصل ببيان معنى الحكمة، فالحكمة هي عبارة عن معرفة أفضل الأشياء، بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم، والحكيم يجوز أن يكون بمعنى الحاكم، مثل قدير بمعنى قادر، وعليم بمعنى عالم، والحكم والحكمة من العلم، والحكيم العالم، وصاحب الحكمة، وقد حكم أي صار حكيما[1]. والحكيم أيضا المتقن للأمور[2]. والحكمة ما يمنع من الجهل وأريد بها الزبور في قوله تعالى {**وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ**}[3] وقيل كل كلام وافق الحق[4]. وقد اشتمل هذا الفصل على عدد من المباحث والمطالب:

المبحث الأول: مواجهته للتقليد.

لا بد أولا من التقديم ببيان معنى التقليد: القاف واللام والدال أصلان صحيحان يدل أحدهما على تعليق شيء على شيء، والآخر على حظ ونصيب، فالأول التقليد تقليد البدنة؛ وذلك أن يعلق في عنقها شيء ليعلم أنها هدي، وأصل القَلد الفَتل يقال قلدت الحبل أقلده قلدا إذا فتلته، وحبل قليد ومقلود، وتقلدت السيف، ومَقْلِدُ الرجل موضع نجاد السيف على منكبه، ويقال قلد فلان قلادة سوء إذا هجاه، فإذا أكدوه قالوا قلده طوق الحمامة أي لا يفارقه كما لا يفارق الحمامة طوقها، والأصل الآخر القلد الحظ من الماء؛ يقال سقينا أرضنا قلدها أي حظها، فأما المقاليد فيقال هي الخزائن قال

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة حكم ج12، ص140.

[2] الرازي، **مختار الصحاح**، مادة حكم ج1، ص62.

[3] سورة (ص)، 20.

[4] المطرزي، ناصر الدين أبو الفتح، **المغرب في ترتيب المعرب**، ط1، بيروت: مكتبة لبنان، 1990م، مادة حكم ج1، ص218.

الله تعالى [لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ][1] ولعلها سميت بذلك لأنها تحصن الأشياء أي تحفظها وتحوزها[2].

لم يبعث الله تعالى نبيا ولا رسولا برسالة إلى قومه إلا احتجوا بأن الضلال الذي هم فيه سببه آباؤهم وأجدادهم، [بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ # وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ][3]، ولم تخلُ أمة من مثل هذه الحجج الواهية، وكأن عقولهم سُلبت لدرجة عدم التفريق بين ما ينفع وما لا ينفع، بغض النظر عن الضرر الذي هو أبعد من أن يُعتقد بقدرتهم عليه، وكذلك كان حال قوم إبراهيم υ حين سألهم عن التماثيل التي يعبدونها ويقدمون إليها ما ألزموا به أنفسهم من الطاعة والولاء، فقال تعالى على لسان إبراهيم υ [إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ # قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ][4]، ثم ناقشهم في هذه العقيدة الفاسدة مرات عدّة [وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ # إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ # قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ # قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ # أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ #قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ # قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ # أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ # فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ][5].

قال الإمام سيد قطب: "والحلقة التي تُعرض هنا من قصة إبراهيم υ هي حلقة الرسالة إلى قومه، وحواره معهم حول العقيدة، وإنكار الآلهة المدّعاة، والاتجاه بالعبادة إلى الله، والتذكير باليوم الآخر"[6].

---

[1] الزمر، 63

[2] ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين (395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، ط2، بيروت: دار الجيل، 1420هـ – 1999م، مادة قلد ج1، ص19– 20.

[3] الزخرف، 22/ 23

[4] الأنبياء، 53/52

[5] الشعراء، 69– 77

[6] قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي (1385هـ)، **في ظلال القرآن**، بيروت: دار الشروق، 1979م، ج5، ص350.

فلم تكن مهمته υ بناءً على ما ورد في هذه الآيـة وغيرهـا مهمـة سـهلة؛ إذ كـان عليه تغيير فكرٍ بُني منذ مئات السنين، حول آلهـة هـي ذاتهـا تعبـد إلهـاً واحـداً كَرْهـاً، والبشر ينكرون وجوده طوعاً، ويتوجهون للحجـارة التـي تعبـده تقليـداً عاريـاً عـن كـل تفكير.

يقول الإمام الزمخشري: "ما أقبح التقليد والقول المتقبّـل بغيـر برهـان، ومـا أعظـم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم إلى أن قلـدوا آبـاءهم فـي عبـادة التماثيـل وعفّـروا لها جباههم معتقدين أنهم على شيء"[1].

المبحث الثاني: المواجهة الفردية والجماعية.

لم يتوان إبـراهيم υ مـن أن يواجـه قومـه أفـرادا وجماعـات؛ لأن التغييـر فـي الأسلوب مطلوب، ولأن لكل مقام مقال؛ فمن الناس مـن يسـهل توجيهـه أمـام جمـع كبيـر من الناس؛ إما لرجاحة عقله إذ يميز ميـل النـاس إلـى الحـق فيميـل معهـم، أو لضـعف شخصيته فهو كالإمّعة مقلّدٌ دون تفكير، وفي الحالتين فإن الداعي إلـى الحـق ينـال مـراده، ويحقق الهدف المنشود، ومـن النـاس مـن لا يمكـن أن يسـتجيب لتوجيـه إيجـابيّ إلا إذا وُجّه بشكل فردي، إما لعنادٍ يتملكه، أو لقوة في الشخصـية وكبريـاء يمنعـه مـن الانصـياع إلى الآخر، وقد كان معظم قوم إبراهيم υ من أسوأ الأنـواع؛ يـتملكهم الكبـر والعنـاد وقـوة الشخصية والتمادي في الباطل، فقد حـاول معهـم بكـل الوسـائل والأسـاليب إلا أنّ عـددا قليلاً منهم استجاب للحق فكانوا لنا قدوة في تَبَرُّئِهم مـن قـومهم قـال عـزّ مـن قائـل **[قَـدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَـهُ إِذْ قَـالُوا لِقَـوْمِهِمْ إِنَّـا بُـرَآءُ مِـنْكُمْ وَمِمَّـا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْـنَكُمُ الْعَـدَاوَةُ وَالْبَغْضَـاءُ أَبَـدًا حَتَّـى تُؤْمِنُـوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَـكَ مِـنَ اللَّـهِ مِـنْ شَـيْءٍ رَبَّنَـا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ]**[2].

---

[1] الزمخشري، **الكشاف**، ج2، ص575.

[2] الممتحنة، 4

يرى الإمام الطبري بأن المراد بهم الأنبياء الـذين كـانوا قريبـاً مـن عصـره عليـه وعليهم الصلاة والسلام[1].

والظاهر -كما قال الآلوسي- أن المراد بالـذين معـه هـم أتباعـه المؤمنـون؛ لأنـه υ لم يكن معه وقت مكافحته قومه وبراءته منهم أتبـاع مؤمنـون ظـاهروه علـى المكافحـة والبراءة، فقد روي أنه قال لسارة حين رحل إلى الشام مهاجراً مـن بلـد نمـرود: "**مـا علـى الأرض من يعبد الله تعالى غيري وغيـرك**"، ومـن المعلـوم أنـه لا يلـزم وجـود الأتبـاع المؤمنين في أول وقت المواجهة بل اللازم وجودهم ولـو بعـد ذلـك، ولا شـك فـي أنهـم وجدوا فيما بعد فيُحمل من معه علـيهم، ويكـون التبـرّي المحكـي فـي قولـه تعـالى : "**إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءاؤاْ مِّنْكُمْ**"... الى وقت وجودهم[2]. والله أعلم

ومن الواضح في الآيات أنه υ يتحـدث إلـيهم بشـكل جمـاعي فـي بـدايتها، ثـم تتحول بنا الآيات إلى حوار دار بينه وبين أبيـه علـى حـدة أخبـره فيـه بالمصـير الـذي ينتظره ووعده بالاستغفار له، ودليل هذا التحـول قولـه تعـالى "**إِلَّـا قَـوْلَ إِبْـرَاهِيمَ لِأَبِيـهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ**" فالاستثناء الوارد في الآيـة يـدل علـى أن الكـلام خـاصّ جـدا بـين ولـد ووالده. والحكمة هنا من هذا التحـول هـي إظهـارُ المحبـة للمنصـوح، وإبـداءُ الإشـفاق عليه، وتركُ بابِ الحوارِ مفتوحاً بينهما، فهو وإن كـان مهتمـا بهدايـة قومـه، إلا أنـه فـي جانب هداية أبيه أشد اهتماما، وبذلك فإنه يعلمنـا أن الأقـربين أولـى بـالمعروف والعنايـة، وأن خير أعمال الأب أن يترك ولدا صـالحا يـذكره بـالخير، ويـأمره بـالمعروف، وينهـاه عن المنكر. ولكن هل لوالد مثل آزر أن يفكر بمثل هذا التفكير؟!...

المبحث الثالث: الحجة بالتشكيك والاستدراج.

ظهرت حكمة إبراهيم υ في الدعوة إلـى الله تعـالى باسـتخدام أسـلوب آخـر مـن أساليبها، فقد بدأ مع قومه بكلام يحتـوي كثيـرا مـن الأسـئلة الموهمـة لهـم، وفـي ذلـك

---

[1] الطبري، **جامع البيان**، ج28، ص62.

[2] الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني أبو الثناء (1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، بيروت: دار الفكر، 1978م، ج20، ص 455.

استثارة لعقولهم؛ ليحثّها على التفكيــر الســليم، وذلــك عنــدما قــرر أن يــدّعي –اســتدراجا لهم– الإلهَ كوكباً أو قمراً أو شمساً، ولم يكن أبدا يعني أن الحــق فيمــا يــدّعي، وإنمــا كــان يقصد اســتدراجهم وإبطــال حجــتهم بالبرهــان القــوي، **[وَكَــذَلِكَ نُــرِي إِبْــرَاهِيمَ مَلَكُــوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ # فَلَمَّا جَــنَّ عَلَيْــهِ اللَّيْــلُ رَأَى كَوْكَبًــا قَــالَ هَــذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ #فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَــالَ هَــذَا رَبِّــي فَلَمَّــا أَفَــلَ قَــالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ # فَلَمَّا رَأَى الشَّــمْسَ بَازِغَــةً قَــالَ هَــذَا رَبِّــي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَــرِيءٌ مِمَّــا تُشْــرِكُونَ # إِنِّــي وَجَّهْــتُ وَجْهِــيَ لِلَّــذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ][1]** .

قال الشيخ الشعراوي[2] رحمه الله في معنــى كلمــة الملكــوت: مــادة الـــــ (م. ل. ك) يأتي منها "مالك" ، و"مَلك"، و"ملْك"، ومنهــا "مُلْــك"، ومنهــا "ملكــوت"، و"المِلْــك" هــو مــا تملكه أنت في حيزك، فإن كان هناك أحد يملكك أنت ومن معــك ويملــك غيــرك، فهــذا هــو المَلِك، أما ما اتسع فيه مقدور الإنســان، أي الــذي يــدخل فــي سياســته وتــدبيره، فاســمه مُلك، فشيخ القبيلة له ملك، وعمدة القرية له ملــك، وحــاكم الأمــة لــه ملــك، ويكــون فــي الأمور الظاهرة. واما الملكوت فهو ما لله في كونه مــن أســرار خفيــة. مثــل قولــه تعــالى **{وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُــوتَ السَّــمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}**. أي كمــا اهتــدى إبــراهيم υ إلــى أن عبادة الأصنام ضلال مبين، فســيريه الله ملكــوت الســموات والأرض، مــا دام قــد اهتــدى إلى أن هناك إلهاً حقًّا، فالإله الحق يبين له أسرار الكــون، والملكــوت صــيغة المبالغــة فــي الملك، وهي تفيد فهم الحقائق غير المشهودة، فالــذي يمشــي وراء الأســباب المشــهودة لــه

---

[1] الأنعام، 75– 79

[2] هو الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله، أشهر من فسر القرآن في عصرنا ولد عام 1911 م بقرية دقادوس مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية، وحفظ القرآن الكريم في الحادية عشرة من عمره . عرف بأسلوبه العذب البسيط في تفسير القرآن، استطاع أن يثبت تفوقه في تدريس مادة العقيدة الإسلامية لدرجة كبيرة لاقت استحسان وتقدير الجميع، رغم تخصصه أصلاً في اللغة، له عدد من المؤلفات منها: الإسراء والمعراج، الطريق إلى الله، الفتاوى، معجزة القرآن، من فيض القرآن، نظرات في القرآن، توفي رحمه الله سنة 1998م . أنظر: منتديات صوت القرآن الحكيم quran.maktoob.com/vb/quran/

يأخذ المُلك؛ لأن ما يشهده ويحسَّه هو أمامه، والملكوت هو ما يغيب عنه، المُلك هو ما تشاهده أمامك، والملكوت هو ما وراء هذا الملك[1].

قال الفخر الرازي: "**وَكَذَلِكَ نُرِى إبراهيم مَلَكُوتَ السموات**" معناه: وبعد زوال الاشتغال بغير الله حصل له نور تجلى جلال الله تعالى، والمعنى أنه تعالى لما حكى عنه أنه شافَه أباه الكلام الخشن تعصباً للدين الحق. فكأنه قيل: وكيف بلغ إبراهيم هذا المبلغ العظيم في قوة الدين؟ فأجيب بأنا كنا نريه ملكوت السموات والأرض من وقت طفولته لأجل أن يصير من الموقنين زمان بلوغه. والمقصود من إراءة[2] الله إبراهيم ملكوت السموات والأرض هو أن يتوصل بها إلى معرفة جلال الله تعالى وقدسه وعلوه وعظمته. وقد ورد في تفسير هذه الإراءة قولين:

الأول: أن الله أراه الملكوت بالعين، قالوا إن الله تعالى شق له السموات حتى رأى العرش والكرسي وإلى حيث ينتهي إليه فوقية العالم الجسماني، وشق له الأرض إلى حيث ينتهي إلى السطح الآخر من العالم الجسماني، ورأى ما في السموات من العجائب والبدائع، ورأى ما في باطن الأرض من العجائب والبدائع.

والقول الثاني: أن هذه الإراءة كانت بعين البصيرة والعقل، لا بالبصر الظاهر والحس الظاهر.

وقد احتج القائلون بهذا القول بوجوه:

1. إن ملكوت السموات عبارة عن ملك السماء، والملك عبارة عن القدرة، وقدرة الله لا ترى، وإنما تعرف بالعقل، وأنه تعالى ذكر هذه الإراءة في أول الآية على سبيل الإجمال ثم فسرها، فجرى ذكر هذا الاستدلال كالشرح والتفسير لتلك الإراءة، فوجب أن يقال إن تلك الإراءة كانت عبارة عن هذا الاستدلال.

---

[1] الشعراوي: محمد متولي (1418هـ/1998م)، **المختار من تفسير القرآن الكريم**، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي. مكتبة الكتاب الالكتروني الإسلامي ومنتدى الكتاب الالكتروني الإسلامي http://adel-ebooks.mam9.com

[2] أَرَيْتُه إيَّاهُ **إراءَةً** وإراءً: المصدران عن سيبويه، قال: الهاء للتعويض وتَرْكُها على أن لا يعوَّض وهْم. أنظر: الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (1205هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار الهداية، ج38، ص105.

2. وأنه تعالى قال في آخر الآيات "**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءاتيناها إبراهيم على قَوْمِهِ**" والرؤية بالعين لا تصير حجة على قومه لأنهم كانوا غائبين عنها، فلا بد من كونها ظاهرة لهم عقلا كما هي له، وكذلك فإن إراءة جميع العالم تفيد العلم الضروري بأن للعالم إلهاً قادراً على كل الممكنات، وهذه الإراءة لا تكون إلا عقلا، وقد قال تعالى في حق هذه الأمة "**سَنُرِيهِمْ ءاياتنا فِى الأفاق وَفِى أَنفُسِهِمْ**"[1] فكما كانت هذه الإراءة بالبصيرة الباطنة لا بالبصر الظاهر فكذلك في حق إبراهيم لا يبعد أن يكون الأمر كذلك.

3. إنه υ لما أتم الاستدلال بالنجم والقمر والشمس قال بعده: "**إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السموات والأرض**" فحكم على السموات والأرض بكونها مخلوقة، فوجب أن يكون المراد من إراءة الملكوت تعريف كيفية دلالتها بحسب تغيرها وإمكانها وحدوثها على وجود الإله العالم القادر الحكيم، فتكون هذه الإراءة بالقلب لا بالعين.

4. وقوله تعالى " **وَلِيَكُونَ مِنَ الموقنين**" فلما كان اليقين هو العلم المستفاد من الدليل، وجب أن تكون تلك الإراءة عبارة عن الاستدلال. ورؤية العين لا تفيد العلم الكامل على وجه الكمال بل تعطي صورة ناقصة، وبالتالي فإن الرؤية هنا رؤية عقل لا رؤية عين[2].

والراجح على ما يبدو أنها كانت إراءةً بالعين والعقل والقلب، مع عدم الإنكار بأن قلبه υ وذكاءه يقودانه إلى مثل هذه المعرفة اليقينية، إلا أن القوم يحتاجون إلى إيمان يستقر في قلوبهم بعد استقباله عن طريق الحواس ليكون اليقين أكبر، والحجة أعظم، ثم إن استدلال الفخر الرازي رحمه الله تعالى بآية سورة فصلت على أن المقصود بإراءة أمة محمد ρ لآيات الله في الآفاق، هي إراءة عقلية فقط، لم تعد كما فسرها في أيامنا هذه؛ إذ أن آيات الله تعالى وقدرته تظهر لنا في كل يوم، ونحن نحصل عليها بكل وسائل المعرفة لدينا، بما يقطع كلّ شك بيقين يبهر الألباب، وفي هذا

---

[1] فصلت، 53

[2] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج 6، ص 340 – 343. بتصرف.

تظهر حكمة إبراهيم υ إذ يطرح الفكرة الفاسدة على قومه، ثـم ينقضـها مـن أساسـها كـأن لم تكن، ثم يستدرجهم ليطرح الحل الصادق بيقين سـاطع، فتقبلـه قلـوبهم، بمـا بقـي فيهـا مما أودعه الله تعالى من الفطرة السليمة، ثـم مـا تلبـث أن ترفضـه قلـوبهم التـي غشّـاها المرض ولفّها الضلال **[فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ]**[1].

يقول الشهرستاني: "لقد أطلعـه الله علـى ملكـوت الكـونين والعـالمين تشـريفا لـه على الروحانيات وهياكلها، وترجيحا لمذهب الحنفـاء علـى مـذهب الصـابئة، وتقريـرا أن الكمال في الرجال، ولقد استدل على ذلك بـالأفول: الـزوال والتغيـر والانتقـال، علـى أنـه لا يصلح أن يكون ربا إلها؛ فإن الإله القديم لا يتغير، وإذا تغيـر احتـاج إلـى مغيـر، هـذا لو اعتقدتموه ربا قديما وإلها أزليا، ولو اعتقـدتموه واسـطة وقبلـة وشـفيعا ووسـيلة، فـإن الأفول – الزوال – يخرجه أيضا عن حد الكمال، وعلى هـذا لـم يسـتدل علـيهم بـالطلوع؛ وإن كان الطلوع أقرب إلى الحدوث مـن الأفـول، فأتـاهم الخليـل υ مـن حيـث تحيُّـرهم فاستدل عليهم بما اعترفوا بصحته وذلك أبلغ في الاحتجاج، وقـد بـدأ بالسـهل ثـم تـدرج، فمن الكوكب إلى القمر والنتيجة واحدة، دع هذا كله خلف قـافٍ وارجـع بنـا إلـى مـا هـو شافٍ كافٍ؛ فإن الموافقة في العبارة على طريق الإلـزام علـى الخصـم مـن أبلـغ الحجـج وأوضح المناهج وعن هذا قال: "**فلمـا رأى الشـمس بازغـة قـال هـذا ربـي هـذا أكبـر**" لاعتقاد القوم أن الشمس ملك الفلك، هو رب الأرباب الـذي يقتبسـون منـه الأنـوار، " **فلمـا أفلت قال يا قوم إني بريء ممـا تشـركون إنـي وجهـت وجهـي للـذي فطـر السـموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين**"[2].

المبحث الرابع: المخالطة والاعتزال.

كان إبراهيم υ أول مـن أعلـن عقيـدة الـولاء والبـراء؛ و الـولاء يعنـي محبـة الإيمان وأهله وإثبات ذلك عمليا، والبراء هـو كراهيـة الشـرك والمشـركين وإثبـات ذلـك عمليا، وقد بدأ بذلك أولا مع أبيه، ثم أعلنها في وجـه قومـه مدوّيّـة صـارخة يقـول جـلّ

---

[1] الحج، 46

[2] الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج2، ص52– 53.

وعلا [**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ**][1] وبذلك استحق أن يكون القدوة الأولى لأمة محمد ρ بعد رسولهم في هذه العقيدة [**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**][2].

قال ابن قيم الجوزية: "وهذه براءة منهم ومن معبودهم، وسماها براءة من الشرك، وهي حقيقة المحو والإثبات؛ فيمحو محبة ما سوى الله عز وجل من قلبه علما وقصدا وعبادة، كما هي ممحوة من الوجود، ويثبت فيه إلهيته سبحانه وحده، وهي حقيقة الجمع والفرق؛ فيفرق بين الإله الحق وبين من ادُّعيت له الإلهية بالباطل، ويجمع تأليهه وعبادته وحبه وخوفه ورجاءه وتوكله واستعانته على إلهه الحق الذي لا إله سواه، وهي حقيقة التجريد والتفريد؛ فيتجرد عن عبادة ما سواه ويفرده وحده بالعبادة، فالتجريد نفي، والتفريد إثبات، ومجموعهما هو التوحيد، فهذا الفناء والبقاء، والولاء والبراء، والمحو والإثبات، والجمع والتجريد"[3].

وقد أثبت υ في إعلانه هذا مبدأ المخالطة والاعتزال؛ فتمثل الاعتزال بالمذكور سابقا؛ من إعلان البراءة من الشرك والمشركين، ورفض معبوداتهم، وقد كانت هذه البراءة براءةً في العقيدة، واعتزالا لأجلها، أما المخالطة فظاهرةٌ في آية الممتحنة في قوله تعالى [**إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**][4] فقد استمر بدعاء أبيه، والدعاء له حتى تبيّن له أنه عدوٌّ لله، عندها تبرّأ منه تبرؤ النسب، واعتزله اعتزال العدوّ الغريب، قال تعالى [**وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ**

---

[1] الزخرف، 26

[2] الممتحنة، 4

[3] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (751هـ)، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ط2، بيروت: دار الكتاب العربي، 1393هـ- 1973م، ج1، ص 168.

[4] الممتحنة، 4

تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ][1]. ففي بـادىء الأمـر اعتـزلهم υ فـي العقيـدة وخـالطهم أهلاً وقرابةً ودعوةً، فلما لم يستجب له إلا اثنان منهما زوجتـه وابـن أخيـه، اعتـزل البقيـة اعتزال نسب وتبرّأ هو ومن معـه مـن أقـرب أناسـهم؛ إذ أصـبح الاختيـار الآن بـين الله تعالى، وبين هؤلاء وهم عدوٌّ لـه، فجـاءت مكافـأة هـذه البـراءة علـى مسـتواها **[فَلَمَّـا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِـنْ دُونِ اللَّـهِ وَهَبْنَـا لَـهُ إِسْـحَاقَ وَيَعْقُـوبَ وَكُلًّـا جَعَلْنَـا نَبِيًّـا # وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا]**[2].

والاعتزال كما يقول الإمـام سـيد قطـب رحمـه الله: "هـو مـنهج رفيـع طليـق؛ الأرض فيه صغيرة، والحياة الدنيا قصيرة، ومتـاع الحيـاة الـدنيا زهيـد، والانطـلاق مـن هذه الحواجز والشوائب غاية وأمنية، ولـيس معنـاه فـي الإسـلام الإهمـال، ولا الكراهيـة ولا الهروب، إنمـا معنـاه المحاولـة المسـتمرة، والكفـاح الـدائم لترقيـة البشـرية كلهـا، وإطلاق الحياة البشرية جميعها، ومن ثم فهي الخلافة والقيـادة بكـل أعبائهمـا، مـع التحـرر والانطلاق بكل مقوماتهما"[3].

المبحث الخامس: الحوار في دعوته:

أبدأ هذا المبحث بالتمهيد لمعنـى الحـوار والمحـاورة فـي اللغـة: وهـو مراجعـة المنطق والكلام في المخاطبـة، ويقـال: قـد حـاوره والمَحُـورةُ مـن المحـاوَرة مصـدر، كالمشورة من المشاورة[4]. والمحاورة المجاوبة والتحاور التجاوب[5].

ونظراً لأهمية الحوار في حيـاة الـدّعاة، وفـي مقـدمتهم سـيدنا إبـراهيم υ، فقـد فصلت في هذا المبحث، وأبرزت أهميته من خلال المطالب الآتية:

---

[1] التوبة، 114

[2] مريم، 49/ 50

[3] قطب، **في ظلال القرآن**، ج8، ص128.

[4] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة حور ج4، ص218.

[5] الرازي، **مختار الصحاح**، مادة حور ج1، ص67.

المطلب الأول: حواره مع أبيه.

نشأ إبراهيم υ في بيت اشتهر أهله بعبادة الأصنام، بل وصُنْعِها أيضا، فاستقرت كراهيتها في قلبه السليم مذ كان صغيرا، بما أودع الله تعالى في قلبه هذا من الرشد، فسأل إبراهيم υ الأبَ آزرَ الخادمَ المطيعَ للملك الطاغية وآلهته الصمّاء سؤال المستغرب لهذه العبادة غير المفهومة **[وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ]**[1] فكان واضح المبدأ منذ طفولته، ولم يتغير أو يتلوّن ليرضي أحدا بما لم يقتنع به من عبادة تلك الآلهة.

قال الإمام الشهرستاني: "كانت الحجة في دعوة الخليل وما جرى بينه وبين قومه من عبدة الأوثان والكواكب من أظهر ما يُتصور:[2]. حيث قال لهم **[قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ# وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ]**[3] وقال لأبيه آزر **[إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً]**[4] ثم أثبت الرسالة فقال **[يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً]**[5]..

ثم أخذ يكلمه باللين كلام المستميل لقلبه، الخائف عليه **[يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا # يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا]**[6]، فما لبث أبوه إلا أن فهم مراد إبراهيم υ ورغبته عن آلهته، فبادر بتهديده بالرجم والهجران الطويل **[قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً]**[7].

ذكر الفخر الرازي عدة معان للرجم: فقال في الرجم ههنا قولان:

---

[1] الأنعام، 74

[2] الشهرستاني, محمد بن عبد الكريم أبو الفتح (548هـ)، **نهاية الإقدام في علم الكلام**، بيروت: دار الكتب العلمية، 2004م، ج1، ص150.

[3] الصافات، 95/ 96

[4] مريم، 42

[5] مريم، 43

[6] مريم، 44/ 45

[7] مريم، 46

الأول: أنه الرجم باللسان، وهو الشتم والذمّ، ومنه قوله: "**والذين يرمون المحصنات**"[1] أي بالشتم، ومنه الرجم، أي المرمي باللعن.

والثاني: أنه الرجم باليد، وعلى هذا التقدير ذكروا وجوها:

أحدها: لأرجمنك بإظهار أمرك للناس ليرجموك ويقتلوك.

وثانيها: لأرجمنك بالحجارة لتتباعد عني.

وثالثها: لأرجمنك لأقتلنك بلغة قريش.

ورابعها: قال أبو مسلم الأصفهاني: لأرجمنك المراد منه الرجم بالحجارة إلا أنه قد يقال ذلك في معنى الطرد والإبعاد اتساعا.

أما الهجر ففيه قولان:

أحدهما: المراد واهجرني بالقول.

والثاني: بالمفارقة في الدار والبلد، وهي كهجرة الرسول ρ والمؤمنين أي تباعد عني لكي لا أراك، وهذا الثاني أقرب إلى الظاهر.

وفي قوله: "مليا" قولان:

الأول: مليا أي مدة بعيدة.

والثاني: مليا بالذهاب عني والهجران قبل أن أثخنك بالضرب حتى لا تقدر أن تبرح يقال فلان مُلِيَ بكذا إذا كان مطيقا له مضطلعا به[2].

ومع ذلك كله أبدى υ اللين كله لأبيه فقال له [**قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا # وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا**][3].

جاء في اللباب لابن عادل: "فلما سمع إبراهيمُ υ كلام أبيه، أجاب بأمرين:

أحدهما: أنه وعدُه بالتَّباعُد منه؛ موافقة وانقياداً لأمْرِ أبيه.

---

[1] النور، 4

[2] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج1، ص 406 وما بعدها.

[3] مريم، 48/47

والثاني: قوله: " **سَــلاَمٌ عَلَيْــكَ**" توديــعٌ، ومتاركــةٌ، أي: ســلمتَ منِّــي لا أصــيبُك بمكروهٍ، وذلك لأنَّه لم يؤمر بقتاله على كفره؛ كقولــه تعــالى **(وَإِذَا سَــمِعُوا اللَّغْــوَ أَعْرَضُــوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَآ أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي الجاهلين**}[1].

وهذا يدلُّ على جواز متاركة المنصُوح، إذا ظهر منه اللَّجــاج، وعلــى أنَّــه تحسُــن مقابلةُ الإساءةِ بالإحسان، ويجوزُ أن يكــون دعــا لــهُ بالسَّــلامة؛ اســتمالة لــه. ثــم وعــدُه بالاستغفار؛ فكان سلامَ برٍّ ولطفٍ، وهو جوابُ الحليمِ للسَّفيه"[2].

قال تعالى **[وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيــهِ إِلَّــا عَــنْ مَوْعِــدَةٍ وَعَــدَهَا إِيَّــاهُ فَلَمَّــا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ]**[3]. وهكــذا انقطعــت كــل صــلة بــين إبراهيم υ وأبيه، والحكمة الظاهرة هنا هــي وجــوب التقــرب مــن أهــل الله تعــالى ولــو كانوا غريبي النسب والقربى، وكذلك الابتعاد عن أهــل الشــرك ولــو كــانوا أولــي قربــى **[مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِــي قُرْبَــى مِــنْ بَعْــدِ مَــا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ]**[4].

وشاءت إرادة الله تعالى أن تكون هــذه الآيــة ســابقةً لآيــة تبــرؤ إبــراهيم υ مــن أبيه، لتقرر عقيدة الولاء والبراء لهذه الأمــة أيضــا، بضــرب المثــل بــإبراهيم υ، ليكــون القدوة الأولى للرسل وأتباعهم حتــى قيــام االســاعة، كيــف لا وإبــراهيم υ أبونــا وأبــوهم رسالةً ونسباً.

المطلب الثاني: حواره مع قومه.

لقد أظهر سيدنا إبراهيم υ عقيدة التوحيد التي يدين بهــا لله تعــالى فــي كــل مواقفــه مع قومه، خاصة في حواره معهم، الذي بدأه منذ أن كــان فتــى صــغيرا، الأمــر الــذي لــم يعهده قومه من قبل، بدليل أنهم حينما رأوا الأصنام محطمة عرفــوا مباشــرة بأنــه الفاعــل، لأنه كان قد تحدث معهم في هذا الأمــر المحظــور ســابقا، قــال ســبحانه وتعــالى **[إِذْ قَــالَ**

---

[1] القصص، 55

[2] ابن عادل، عمر بن علي بن عادل الحنبلي أبو حفص (775هـ)، **تفسير اللباب**، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م، ج11، ص86.

[3] التوبة، 114

[4] التوبة، 113

لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ # قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ][1]، فحاول إقناعهم أنهم على غير هدى هم وآباؤهم [قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ# أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ# فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ][2]. ثم أظهر لهم أنه مبعوث من الله تعالى بمثل ما بُعث به الأنبياء السابقون وهم أقرب الأقوام إلى نوح υ، وقد خوّفه قومه من آلهتهم وأرادوا إيهامه بأنها قادرة على أن تصيبه بمكروه، لكنه يعلم أنها غير قادرة على أن تحمي نفسها أو أن تضرها [وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ # وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ][3].

قال الشيخ الفوزان في تفسير هذه الآية: "كيف تهدّدونني بآلهتكم وأنتم لا تخافون الله الذي خلق السموات والأرض وجعلتم معه شريكاً؟، إن كان هناك تهديد أو وعيد فهو عليكم أنتم، فلا تهمني أصنامكم ولا وعيدكم، لأنني متوكل على الله سبحانه وتعالى، وأنا أخوّفكم بالله عزّ وجلّ، وأبيّن لكم أنكم إن لم تتوبوا إليه فسيعذبكم، "**فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ**" أنا أم أنتم؟، "**إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**"، ففصَل الله الحكم بينهم وقال: [الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ][4]. هذا هو الحكم الإلهي، "**الَّذِينَ آمَنُوا**"، وهذا عامّ في قوم إبراهيم υ، وغيرهم من الخلق، يعني: الذين وحّدوا الله، وأخلصوا له العبادة، والمراد بالظلم هنا: الشرك"[5].

ومع ذلك كله استمر υ في حواره ومحاربة أصنامهم على كل صعيد فرفض الخروج معهم إلى عيد كانوا يقيمونه خارج مدينتهم [فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ # فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ # فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ# فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ # فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ# فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ # فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ # قَالَ

---

[1] الأنبياء، 53/52

[2] الشعراء، 75–77

[3] الأنعام، 80/ 81

[4] الأنعام، 82

[5] الفوزان، **إعانة المستفيد**، ج1، ص56.

أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ# وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ][1]. ثم ما لبثوا أن غادروا المدينة حتى حطم آلهتهم [**وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ # فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ # قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ # قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ # قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ # قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ # قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ # فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ # ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ # قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ # أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ # قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ # قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ # وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ**][2].

قال ابن الجوزي: وكان لهم عيد في كل سنة يخرجون إليه، ولا يخلفون بالمدينة أحدا، فقالوا لإبراهيم: لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا، فخرج معهم، فلما كان ببعض الطريق قال: إني سقيم، وألقى نفسه، وقال سرًّا منهم: وتالله لأكيدن أصنامكم، فسمعه رجل منهم فأفشاه عليه، فرجع إلى بيت الأصنام، وكانت فيما ذكره مقاتل بن سليمان اثنين وسبعين صنما من ذهب وفضة ونحاس وحديد وخشب، فكسرها ثم وضع الفأس في عنق الصنم الكبير، فلما عادوا ورأوها قالوا: من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين، قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم، فأُمروا أن يأتوا به على أعين الناس، أي على مرأى منهم، حتى يشهدوا عقابه وما يصنع به، فانطلقوا به إلى نمرود فقال له: أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ قال بل فعله كبيرهم هذا، غضب أن تعبد معه الصغار فكسرها، فاسألوهم إن كانوا ينطقون عمّن فعل ذلك بهم، وهذا إلزام للحجة عليهم بأنها جماد لا تقدر على النطق.

وقد اختلف العلماء في وجه كلام إبراهيم υ على قولين:

---

[1] الصافات، 88-96

[2] الأنبياء، 57- 70

أحدهما أنه صدِق وإن كان في صورة الكذب.

والثاني أنه من معاريض الكلام، وهو الراجح.

ثم تمّ النطق بالحكم النهائي على الفتى الذي تطاول على الآلهة، وهو الإحراق بالنار، وظهرت المعجزة الكبرى بأن سلب الله من النار صفة الإحراق فتحولت إلى برد وسلام عليه[1].

قال تعالى [**وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ # إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ # وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ # أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ # قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ # يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ # وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ # وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ # فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**][2].

هذه الآيات بيّنت طريقته υ في الحوار المؤيّد بالحجة والبرهان العقلي، والأدلة الحسية على وحدانية الله، وقدرته على الخلق والرزق، والبعث والإماتة والإحياء، وسنة الله في الأمم التي تكذب الأنبياء والمرسلين، ونعيم الله وعذابه في الآخرة، وقدرته على الانتقام العاجل، ولما لم يتمكن من إقناعهم أعلن υ البراءة منهم استكمالا لأسس العقيدة التي يؤمن بها، وطبقها مبتدِئاً بوالده [**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ**][3].

---

[1] ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج1، ص32 – 33. بتصرف.

[2] العنكبوت، 16– 24

[3] الزخرف، 26

المطلب الثالث: حواره مع الملك.

لم تقف معاناة إبراهيم υ عند محاجّة أبيه وقومه وإنما تعدّتهم إلى الملك الطاغية الذي يدّعي الألوهية واستحقاق العبادة، وذلك بعد أن نسب لنفسه الإحياء والإماتة [**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**][1]. إن الظاهر من الآية أنه ادعى لنفسه تصرفات الربّ.

يقول أبو الفرج ابن الحنبلي[2]: "فالصادرُ مْن خَصْمه معارضة إلا أنها فاسدة، لانَّ حقيقةَ الإحياء والإماتة التي فسرها خصمه غير الذي قَصده إبراهيم υ، فلا يخلو حال نمرود إما أن يكونَ ما فهم حقيقة الإحياء والإماتة، أو فهم أنه قصد المصادمة والمباهتة، وكلاهما يوجب العدولَ إلى دليلٍ يفضحُ معارضته ويقطعُ حجاجه، ومتى كان الخصم بهذه الصفة جاز لخصمه الانتقال إلى دليلٍ آخر أقرب إلى الفهم وأفلج للحجة"[3].

يقول ابن قيم الجوزية : لم يقل أحد من المفسرين قط أن معنى الآية: أن هذا الإحياء والإماتة حاصل مني ومن كل أحد، بل نقطع بأن هذا لم يخطر بقلب المشرك المناظر البتة. وقد ظن جماعة من الأصوليين وأرباب الجدل أن إبراهيم انتقل مع المشرك من حجة إلى حجة، ودليل ذلك أنه لم يجبه عن قوله أنا أحيي وأميت، لأن إبراهيم υ فهم مراده من الإحياء وهو استبقاء الحي على حياته، وبالتالي فقد انتقل إلى حجة أوضح من الأولى، فقال: إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب،

---

[1] البقرة،، 258

[2] هو عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الجزري السعدي العبادي، أبو الفرج، عالم بفقه الحنابلة، مؤرخ. أصله من شيراز، ومولده ووفاته بدمشق. رحل إلى العراق ومصر والحجاز وفلسطين. وقد حضر فتح القدس مع صلاح الدين. له عدة كتب، منها أسباب الحديث، والاستسعاد بمن لقيت من صالحي العباد في البلاد، وله خطب ومقامات. وكان حلو الكلام مهيبا شهما. توفي سنة634هـ. أنظر: الزركلي، **الأعلام**، ج3، ص340.

[3] ابن الحنبلي، عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الجزري السعدي العبادي أبو الفرج (634هـ)، **استخراج الجدال من القرآن الكريم**، ط1، دار الأعلام، 2002م، ج1، ص5.

فانقطع المشرك المعطّل، وليس الأمر كما ذكروه، ولا هــذا انتقــال، بــل هــذا مطالبــة لـــه بموجب دعواه الإلهية، فلما ادعى الكافر أنه يفعــل كمــا يفعــل الله، فيكــون إلهــا مـــع الله، طالبه إبراهيم بموجب دعواه مطالبة تتضمن بطلانها، وهـــي أن يـــأتي بهـــا مـــن المغـــرب، وهذا برهان لا يقبل المعارضة بوجه، فلما تأكد عدوّ الله من ذلــك لــم يطلــب مــن إبـــراهيم υ أن يأتي بها الله من المغرب؛ خوفــا مــن أن يـــأتي بهـــا مـــن مغربهـــا، فيظهــر بطـــلان دعواه، وعدم صلاحيته للربوبيـــة، وبـــذلك يكـــون إبـــراهيم υ قــد أبطــل مــذهب عبـــادة الكواكب والنجوم، وكذلك الأصـــنام الناطقـــة والجامـــدة، لأن الله وحـــده هـــو الـــذي يحيـــي ويميت، ولا يصلح الحي الذي يموت للإلهية، لا في حـــال حياتـــه ولا بعـــد موتـــه، فـــإن لـــه ربا قادرا قاهرا متصرفا فيه إحياء وإماتة، ومن كان كذلك فكيف يكون إلها؟[1]

والراجح أن هذا الملك الطاغية ادعى الربوبية فعلا، وقــد أقعــده عقلــه الســقيم عــن الفهم السليم لمبدأ الإحياء والإماتة، فاعتقد أن اســتبقاء الحـــي علـــى حياتـــه إحيـــاءً، والحكـــمَ بالموت على حيٍّ إماتةً، ولم يعلم بأن كل ذلك مقـــدّر فـــي اللـــوح المحفـــوظ، لكـــن علـــى أي حال فإن هذا الادعاء منه كفر بواح يشبه قـــول فرعـــون الصـــريح **[أَنَـــا رَبُّكُـــمُ الْـــأَعْلَى]**[2].

المطلب الرابع: حواره مع الله في إحياء الموتى.

طلب إبراهيم υ من الله تعالى أمرا غاية في الغرابـــة، بـــل وربمـــا لـــم يســـبقه إليـــه أحد، وهو رؤية إحياء الموتى رؤيـــةً عينيـــةً، **[وَإِذْ قَـــالَ إِبْـــرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِـــي كَيْـــفَ تُحْيِـــي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُـــذْ أَرْبَعَـــةً مِـــنَ الطَّيْـــرِ فَصُـــرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُـــنَّ يَأْتِينَـــكَ سَـــعْيًا وَاعْلَـــمْ أَنَّ اللَّـــهَ عَزِيـــزٌ حَكِيمٌ]**[3]. ولم يكن مقصوده υ التأكد من قدرة الله تعـــالى علـــى ذلـــك، بـــل اطمئنـــان القلـــب الذي لا يحصـــل إلا بالمشـــاهدة المباشـــرة، ولـــم يشـــك υ بقـــدرة الله تعـــالى، فعـــن أبـــي

---

[1] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (751هـ)، **مفتاح دار السعادة وولاية العلم والإرادة**، بيروت: دار الكتب العلمية، ج2، ص 204 – 207. بتصرف.

[2] النازعات، 24

[3] البقرة، 260

هريرةψ: أن رسول الله ρ قال: " **نحـــن أحـــق بالشـــك مـــن إبـــراهيم إذ قـــال** " **رب أرنـــي كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي**""[1].

وقد جعل ابن القيم لهـذا الاطمئنـان درجـات ثلاثـة فقـال: إن إبـراهيم υ طلـب الانتقال من الإيمان بالعلم بإحيـاء الله المـوتى، إلـى رؤيـة تحقيقـه عيانـا، فطلـب بعـد حصول العلم الذهني تحقيق الوجود الخارجي، فإن ذلـك أبلـغ فـي طمأنينـة القلـب، ولمـا كان بين العلم والعيان منزلة أخرى، قال النبـي ρ: "**نحـن أحـق بالشـك مـن إبـراهيم** ..." وإبراهيم υ لم يشك، ورسول الله ρ لم يشك، ولكن أوقع اسـم الشـك علـى المرتبـة العلميـة باعتبار التفاوت الذي بينها وبين مرتبة العيان في الخـارج، وباعتبـار هـذه المرتبـة سـمي العلم اليقيني قبل مشاهدة معلومه ظناً، قال تعالى [**الَّذِينَ يَظُنُّـونَ أَنَّهُـمْ مُلاقُـو رَبِّهِـمْ وَأَنَّهُـمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**][2] وهذا الظن علم جازم، فكم بين الخبر والعيان فرق[3].

فالمسألة من إبراهيم υ لم تعرض من جهـة الشـك، لكـن مـن قبـل زيـادة العلـم بالعيان؛ فإن العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيده الاستدلال[4].

وقد كان إبراهيم υ علـم ذلـك علـم خبـر ونظـر، ولكنـه أراد المعاينـة التـي لا يدخلها ريب ولا شبهة، لأن علم النظر والخبـر قـد تدخلـه الشـبهة والاعتراضـات، وعلـم المعاينة لا يدخله شيء من ذلك[5].

وقد سأل ربه أن يريه كيف يحيى المـوتى وقـد علـم ذلـك بخبـر الله لـه، ولكنـه طلب أفضل المنازل وهي طمأنينـة القلـب، وقـد قـالوا أن لليقـين ثـلاث مراتـب: أولهـا للسمع، وثانيها للعين وهي المسماة بعين اليقين، وهي أفضـل مـن المرتبـة الأولـى وأكمـل، والبصر يؤدى إلى القلب، ويؤدي عنه، فإن العين مرآة القلب، يظهـر فيهـا مـا يحبـه مـن المحبة والبغض والموالاة والمعاداة والسـرور والحـزن، فالمـدرك بالسـمع أعـم وأشـمل،

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأنبياء، بَاب قَوْلُهُ عز وجل [وَنَبِّئْهُمْ عن ضَيْفِ إبراهيم]، ح3192.

[2] البقرة، 46

[3] ابن القيم، **مدارج السالكين**، ج3، ص388.

[4] ابن عادل، **تفسير اللباب**، ج3، ص284.

[5] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج6، ص 365.

والمدرك بالبصر أتم وأكمل، فالسمع له العموم والشمول، والبصر له الظهور والتمام، والمرتبة الثالثة فهي طمأنينة القلب وهي أفضلها[1].

ظهرت الحكمة من هذا الحوار الخاص، وهي تعليم كل من يأتي بعده υ أن يتحقق من المعلومات بشكل عام، فلا يبني إلا على اليقين، فقد قال تعالى **[إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ]**[2]. فلا تسمى الحقيقة العلمية بهذا الاسم حتى تثبت عيانا أو منطقاً، وتضطرد فلا يعود لها معارض، وإلا فهي نظرية علمية أو شكّ في أدنى مراتب الصحة. وهذه سابقة في المنهج العلمي الصحيح الذي تقرّه أعلى مراتب العلم في القرن الواحد والعشرين.

المطلب الخامس: حواره مع الملائكة.

عندما جاءت الملائكة لتبشر إبراهيم υ بالولد الذي ينتظره منذ زمن بعيد، وبعد أن ذهب خوفه من الضيوف الذين رفضوا أكل طعامه، وعلم أنهم جاؤوا في مهمة خاصة؛ وهي تدمير الأرض التي يسكنها ابن أخيه لوط υ أخذ يجادلهم في هذه المهمة، ويقول لهم: إن في هذه القرية عائلة مؤمنة، وهم بالطبع أعلم بمن فيها **[فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ # إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ # يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ]**[3].

جاء في زاد المسير: "قال إبراهيم υ للملائكة: "أتهلكون قرية فيها مائة مؤمن؟ قالوا: لا. قال: أتهلكون قرية فيها خمسون مؤمنا؟ قالوا: لا. قال: أربعون؟ قالوا: لا. فما زال ينقص حتى قال: فواحد؟ قالوا: لا. فقال حينئذ **(إن فيها لوطا)** قالوا: "**نحن أعلم بمن فيها**"[4]" [5].

يقول سيد قطب: فالذي لا يأكل الطعام يريب، ويشعر بأنه ينوي خيانة أو غدراً بحسب تقاليد أهل البدو، وأهل الريف عندنا يتحرجون من خيانة الطعام، وعند هذا

---

[1] ابن القيم، **مفتاح دار السعادة**، ج1، ص 106.

[2] يونس، 36

[3] هود، 74– 76

[4] العنكبوت، 32.

[5] ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج3، ص155.

كشفوا له عن حقيقتهم، وإبراهيم يدرك ما وراء إرسال الملائكة إلى قوم لوط! ولكن حدث في هذه اللحظة ما غير مجرى الحديث "**وامرأته قائمة فضحكت**" وربما كان ضحكها ابتهاجاً بهلاك القوم الملوثين "**فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب**" وكانت عقيماً لم تلد وقد أصبحت عجوزاً، ففاجأتها البشرى بإسحاق، وهي بشرى مضاعفة بأن سيكون لإسحاق عقب من بعده هو يعقوب، ولا عجب من أمر الله، فالعادة حين تجري بأمر لا يكون معنى هذا أنها سنة لا تتبدل، ولا نحكم على حكمة الله وسنته بما تجري به العادة في أمد هو على كل حال محدود، وإلى هنا كان إبراهيم عليه السلام قد اطمأن إلى رسل ربه ، وسكّن قلبه بالبشرى التي حملوها إليه. ولكن هذا لم ينسه لوطاً وقومه، وما ينتظرهم من وراء إرسال الملائكة من هلاك واستئصال، وطبيعة إبراهيم الرحيمة الودودة لا تجعله يطيق هلاك القوم واستئصالهم جميعاً، والحليم الذي يحتمل أسباب الغضب فيصبر ويتأنى ولا يثور، والأوّاه الذي يتضرع في الدعاء من التقوى، والمنيب الذي يعود سريعاً إلى ربه، وهذه الصفات كلها قد دعت إبراهيم υ أن يجادل الملائكة في مصير قوم لوط، وإن كنا لا نعلم كيف كان هذا الجدال؛ لأن النص القرآني لم يفصّله، فجاءه الرد بأن أمر الله فيهم قد قضي، وأنه لم يعد للجدال مجال[1].

وما جداله هذا إلا ليعلمنا السؤال عن الآخرين، والانشغال بأمرهم، وما سيحصل لهم، وتقدير العواقب لأي حادثة، ومحاولة إنقاذ المؤمنين من خطر محدق، وليس هذا اعتراضا على قدر الله وقضائه، ولكنه محاولة في إظهار شخصيةٍ إيجابيةٍ في المجتمع تفرح لفرحه وتحزن لحزنه، كعضو يدين لكامل الجسد بالسهر والحمّى إذا مرض.

المطلب السادس: حواره مع ولده إسماعيل.

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن**، ج4، ص253- 254. بتصرف.

عندما يتكلم باحث عن سيدنا إبراهيم υ لا بدّ لـــه مـــن أن يعـــرّج علـــى قصـــة ذبـــح ولده إسماعيل υ، الذي وهبه الله إيّاه على كبرٍ في العمـــر، وعقـــمٍ فـــي الزوجـــة التـــي كـــان يأنس بها ويرجو منها الولد، حيث قال تعالى [**الْحَمْـدُ لِلَّـــهِ الَّـذِي وَهَـبَ لِـي عَلَـى الْكِبَـرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّـي لَسَـمِيعُ الـدُّعَاءِ**] [1]، فشـــاءت إرادة الله أن يولـــد ابنـــه الأكبـــر إسماعيل υ من هاجر القبطية، لا من سارة، ثم يأمره الله تعـــالى بأخـــذ المولـــود وأمـــه إلـــى واد غير ذي زرع، ثم يعود بعد أن شبّ عود ولده ليقـــيم معـــه قواعـــد البيـــت الحـــرام، ولا أريد هنا الإطالة أو التفصيل في أقـــوال العلمـــاء؛ إذ أن هـــذه الأمـــور باتـــت تُعـــرف مـــن سيرتهما العطرة بالضرورة، وليست هي موضـــوع بحثـــي، ولـــم يَطُـــل عمـــر إســـماعيل υ كثيرا حتى أُمر أبوه بذبحه [**وَقَالَ إِنِّـي ذَاهِـبٌ إِلَـى رَبِّـي سَـيَهْدِينِ # رَبِّ هَـبْ لِـي مِـنَ الصَّالِحِينَ # فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ # فَلَمَّا بَلَغَ مَعَـهُ السَّـعْيَ قَـالَ يَـا بُنَـيَّ إِنِّـي أَرَى فِـي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُـؤْمَرُ سَـتَجِدُنِي إِنْ شَـاءَ اللَّـهُ مِـنَ الصَّابِرِينَ # فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ # وَنَادَيْنَـاهُ أَنْ يَـا إِبْـرَاهِيمُ # قَـدْ صَـدَّقْتَ الرُّؤْيَـا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ # إِنَّ هَـذَا لَهُـوَ الْبَلَـاءُ الْمُبِـينُ # وَفَـدَيْنَاهُ بِـذِبْحٍ عَظِـيمٍ # وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ # سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ # كَـذَلِكَ نَجْـزِي الْمُحْسِـنِينَ # إِنَّـهُ مِـنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ # وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ**][2].

أميل مع من يرجح من العلماء أن الذبيح هـــو إســـماعيل υ، ومـــن أســـباب ذلـــك أن الله تعالى ذكر في آيات سورة الصـــافات قصـــة الـــذبح، ثـــم بعـــد ذلـــك البشـــارة بإســـحاق صراحة، فيظهر أن الله تعالى قـــد وهبـــه إســـحاق بعـــد حادثـــة الـــذبح. وقـــد وردت صـــفة الصبر مقترنة بإسماعيل υ، جـــاء فـــي مفـــاتيح الغيـــب: "إن الله تعـــالى وصـــف إســـماعيل بالصبر دون إسحق في قوله "**وإسماعيل وَإِدْرِيسَ وَذَا الكفـل كُـلٌّ مّـنَ الصـابرين**"[3]. وهـــو صبره على الذبح، ووصفه أيضاً بصدق الوعد في قوله "**إِنَّـهُ كَـانَ صـادق الوعـد**"[4]. لأنـــه

[1] إبراهيم، 39
[2] الصافات، 99- 112
[3] الأنبياء، 85
[4] مريم، 54

وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفّى به"[1]. ولم يقف الحدّ في القرآن عند وصفه بالصبر فقط، بل بالحلم أيضا، وهي من الصفات التي لا يقدر عليها إلا من آتاه الله حظا من رحمته، فأودع تلك الصفة في قلبه.

يقول الإمام الآلوسي: "إن في الآية عدة بشارات: إنه ظاهر في أن ما بُشِّرَ به عينُ ما استوهبهُ، لأن مثله إنما يقال عرفاً في حق الأولاد، ولقد جمع بهذا القول بشارات أنه ذكر؛ لاختصاص الغلام به، وأنه يبلغ، أو أن البلوغ بالسن المعروف فإنه لازم لوصفه بالحليم، لأنه لازم لذلك السن بحسب العادة، إذ قلما يوجد في الصبيان سعة صدر، وحسن صبر، وإغضاء في كل أمر، وجوّز أن يكون ذلك مفهوماً من قوله تعالى "**غُلاَمٌ**" فإنه قد يختص بما بعد البلوغ، وإن كان ورد عاماً، وعليه العرف كما ذكره الفقهاء، وأنه يكون حليما، وأي حلم مثل حلمه؛ عرض عليه أبوه وهو مراهق الذبح فقال "**سَتَجِدُنِى إِن شَاء الله مِنَ الصابرين**" فما ظنك به بعد بلوغه، وقيل: ما نعت الله تعالى نبياً بالحلم لعزة وجوده غير إبراهيم وابنه υ"[2] .

إن المؤمن الذي يقرر هجر الشرك وبلاده وأهله يستحق أن ينال من الله أجرا عظيما، كما كانت ولادة إسماعيل υ وأخيه وولده ثواباً لهجرة أبيهم υ [**فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلّاً جَعَلْنَا نَبِيّاً**][3]. ليس هذا فحسب وإنما بشره بنبوتهم أيضا، لكن لا بدّ من امتحان حتى ينال ما نال من التكريم الإلهي.

يقول سيد قطب: في قول إسماعيل "**ستجدني إن شاء الله من الصابرين**": يا لله! ويا لروعة الإيمان والطاعة والتسليم! هذا إبراهيم الشيخ المقطوع من الأهل والقرابة، المهاجر من الأرض والوطن، يرزق بعد هرمه بغلام، يشهد له ربه بأنه حليم، ما يكاد يأنس به، ويبلغ معه السعي، حتى يرى في منامه أنه يذبحه، ويدرك أنها إشارة من ربه بالتضحية، لا يتردد، ولا يخالجه إلا شعور الطاعة، ولا يخطر له إلا

---

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج 23، ص127.

[2] الألوسي، **روح المعاني**، ج 17، ص 109.

[3] مريم، 49

خاطر التسليم. والأمر شاق ما في ذلك شك، ويعرض على ابنه هذا العرض؛ ويطلب إليه أن يتروى في أمره ، وأن يرى فيه رأيه! ولا يأخذ ابنه على غرة لينفذ إشارة ربه، وينتهي، إنما يعرض المسألة عليه كالذي يعرض المألوف من الأمر ، فيتلقى الغلام الأمر لا في طاعة واستسلام فحسب، ولكن في رضا، كذلك وفي يقين، ثم هو الأدب مع الله، ومعرفة حدود قدرته وطاقته في الاحتمال حيث قال "**ستجدني إن شاء الله من الصابرين**"، ولم يأخذها بطولة، ولم يأخذها شجاعة، ولم يأخذها اندفاعاً إلى الخطر دون مبالاة، ولم يظهر لشخصه ظلاً ولا حجماً ولا وزناً، إنما أرجع الفضل كله لله إن هو أعانه وأصبره، ثم يخطو المشهد خطوة أخرى وراء الحوار والكلام، وهي لحظة التنفيذ والانصياع للأمر ، فهذا هو الإسلام؛ ثقة وطاعة وطمأنينة ورضا وتسليم وتنفيذ[1].

لو أردنا استقصاء الدروس واستنباط الحكم والعبر من هذا المطلب، لاحتجنا ربما لرسالة أخرى، لكن وبمحاولة حثيثة في الاختصار وعدم الإطالة، يبدو أن سيدنا إبراهيم υ أراد تعليم الآباء كلهم قواعد التعامل الراقي مع أولادهم؛ فقد كان يستطيعυ - كما أشار سيد قطب رحمه الله- أن يأخذ ابنه على حين غرّة وينفذ أمر الله تعالى وانتهى، لكنه أراد أن يعلمنا كيف نحاور أبناءنا، وكيف نعرض عليهم الأمور، ولا نملي عليهم الواجبات والآراء، فضلا عن إجبارهم عليها، وأن نعلمهم كيفية اتخاذ القرار، فضلا عن اتخاذه عنهم، ثم لننظر كيف أشار الله تعالى إلى كل ما سبق بكلمات معدودة، والظاهر أن السبب في قلة الكلمات بين الأب وابنه، التربية الرفيعة التي حظي بها الولد، وكلنا يعرف أنه قد تربى في حضن أمه، في وقت كانت المسافات التي تفصله عن أبيه فيه شاسعةً كلمةً ومعنى، فكيف أطاع الولد والده وقد نأى عنه كل هذه السنين؟ لولا أن الله تعالى حباه بأمٍّ هي الأخرى أمةٌ في حدّ ذاتها، كيف لا وهي زوجة رسول، وأم رسول، تملك كل ذاك اليقين الذي أعانها على الصبر في وادٍ قفر؟!.

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن**، ج6، ص185- 189. بتصرف.

أما الحكمة فقد ظهرت عندما حــاز إبــراهيم υ علــى مقــام الخُلّــة، التــي لا تقبــل مشاركةً للحبيب في القلب، فقد خلا قلبــه الطــاهر υ مــن أي محبــة إلا لله، ثــم خــلا مــن شريك في هذه المحبة ولو بجزء يســير، ولــو كــان المحبــوب ولــده. فهــي تربيــة لكــل الحنفاء على الأرض على تخلية خلــوة القلــب لله تعــالى وعــدم ملئهــا إلا بمحبتــه، فهــي خاصة له ولا يمكن لأحد أن يملأها إلا الله وذِكره فــالأولى أن لا يشــاركه فيهــا أحــد، هــذا ما أراد إبراهيم υ أن يعلمنا إياه.

المبحث السادس: الحكمة في تحطيم الأصنام.

هذه حادثة مهمة في حياة سيدنا إبــراهيم υ، فهــذه الحادثــة التــي تضــمّنت حكمــا جائرا ومعجزة بالغة فــي الغرابــة كانــت نقلــة فــي حياتــه υ، ونبوتــه ورســالته، ومــن المفروض أن نتعلم منها الكثير، فمن خلال مواقفــه υ يمكننــا أن نقــيّم صــدقنا، وشــجاعتنا، ورغبتنا في قول الحق ونصرته والثبــات عليــه، رغــم الظــروف القــاهرة، وعــدم تقبّــل المجتمع لأفكارنا التي قد تعدّ أحيانا هدما للحضــارة، وتــأخيرا للمجتمــع عــن ســير ركــب المدنيّة.

وسأورد هنا الآيات الخاصــة بتحطــيم الأصــنام ثــم أســتنبط الحكمــة منهــا فــي المطالب التالية لها. قال عز شأنه: **[وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِــنْ قَبْــلُ وَكُنَّــا بِــهِ عَــالِمِينَ # إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَــاكِفُونَ # قَــالُوا وَجَــدْنَا آبَاءَنَــا لَهَــا عَابِدِينَ # قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ # قَــالُوا أَجِئْتَنَــا بِــالْحَقِّ أَمْ أَنْــتَ مِــنَ اللَّاعِبِينَ # قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّــمَاوَاتِ وَالْــأَرْضِ الَّــذِي فَطَــرَهُنَّ وَأَنَــا عَلَــى ذَلِكُــمْ مِــنَ الشَّاهِدِينَ # وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّــوا مُــدْبِرِينَ # فَجَعَلَهُــمْ جُــذَاذًا إِلَّــا كَبِيــرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ # قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّــهُ لَمِــنَ الظَّــالِمِينَ # قَــالُوا سَــمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ # قَالُوا فَــأْتُوا بِــهِ عَلَــى أَعْــيُنِ النَّــاسِ لَعَلَّهُــمْ يَشْــهَدُونَ # قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ # قَالَ بَلْ فَعَلَــهُ كَبِيــرُهُمْ هَــذَا فَاسْــأَلُوهُمْ إِنْ كَــانُوا يَنْطِقُونَ # فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْــتُمُ الظَّــالِمُونَ # ثُــمَّ نُكِسُــوا عَلَــى رُءُوسِــهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ # قَالَ أَفَتَعْبُــدُونَ مِــنْ دُونِ اللَّــهِ مَــا لَــا يَــنْفَعُكُمْ شَــيْئًا وَلَــا**

يَضُرُّكُمْ # أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ # قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ # قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ # وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ][1].

وللنخجواني[2] كلام في تفسير الآيات آثرت أن أورده هنا[3]: لما رجع قوم إبراهيم υ من عيدهم، ودخلوا إلى معبدهم وبدؤوا بالتقرب نحو آلهتهم المجذوذة، فوجدوها متفرقة الأجزاء، قالُوا من فرط حزنهم وأسفهم مستبعدين متحسرين: مَنْ فَعَلَ هذا الفعل الفظيع والأمر الشنيع الفجيع بِآلِهَتِنا ومعبوداتنا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ الخارجين عن شعائر ديننا الجاحدين لآلهتنا. فقال السامعون منهم للسائلين: قد سَمِعْنا فَتًى -نكروه تحقيرا له وإهانة عليه- قد كان يَذْكُرُهُمْ، أي الآلهة بالسوء دائما "**يُقالُ لَهُ إِبْراهِيمُ**" فلما حضر نمرود واجتمع معه أشراف مملكته، أحضروه لينتقموا منه، قالُوا له أولا على سبيل التعيير والتقريع: "**أَأَنْتَ فَعَلْتَ**" هذا الفعل الشنيع والأمر الفظيع الفجيع بِآلِهَتِنا ومعبوداتنا يا إِبْراهِيمُ ؟ قالَ في جوابهم بمقتضى اعتقادهم وزعمهم: أنا عبد مألوه مربوب، وهم آلهة معبودون، كيف أقدر أن أفعل بهم هذا؟ "**بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ**" هذا، وأشار إلى الصنم الكبير، وقد فعل هذا معهم هكذا لئلا يشاركوا معه في المعبودية والألوهية، فاسألوهم إن اعتقدتم نطقهم وتكليمهم، لأنهم آلهة، ومن لوازم الألوهية التكلم والنطق، بل أنتم تعتقدون أن هؤلاء خلقوا عموم أهل التكلم واللسان، ولما تفرسوا بخطئهم وتفطنوا بأحقيّة إبراهيم، وصدقه في مقاله، بعد ما علموا أعلى الأمر وأسفله وفرقوا بين الحق والباطل فرقا ظاهرا، أرادوا أن يقلبوا الأمر ويعكسوه؛ عنادا

---

[1] الأنبياء، 51- 70

[2] نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان: متصوف، من أهل آقشهر بولاية قرمان نسبته إلى نخجوان من بلاد القفقاس. رحل إلى الأناضول، واشتهر وتوفي بآقشهر سنة920هـ. له الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية في التفسير، على لسان القوم. قال صاحب الشقائق النعمانية: كتبه بلا مراجعة للتفاسير، وأدرج فيه من الحقائق والدقائق ما يعجز عن إدراكه كثير من الناس، مع الفصاحة في عبارته وله شرح كتاب: كلشن راز بالفارسية، و هداية الإخوان في التصوف. أنظر: الزركلي، **الأعلام**، ج8، ص39.

[3] آثرت ذكره على ذكر غيره لأن فيه وصف أدقّ من وصف غيره لنفسية سيدنا إبراهيم υ مع كامل الاحترام والتقدير لجميع العلماء، وما لذكري لكلام النخجواني سبب إلا أنه نابع من تذوقي للنص لا غير.

ومكابرة، فقالوا: لَقَدْ عَلِمْتَ أيهـــا المجـــادل مـــا هـــؤُلاءِ الآلهـــة يَنْطِقُـــونَ، إذ هـــم جمـــادات لاحس لهم ولا شعور، فقالَ إبراهيم موبخا علـــيهم ومقرعـــا: أَمـــا تســـتحيون ومـــا تخجلـــون أن تعبدوا مِنْ دُونِ اللَّهِ الواحد الأحد، المتوحـــد بالألوهيـــة والربوبيـــة، مـــا لا يَـــنْفَعُكُمْ شَـــيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ؟! ثم قال على سبيل الضـــجرة، والتأســـف علـــى ضـــيعة عقلهـــم: أُفٍّ لَكُـــمْ أي قبحا لكم وَلِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّـــهِ. ثـــم نطقـــوا بـــالحكم الجـــائر، حيـــث قـــالُوا بعـــد مـــا تشاوروا كثيرا فـــي كيفيـــة إهلاكـــه: حَرِّقُـــوهُ؛ إذ لا عـــذاب أهـــول وأفـــزع مـــن الحـــرق، وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ بتحريق هذا الظالم[1].

يقول سيد قطب في هذه الرجعة: "وحقاً لقـــد كانـــت الأولـــى رجعـــة إلـــى النفـــوس، وكانت الثانية نكسة على الرؤوس؛ كما يقـــول التعبيـــر القرآنـــي المصـــور العجيـــب، كانـــت الأولى حركة في النفس للنظر والتدبر، أما الثانية فكانـــت انقلابـــاً علـــى الـــرأس فـــلا عقـــل ولا تفكير، وإلا فإن قولهم هذا الأخير هو الحجة عليهم، وأيـــة حجـــة لإبـــراهيم أقـــوى مـــن أن هؤلاء لا ينطقون؟! ومن ثم يجبههم بعنف علـــى غيـــر عادتـــه، وهـــو الصـــبور الحلـــيم، "**قال أفتعبدون من دون الله ما لا يـــنفعكم شـــيئا ولا يضـــركم أف لكـــم ولمـــا تعبـــدون مـــن دون الله أفلا تعقلون**" و"**أفّ**" هذه قولة يظهر فيها ضيق الصـــدر، وغـــيظ الـــنفس، والعجـــب من السخف الذي يتجاوز كل مألوف"[2].

تظهر في هذه الآيات أنـــواع مختلفـــة مـــن الأســـاليب، مليئـــة بكثيـــر مـــن الحكمـــة والحنكة، محفوظة في قلب نبي من أعظم الأنبياء، مرعيّـــة فـــي كنـــف الله تعـــالى، أذكرهـــا بإذن الله تعالى من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: إحراج قومه ببيان حقيقة آلهتهم.

هذه الآيات العظيمة تبيّن أن صاحب الرســـالة يجـــب أن يكـــون مؤمنـــاً بهـــا، قويـــاً في توصيلها، متبعاً لسابقيه الذين أناروا مشـــاعلها، مســـتخدما الأســـاليب المناســـبة لمتلقيهـــا، والمستخلص من هذه الوسائل التي استخدمها υ لتبليغ الناس ما يأتي:

---

[1] النخجواني، نعمة الله بن محمود (920هـ)، **الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية**، مصر: دار كابي للنشر، 1999م، ج1، ص 535- 537. بتصرف.

[2] قطب، **في ظلال القرآن**، ج5، ص 162.

أولا: السيرة الحسنة: أثبت υ منذ طفولته رشداً لم يظهر في أقرانه، لذلك لا نجد في القرآن الكريم آية واحدة عاب فيها قومه عليه عقله، بل إن الله تعالى لم يصف أحدا بالرشد غيره، وقد استفاد υ من هذه الميزة أيّما استفادة؛ إذ تحدث لأبيه وقومه عن تماثيلهم التي يعبدونها، مع علمه بحظر ذلك في المجتمع الغاشم الذي كان يعيش فيه، معتمدا على أن القوم لن يأخذوا كلامه إلا بشيء من الفهم والتفكّر، فهم يعلمون مدى رجاحة عقله، ومكانته وأبيه في المجتمع.

ثانيا: طرح السؤال الهادف: بدأ مع قومه بطرح أسئلة ربما تكون أسئلة عادية لغافل عنها، إلا أنها أسئلة الحاذق، الذي يخفي خلف سؤاله دائما هدفاً سامياً، لقد كان هدفه أن يبيّن لهم سوء معتقدهم، وفساد معبودهم، وقد سمع حجتهم بأنها معبودات آبائهم، فبادر بإلقاء عنوانِ حجّته، بأن قال لهم بأنهم وآباءهم غارقون في الضلال، ولعلمهم اليقيني برشده سألوه: إن كان جاداً أو أنه يمازحهم، ولم يكن هذا منهم قدحاً في شخصيته، وإنما استغراباً منهم لتوصّله لحقيقةٍ لم يتوصّل إليها أحد منهم ممّن سبقوه υ بالعمر والعلم، وتجرّئه على الإفصاح عمّا يجول بخاطره تجاه الآلهة، ثم بادر بإلقاء الأسئلة عليهم:

- **[وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً]**[1]
- **[قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ]**[2]
- **[إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ # قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ # قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ # أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ]**[3]
- **[قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ # وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ]** [4]

وخلاصة هذه الأسئلة: استغراب من عبادة حجارة صمّاء، لا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع، بل إنها مخلوقة لله تعالى هي وصانعيها، وهي أسئلة تعصف بالأذهان فتقلب عاليَ أفكارها سافلَها وتعيد ترتيب الأوراق منطقيًّا، لأن العقل لا يقبل

[1] الأنعام، 74

[2] الأنبياء، 66

[3] الشعراء، 70- 73

[4] الصافات، 95/ 96

إلا بما هو منطقي معقول، وإن خالف اللسان، وخالفت الجوارح، فإن المنطق يبقى سيد السّادة في العقل، وإن حاول التفكير فإنما يكون استنزافا للفكر في إقناع الغير، بما لم يقتنع به، كما قال الوليد بن المغيرة بعد التفكير والتقدير **[فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ]**[1]. وكان عقله قد اقتنع سابقا بأن القرآن كلام إله فقال: "واللّه ما هو من جنس كلام الإنس والجن إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعاليه لمثمرة وإن أسافله لمغدقة وإنه يَعلو ولا يُعلى عليه"[2].

ثالثا: النفي والإثبات: لقد نفى υ عن نفسه اللعب والمزاح مباشرة؛ فالأمر لا يحتمل المزاح، وليس له من داعٍ هنا، كما أنه لم يخش منهم فيكذب، أو يواري، وكل ذلك ظهر في الحرف (بل) وهو حرف إضراب ينفي ما سبقه ويثبت ما بعده[3].

فنفى بذلك اللعب، وأثبت υ أن الله تعالى رب قومه ورب آبائهم، وشهد على ذلك، وشهادته هذه تدلّ على أنه كان عندهم مصَدَّق فيما يقول، مما يؤكد النقطة الأولى، وإلا لقالوا له لا نقبل بشهادتك.

رابعا: تغيير المنكر: لقد قرر υ أن يغير المنكر بيده تغيير الحاكم القادر عليه، فحطم الأصنام بيده، بعد أن عقد لذلك يمينا "**وتا الله لأكيدن أصنامكم**"، فإن كان هذا اليمين جهرياً فقد قصد منه التهديد، وإن كان سرياً، فقد خطط لاستدراجهم إلى نقاش يعرّي آلهتهم من كل احترام.

خامسا: إحقاق الحق وإبطال الباطل: وقد ظهر هذا الأسلوب عندما عاد القوم من عيدهم ووجدوا آلهتهم قد دُمرت، فلم يدخروا جهداً في توجيه أصابع الاتهام المباشر لإبراهيم υ، ولم يغفلوا عن أنه جادلهم في حقيقة ألوهيتها، وقد وجههم بشيء من التورية إلى الفاعل الحقيقي، وكان قد علق الفأس في عنق كبير الأصنام، ولم يقصد υ الكذب حين وجههم إليه، وإنما قصد بيان حقيقة هذا الإله المزيّف غير القادر حتى على حماية نفسه فضلا عن حمايتهم، فلما انقطعت حجتهم بأنه لا يستطيع الكلام، لا

---

[1] المدثر، 24

[2] الحكيم الترمذي، محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله (320هـ)، **نوادر الأصول في أحاديث الرسول ρ**، بيروت: دار الجيل، 1992م، ج3، ص259.

[3] دعاس، قاسم حميدان، **إعراب القرآن الكريم**، دمشق: دار المنير، دار الفارابي، 1425هـ، ج2، ص 289.

هو ولا من معه ممّن دُمّروا، أجابوا بهذه الحقيقة إبراهيمَ υ من أنهم بكم لا ينطقون، فظهرت هنا حكمة الفتى الذي آتاه الله رشده منذ أن كان طفلا صغيرا، لقد استدرجهم إلى كلام مؤدّاه بيان فساد عقيدتهم، ولو لم يكن بهذا الذكاء، وتلك الحنكة، وهذه الحكمة والإعانة الربانية لما استطاع أن يصل معهم إلى هذه الاعترافات، بالرغم من أنه لم يستطع إقناعهم بالإسلام، إلا قليلا منهم، إلا أنهم عرفوا في أعماق أنفسهم أنه على الحق، وهذا هو المطلوب؛ ليكون حجة عليهم يوم القيامة.

المطلب الثاني: إثبات قول الخصم والكرّ بالحجة.

هذا أسلوب آخر يتبعه أبو الأنبياء υ، يفحم الضالين، ويُقعد عزائمهم عن الجدال، ويخرس ألسنتهم عن الردّ، وهو إثبات قولهم الباطل عليهم؛ ليتبيّن مدى سذاجة عقولهم، وسفاهة أحلامهم، وقد ظهر هذا الإثبات منه υ عندما **قَالَ: [أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلا يَضُرُّكُمْ # أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ]**[1]. وذلك بعد اعترافهم بأن الآلهة لا تنطق، فقد أثبت لهم أنها لا تنطق، وأدخلهم في حيرة وزعزعة، بسؤاله لهم كيف تعبدون أصناما جامدة بكماء، وهكذا يكون قد كرّ عليهم بالحجة التي قدمها قبل أن يحطم الأصنام، حين سماها تماثيل[2]؛ فالتمثال الذي لا ينطق، والذي حذّرهم من عبادته من دون الله في بداية النقاش، هو ذاته الذي تمّ اعترافهم عليه بأنه أبكم، وبالتالي فإن هذا الأسلوب المليء بالحكمة منه υ يعدّ جديدا في مضمونه ومعناه، وقد كرّ عليهم مرة أخرى حين قال لهم أن يسألوا الصنم الأكبر عن المحطم للأصنام، والنتيجة: إن لم تكن هذه الأصنام ناطقة، فكيف يمكنها أن تُنطق الناس فضلا عن خلقهم؟ وكيف يمكنها أن تحاسب الذي يتكلم عليها بسوء كما هددوه سابقا؟ وكيف يمكنها أن تسيّر أمور الكون دون أن تهمس ببنت شفة؟

---

[1] الأنبياء، 66/ 67

[2] التمثال: هو أصل الأَوْثانِ عند العرب كل تِمْثالٍ من خشب أَو حجارة أَو ذهب أَو فضَّة أَو نحاس أَو نحوها، وكانت العرب تنصبها وتعبدها، والصَّليب كالتِّمْثال تُعَظِّمُه النصارى وتعبده. أنظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة مثل ج14، ص 443.

كل هذه الأسـئلة العاصـفة بالـذهن المحيّـرة ألقاهـا إبـراهيم υ بمنتهـى الـذكاء والحكمة من خلال قوله **[قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ]**[1].

كيف لا وهو المبلّغ عن ربه، الحافظ لحدوده، أول مـن أطلـق علـى نفسـه وعلـى أمة محمد ρ اسم المسلمين **[وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَـرَجٍ مِلَّـةَ أَبِـيكُمْ إِبْـرَاهِيمَ هُـوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ]**[2].

المطلب الثالث: التورية.

التورية كما قال ابن سلاّم[3] هي السَّتر, يقال منه: وَرَّيـتُ الخبـر أُوَرِّيـه توريـة إذا سترته وأظهرت غيره; قال أبو عبيـد القاسـم بـن سـلام: ولا أراه مـأخوذا إلا مـن وراء الإنسان لأنه إذا قال: وريته فكأنه إنما جعله وراءه حيث لا يظهر[4].

وقد سمى رسول الله ρ تورية سيدنا إبراهيم υ كـذبا فـي الحـديث الشـريف الـذي سمى فيه كذباته الثلاثة فعن أبـي هريـرة ψ عنـه قـال: قـال رسـول الله ρ: "**لـم يكـذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات: ثنتـين مـنهن فـي ذات الله عـز وجـل، قولـه إنـي سقيم، وقوله بل فعله كبيرهم هذا، وقال بينا هـو ذات يـوم وسـارة إذ أتـى علـى جبـار من الجبابرة، فقيل له: إن ها هنا رجـلا معـه امـرأة مـن أحسـن النـاس، فأرسـل إليـه فسأله عنها، فقال: من هذه؟ قال أختي، فأتى سارة، فقـال: يـا سـارة لـيس علـى وجـه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإنّ هذا سـألني فأخبرتـه أنـك أختـي، فـلا تكـذبيني...**"[5].

والتورية مقبولة في بعض الأحيان، أخرج البيهقي عَنْ مُطَـرِّفِ بْـنِ عَبْـدِ الله[6] قَـالَ: "**أَقْبَلْنَـا**

---

[1] الأنبياء، 63

[2] الحج، 78

[3] محمد بن سلام (بالتشديد) بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله: إمام في الأدب. من أهل البصرة، مات ببغداد سنة232هـ. له كتب، منها طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين وبيوتات العرب وغريب القرآن وكان يقول بالقدر، فقال أهل الحديث: يكتب عنه الشعر، أما الحديث فلا. أنظر: الزركلي، الأعلام، ج6، ص146.

[4] ابن سلاّم، محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي بالولاء أبو عبد الله (232هـ)، **غريب القرآن**، مادة وري ج1، ص 198.

[5] سبق تخريجه في الصفحة **59**.

[6] مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشى العامري، أبو عبد الله: زاهد من كبار التابعين. له كلمات في الحكمة مأثورة، وأخبار. ثقة في ما رواه من الحديث. ولد في حياة النبي ρ. ثم كانت إقامته ووفاته في البصرة سنة95هـ. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب**، ص466.

مَعَ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ مِنَ الْبَصرَةِ إِلَى الْكُوفَةِ، فَمَا مِنْ غَدَاةٍ إِلَّا يُنَاشِدُ فِيهَا الشِّعْرَ، وَيَذْكُرُ فِيهَا أَيَّامَ الْعَرَبِ وكَانَ يَقُولُ: "إِنَّ فِي الْمَعَارِيضِ مَنْدُوحَةً عَنِ الْكَذِبِ""[1]. وقد جاء في إعلام الموقعين: وإن كان في المعاريض مندوحة عن الكذب ففي معاريض الفعل مندوحة عن المحرمات وتخلّصٌ من المضايق[2]. فعن أنس بن مالك ψ قال: "**كان رسول الله ρ في مسير له ونساؤه بين يديه وإذا حادٍ أو سائق وفي موضع آخر قال فحدا الحادي فقال رسول الله ρ أرفق يا أنجشة – ويحك – بالقوارير**"[3] وإنما أراد بالقوارير النساء فشبه ضعف عزائمهن وسرعة تأثير الصوت فيهن بالقوارير في سرعة الكسر[4]. وهذه المعاريض ونحوها من أصدق الكلام، والحكمة من التورية هنا إحقاق الحق وإظهاره وبيان سطوعه، والمحافظة على النفس من شرور الأعداء، وهذا مباح فقد قال ρ لعمّار ابن ياسر τ وقت تعذيبه واعتذاره للرسول ε على سبّه: "**فإن عادوا فعد**"[5]. فإن كان هذا جائز في حماية النفس لأي مسلم فكيف بنبي من أنبياء الله تعالى يُراد به السوء؟ فإن كان ذلك جائز في حق المسلم، فإنه في حق النبي جائز من باب أولى، لأن حمايته لنفسه هنا هي حماية للدين، وصيانة للرسالة.

---

[1] البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسروجِردي أبو بكر (458هـ)، **شعب الإيمان**، ط1، الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الهند: الدار السلفية، 1423هـ– 2003م، ج6، ص446، ح 4458. قال ابن حجر رجاله ثقات. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج10، ص594.

[2] ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (751هـ)، **إعلام الموقعين** عن رب العالمين، بيروت: دار الجيل، 1973م، ج3، ص191و ص 234.

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز...، ح5857.

[4] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج10، ص545.

[5] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج12، ص312. وقال ابن حجر الحديث مرسل ورجاله ثقات.

الفصل الثالث

علاقة أبي الأنبياء بخاتمهم

المبحث الأول: التشابه بينهما في المكانة عند الله وعند الناس.

المبحث الثاني: التشابه في الصفات الخلقية.

المبحث الثالث: الدعاء والاستجابة.

الفصل الثالث

علاقة أبي الأنبياء بخاتمهم

أمر الله تعالى الأنبياء والرسل أن يبلغوا دينه، وأن يرسخّوا عقيدة التوحيد في الأمم، فاتصفوا عليهم الصلاة والسلام بصفات مشتركة، ليكونوا قدوة لأقوامهم، وأدّوا واجباً واحداً. فعن أبي هُرَيْرَةَ τ أَنَّ نَبِيَّ الله ε قال: "**الأَنْبِيَاءُ أخوة لِعَلاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**..."[1]. وقد تجلّى هذا التشابه بين أبي الأنبياء وخاتمهم عليهما صلوات الله وسلامه، هذا ما سأبيّنه في هذا الفصل ضمن عدد من المباحث والمطالب:

المبحث الأول: التشابه بينهما في المكانة عند الله وعند الناس.

تشابه أبو الأنبياء υ وخاتمهم ρ في المكانة عند الله تعالى وعند عباده، فقد أحبهما الله تعالى حباً لم يصل إلى درجته أحد من الملائكة المقربين أو الأنبياء والمرسلين، أو من دونهم من الناس أجمعين، فهو حب الرب المربّي، الذي تكفّل إبراهيم υ برعايته فآتاه رشداً وحكمةً لم تتهيّأ لأبناء جيله رغم نشأته في بيت كفر وضلال، فربّاه كأنه يتيم، وكذلك فإنه تكفل برعاية حبيبه محمد ρ اليتيم فعلا، فربّاه في كنفه جلّ وعلا ففاض بلاغة وحكمة وصدقا وأمانة أضعاف من رباهم ذووهم، كيف لا والله تعالى كافله وراعيه، وقد شهد له بحسن خلقه فقال {**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**}[2].

وبسبب هذه المحاسن في الصفات الخُلُقية فقد علت مكانة الرسولين العظيمين عليهما صلوات الله تعالى وسلامه عند الله تعالى وتشابهت فحازا محبة الله والناس وهذا ما سأتناوله في المطالب الآتية:

المطلب الأول: محبة الله .

[1] ابن أبي شيبة، **المصنف في الأحاديث والآثار**، كتاب الفتن، باب ما ذكر في فتنة الدجال، ح37526.

[2] القلم، 4.

تمثلت محبة الله عز وجل لإبراهيم υ بــأمور عديــدة كاصــطفائه للرســالة، وجعلــه إماما للملة، واتخاذه خليلا، وابتلائه، وربما يكــون ذكــره والصــلاة عليــه فــي ختــام كــل صلاة لمحمد ρ وأمته لا يقل شأنا عــن الصــور الســابقة لإثبــات المحبــة وتأكيــدها، بــل وسببا لمكافأته υ.

وقد يخطر على البال هنا سؤال وهو: ما الحكمة مــن ذكــر إبــراهيم υ مــع محمــد ρ في الصلاة الإبراهيمية حيث يقال: اللهم صلّ على محمد وعلــى آل محمــد كمــا صــلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم؟ وقد أفــاض العلمــاء فــي وجــوه هــذه الحكمــة، وســاقها الفخر الرازي، حيث ذكر أربعة وجوه في ذلك فقال:

أولها: أن إبراهيم υ دعا لمحمد ρ حيث قــال [**رَبَّنَــا وَابْعَــثْ فِــيهِمْ رَسُــولاً مِّــنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ**[1]] فلما وجب للخليل على الحبيب حق دعائــه لــه قضــى الله تعــالى عنــه حقه، بأن أجرى ذكره على ألسنة أمته إلى يوم القيامة.

وثانيها: أن إبراهيم υ سأل ذلــك ربــه بقولــه [**وَاجْعَــل لِّــي لِسَــانَ صِــدْقٍ فِــي الْآخِرِينَ**[2]] يعني ابق لي ثناء حسناً في أمة محمد ε، فأجابــه الله تعــالى إليــه، وقَــرَنَ ذكــره بذكر حبيبه؛ إبقاءً للثناء الحسن عليه في أمته.

وثالثها: أن إبراهيم υ كــان أبــو الملــة، لقولــه تعــالى [**مِّلَّــةَ أَبِــيكُمْ إِبْــرَاهِيمَ**[3]]. ومحمد ρ كان أبو الرحمة، ففــي قــراءة ابــن مســعود τ "**النبــي أولــى بــالمؤمنين مــن أنفسهم وهو أب لهم**"[4]. وقال في وصفه [**بِــالْمُؤْمِنِينَ رَءوفٌ رَّحِــيمٌ**[5]]. وقــال ρ: "**إنمــا أنــا**

---

[1] البقرة، 129

[2] الشعراء، 84

[3] الحج، 78

[4] ابن خالويه، الحسين بن أحمد بن حمدان أبو عبد الله (370هـ)، **مختصر في شواذ القرآن**، دار الهجرة، ص119.

[5] التوبة، 128

لكم مثل الوالد"[1]. يعني في الرأفة والرحمة، فلما وجب لكل واحد منهم حق الأبوة من وجه، قرّب بين ذكرهما في باب الثناء والصلاة.

ورابعها: أن إبراهيم υ كان منادي الشريعة في الحج **[وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ[2]]**. وكان محمد ρ منادي الدين**[رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِى لِلإِيمَانِ[3]]**. فجمع الله تعالى بينهما في الذكر الجميل[4].

ومما يدلّ على محبة الله تعالى لإبراهيم υ، أنه أول من يُكسى يوم القيامة، فعن ابن عَبَّاسٍ ψ قال: خَطَبَ رسول اللَّهِ ρ فقال: "**يا أَيُّهَا الناس إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إلى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً، ثُمَّ قال: [كما بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كنا فَاعِلِينَ[5]] إلى آخِرِ الآيَةِ ثُمَّ قال: ألا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يوم الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ، ألا وَإِنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ من أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ يا رَبِّ أُصَيْحَابِي فَيُقَالُ إِنَّكَ لا تَدْرِي ما أَحْدَثُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ كما قال الْعَبْدُ الصَّالِحُ [وَكُنْتُ عليهم شَهِيدًا ما دُمْتُ فِيهِمْ فلما تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أنت الرَّقِيبَ عليهم وَأَنْتَ على كل شَيْءٍ شَهِيدٌ[6]] فَيُقَالُ إِنَّ هَؤُلاءِ لم يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ على أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ**"[7].

وقوله ρ وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم υ فيه منقبة ظاهره له، وفضيلة عظيمة وخصوصية، ولا يلزم من هذا أن يكون أفضل من محمد ρ، بل هو أفضل من في القيامة، ولا يلزم من اختصاص الشخص بفضيلة كونه الأفضل مطلقاً، أو أنّ المراد

---

[1] ابن خزيمة النيسابوري، محمد بن إسحاق أبو بكر (311هـ)، **صحيح ابن خزيمة**، بيروت: المكتب الإسلامي، 1390هـ– 1970م، كتاب الوضوء، باب النهي عن الاستطابة بدون ثلاثة أحجار، ح80.

[2] الحج، 27

[3] آل عمران، 193

[4] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج4، ص60.

[5] الأنبياء، 104

[6] المائدة، 117

[7] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب [**وَكُنْتُ عليهم شَهِيدًا ما دُمْتُ فِيهِمْ**]، ح4349.

غير المتكلم بذلك؛ لأن قوماً من أهل الأصـــول ذكـــروا أن المـــتكلم لا يـــدخل تحـــت عمـــوم خطابه[1].

وعلى أية حال فإن مناقبه υ ظاهرة لكل متتبّع لسـيرته العطـرة، لـذلك فـإن محبـة الله تعالى له لا تحتاج إلى إثبات؛ إذ أن الله تعالى لم يكن ليختـار رجـلا ليبلّـغ هـذا الأمـر العظيم والدين القويم، إلا إذا كان يحبه حباً يفوق حبّ أقرانه فـي عصـره، ثـم جـاء محمـد ρ ليفوق حبه عند الله تعالى أقرانه في عصره، وأسياد الأقـران فـي كـل زمـان، وإلا لمـا جمع الله تعالى له الأنبياء والرسل ليلة الإسراء والمعراج ليصـلي بهـم، فعـن أبـي هريـرة ψ قال: قال رسول الله ρ: "**فحانت الصلاة فـأممتهم**"[2]، فلـو لـم يكـن لـه ρ هـذه المكانـة العظيمة لما أمّ الأنبياء والمرسلين، وهو مما يشبه به أباه إبـراهيم υ مـن أنـه إمـام النـاس إذ قال الله تعالى له **[قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامـاً]**[3]، فـإن كـان إبـراهيم υ إمـام النـاس، والأنبياء والرسل صلوات الله عليهم أئمـة هـؤلاء النـاس، فـإن محمـدا ρ إمـام الأنبيـاء، فهي فضيلة عظمى لم يصلها أحد من البشر قبله ρ ولن يصلها أحد بعده.

وفي حيث عن علي ψ: "**أول من يكسـى خليـل الله قبطيتـين، ثـم يكسـى محمـد حلة حبرة عن يمين العرش**"[4]. والحكمة في خصوصية إبـراهيم υ بـذلك لكونـه ألقـي فـي النار عرياناً، وقيل: لأنه أول من لبس السراويل مبالغة في السـتر ولا سـيما فـي الصـلاة، فلما فعل ذلك جوزي بأن يكون أول من يستر يوم القيامة[5].

إن اصطفاء الأنبياء والرسل أمـر لا يتحقـق لكـل مـن يشـاء ويأمـل، ولا يتـأتّى للمرء إلا بعد ابتلاءات تثبت نقاء قلب المصـطفى وطهارتـه، وأنـه قلـب ملـيء بحـب الله

---

[1] العيني، بدر الدين محمود بن أحمد أبو محمد (855هـ)، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، ج15، ص242- 243. بتصرف.

[2] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال، ح172.

[3] البقرة، 124

[4] ابن المبارك، عبد الله بن واضح المرزوي أبو عبد الله (181هـ)، **الزهد والرقائق**، بيروت: دار الكتب العلمية، ج16، ص106، ح364.

[5] العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، ج15، ص243.

تعالى، وتفضيله على كل حب دنيويّ فانٍ مع فناء الـدنيا، ولا تـتم طهـارة هـذا القلـب إلا إذا توّج بمحبة الناس، ورحمة المسلمين.

فقد روي عن عمر بن الخطـاب ψ قـال: إن رسـول الله ρ قـال: "**إن الله تبـارك وتعالى بعث حبيبي جبريل عليه الصلاة والسلام إلـى إبـراهيم υ فقـال لـه: يـا إبـراهيم إني لم أتخذك خليلا على أنك أعبدُ عبادٍ لي ولكن اطلعت علـى قلـوب المـؤمنين فلـم أجـد قلبا أسخى من قلبك**"[1].

ومن شواهده حديث أنس مرفوعا: "**إن بـدلاء**[2] **أمتـي لـم يـدخلوا الجنـة بصـوم ولا صلاة ولكن برحمة الله وسخاء الأنفس والرحمة للمسلمين**"[3].

وعن ابن عباس ψ قـال: جلـس نـاس مـن أصـحاب رسـول الله ρ ينتظرونـه، فخرج حتى إذا دنا منهم فسمعهم يتذاكرون، فتسـمع حـديثهم، فقـال بعضـهم: عجبـا أن الله تعالى اتخذ من خلقه إبراهيم خليلا، وقال آخر ماذا بأعجـب مـن أن كلـم الله تعـالى موسـى تكليما، وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحـه، وقـال آخـر آدم اصـطفاه الله، فخـرج علـيهم رسول الله ρ فسلم وقال: "**قد سمعت كلامكم وعجـبكم إن إبـراهيم خليـل الله وهـو كـذلك، وموسى نجيٌّ الله وهو كـذلك، وعيسـى كلمتـه وروحـه وهـو كـذلك، وآدم اصـطفاه الله وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامـل لـواء الحمـد يـوم القيامـة ولا فخـر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة ويفتح البـاب لـي فيـدخلنيها ومعـي فقـراء المـؤمنين ولا**

---

[1] المنذري، **الترغيب والترهيب**، كتاب البر والصلة، ح3956. قال العجلوني: إسناده ضعيف، ومن شواهده ما رفعه أنس "إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصوم ولا صلاة ولكن برحمة الله وسخاء الأنفس والرحمة للمسلمين". أنظر: العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي أبو الفداء (1162هـ)، **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**، ط4، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405هـ، ج2، ص241.

[2] البدلاء والأبدال جمع بدل، وجمع بديل بدلى، والأبدال هم الأولياء والعباد، سموا بذلك لأنهم كلما مات منهم واحد أبدل بآخر. أنظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة بدل ج11، ص49.

[3] السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد أبو الخير (902هـ)، **المقاصد الحسنة المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1405 هـ – 1985م، ج1، ص45، ح8. قال السخاوي: ورد الحديث بطرق مختلفة كلها عن أنس ψ كلها ضعيفة.

فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر"[1].

ولم يكن فخره ρ فخر تكبر ولكنه فخر بالله، ومعنى لا فخر: أي لا أقول هذا القول على سبيل الفخر الذي يدخله التكبر.

وقد ظهرت فضيلته ρ في ليلة الإسراء والمعراج بتقدمه عليهم إماما، وعلوه فوق الجميع مقاما، حتى جاوز السبع الطباق إلى سدرة المنتهى إلى حيث شاء الله عز وجل. واختص ρ بأشياء أخر في سماحة شريعته، ووضع الآصار عن أمته، وكونه أكثرهم تابعا، وكذلك يبدو فضله في الآخرة بكونه أول من تنشق عنه الأرض، وأول مشفع، وأول من يستفتح باب الجنة، وأول من يدخلها من الأمم أمته، وله الحوض المورود وهو الكوثر، وهو أكثر الأنبياء واردا، وله اللواء المعقود وهو لواء الحمد[2].

وقد تكلم العلماء في الفرق بين المحبة والخلّة بكلام كثير، فقالوا أن الخلة تختص بمعنى، والمحبة تختص بمعنى آخر.

فالمحبة هي الإيثار والموافقة والإقبال على المحبوب، وخاصته الوجد بالمحبوب، والرّقّة له بعد الميل إليه، والإقبال عليه، والإيثار له. والخلة هي الاختصاص والمداخلة، يقال خلل أصابعه إذا أدخل بعضها في بعض، وخلل لحيته إذا أدخل أصابعه فيها، فكأن المتخاللين يتداخلان بينهما في وقوف كل واحد منهما على ما يستر خليله، ويطلع على مُغَيّب خليله، وخاصة أمره، مما يستره عن غيره، ولا يُطْلِع عليه أحدا من الناس، وهذه خاصية الخلة[3].

---

[1] الترمذي، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، كِتَاب الْمَنَاقِبِ عن رسول اللَّهِ ρ، باب في فضل النبي ρ، ح3616. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب.

[2] حكمي، حافظ بن أحمد، **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، ط1، الدمام: دار ابن القيم، 1410هـ - 1990م، ج3، ص1122.

[3] الكلاباذي، محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب البخاري أبو بكر (380هـ)، **بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار**، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1420هـ - 1999م، ج1، ص276.

ولم يصل أحد لما وصل إليه رسول الله ρ مـن القـرب ليلـة الإسـراء، ممـا يؤكـد أن الحبيب أقرب إلى الله مـن الخليـل، وأن الخلّـة مقدّمـةُ المحبـة، بـل إن التمهيـد الأول لرسالة الإسلام التامة كان ببعثة سيدنا إبراهيم υ، فهو الذي بلّـغ أصـول الرسـالة الخالـدة، ثم جاء رسول الله ρ ليبلّغ تفاصيلها، ويثبّتها ويهيـئ بمـن آمـن معـه بسـط نفوذهـا علـى أكبر بقاع الأرض وأهمها، والملفت للانتباه هنـا لـمَ هـذا التـداخل العجيـب بـين الخليـل والحبيب دون غيرهما من الأنبيـاء والمرسـلين صـلوات الله علـيهم أجمعـين، فلـولا إرادة الله تعالى لهذا التشابه والتداخل المقصود لما كـان هـذا الاخـتلاف مـن قبـل العلمـاء فـي الفصل بين المرتبتين، ومع هذا كله فمـن المؤكـد أن هنـاك قربـا خاصـا مـن الله تعـالى تقتضيه المنزلتان، ولا يسعنا إلا الإيمان بهمـا كمنـازل ومراتـب خاصـة بـأعظم الرسـل، والتيقن من قرب كليهما من الله تعالى مكاناً ومكانـةً، فـي الحيـاة الـدنيا، وعنـد الله تعـالى في جنات النعيم.

المطلب الثاني: محبة الناس.

إن الإنسـان كـائن اجتمـاعي بفطرتـه، لا يمكنـه أن يعـيش دون تواصـل مـع الآخرين، وحتى يكون لهذا التواصل ثماره في استمرار الحيـاة فـلا بـد مـن كسـب محبـة الناس، وهذا لا يتأتّى للمـرء إلا إذا حصـل علـى احتـرامهم وثقـتهم، فـإن هـذه الأمـور وغيرها هي مقدمات للمحبة، وقد أسـكن الله تعـالى حـبّ نبيـه محمـد ρ قلـب كـل مـن عرفه، سواء رآه أم لم يره حتى أن الله تعالى جعـل حبـه ρ سـببا فـي حـب الله للمـؤمن وغفرانا لذنوبه فقال عزّ من قائل (**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّـهَ فَـاتَّبِعُونِي يُحْبِـبْكُمُ اللَّـهُ وَيَغْفِـرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**[1])، كذلك فإنـه ρ أثبـت ذلـك لنفسـه حـين قـال: "**لا يُـؤْمِنُ أحدكم حتى أَكُونَ أَحَبَّ إليه من وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِـينَ**"[2]، وقـد عـد الله تعـالى حبـه ρ سببا في مرافقته في الجنة فعن أَنَسٍ τ أَنَّ رَجُلا من أَهْلِ الْبَادِيَةِ أتـى النبـي ε فقـال: يـا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ قَائِمَةٌ؟ قال: **وَيْلَكَ وما أَعْدَدْتَ لها؟** قـال: مـا أَعْـدَدْتُ لهـا إلا أَنِّـي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قال: **أنك مع من أَحْبَبْـتَ**، فَقُلْنَـا: وَنَحْـنُ كَـذَلِكَ، قـال: **نعـم**، فَفَرِحْنَـا

[1] آل عمران، 31

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب أحدكم ما يحب لنفسه، ح15.

يَوْمَئِذٍ فَرَحًا شَدِيدًا فَمَرَّ غُلَامٌ لِلْمُغِيرَةِ وكان مــن أَقْرَانِــي فقــال: **إن أُخِّــرَ هــذا فَلَــنْ يُدْرِكَــهُ الْهَرَمُ حتى تَقُومَ السَّــاعَةُ**"[1]، وهــذه الأحاديــث جعلــت حبــه ρ محــطّ تنــافس الصــحابة، وزوجاته ρ فعن عَائِشَةَ ψ قالت: قال لــي رســول اللَّــهِ ρ: "**إنــي لأَعْلَــمُ إذا كُنْــتِ عَنِّــي رَاضِيَةً وإذا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى**" قالت: فقلت: من أَيْــنَ تَعْــرِفُ ذلــك؟ فقــال: "**أَمَّــا إذا كُنْــتِ عَنِّي رَاضِــيَةً فَإِنَّــكِ تَقُــولِينَ لا وَرَبِّ مُحَمَّــدٍ، وإذا كُنْــتِ غَضْــبَى قُلْــتِ لا وَرَبِّ إبــراهيم**" قالت: قلت: أَجَلْ والله يا رَسُولَ اللَّهِ ما أَهْجُــرُ إلا اسْــمَكَ[2]. وقولهــا ψ ورب إبــراهيم إنمــا ذكرت إبراهيم دون غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والســلام لأنــه أولــى النــاس بــه كمــا نص عليه القرآن، وفيه دلالة على فطنة عائشة وقوة ذكائهــا، وقولهــا مــا أهجــر إلا اســمك حصرٌ في غاية من اللطف؛ لأنها أخبرت أنها إذا كانــت فــي غايــة الغضــب الــذي يســلب العاقل اختياره لا يغيرها عــن كمــال المحبــةِ المســتغرقةِ ظاهرَهــا وباطنَهــا، الممتزجــة بروحها، وإنما عبرت عن الترك بالهجران؛ لتدل به على أنها تتــألم مــن هــذا التــرك الــذي لا اختيار لها فيه[3].

وهناك سبب آخر أراه لــذكر عائشــة ψ لإبــراهيم υ دون غيــره وهــو معرفتهــا التامة بحب رسول الله ρ الشديد له، فهو أبوه في الملّة التي هــي أقــرب مــن أبــوّة النســب، وهي تعلم تمام العلم بأن ذكرها له يسعد قلــب الرســول ρ، ولا يــؤثر فــي العلاقــة بينهمــا سلباً، فلم تذكر أباها ψ مع أنه أحب الناس إلــى قلــب الرســول ρ مــن الرجــال، وذكــرت من هو أحب إلى قلبه وأقرب.

جاء في شرح الإمام النووي لصحيح مســلم قــول القاضــي عيــاض[4]: ولــولا ذلــك كان على عائشة ψ في ذلك من الحــرج مــا فيــه؛ لأن الغضــب علــى النبــي ρ وهجــره

---

[1] المرجع السابق، كتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرجل ويلك، ح5815.

[2] المرجع السابق، كتاب النكاح، باب غيرة النساء ووجدهن، ح4930.

[3] العيني، **عمدة القاري**، ج20، ص210.

[4] هو القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي، أبو الفضل عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم، ولي قضاء سبتة، ومولده فيها، ثم قضاء غرناطة، وتوفي بمراكش مسموما، قيل: سمه يهودي. من تصانيفه الشفا بتعريف حقوق المصطفى توفي سنة 544 هـــ. أنظر: الزركلي، **الأعلام**، ج5، ص99.

كبيرة عظيمة، ولهذا قالت: لا أهجر إلا اسـمك، فـدل علـى أن قلبهـا وحبهـا كمـا كـان، وإنما الغيرة في النساء لفرط المحبة[1].

عن عَائِشَةَ ψ قالـت: "**كـان رسـول اللَّـهِ ρ إذا أَرَادَ سَـفَرًا أَقْـرَعَ بـين نِسَـائِهِ فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بها معه وكان يَقْسِمُ لِكُـلِّ امْـرَأَةٍ مِـنْهُنَّ يَوْمَهَـا وَلَيْلَتَهَـا غيـر أَنَّ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ وَهَبَتْ يَوْمَهَـا وَلَيْلَتَهَـا لِعَائِشَـةَ زَوْجِ النبـي ρ تَبْتَغِـي بِـذَلِكَ رِضَـا رسول اللَّهِ ρ**"[2].

وكان رسول الله ρ إذا كان بالليل سار مـع عائشـة يتحـدث معهـا، فقالـت حفصـة لعائشة ألا تركبين الليلة بعيري وأركب بعيـرك فتنظـرين وأنظـر؟ قالـت: بلـى. فركبـت حفصة على بعير عائشة، وركبت عائشة علـى بعيـر حفصـة، فجـاء رسـول الله ρ إلـى جمل عائشة وعليه حفصة فسلم، ثم سار معها حتى نزلـوا، فافتقدتـه عائشـة فغـارت، فلمـا نزلت جعلت تجعل رجليها بـين الإذخـر[3]، وتقـول: يـا رب سـلط علـيّ عقربـا أو حيـة تلدغني، رسولُك ولا أستطيع أن أقول له شيئا[4]، وإن هذا الـذي فعلتـه وقالتـه حملهـا عليـه فرط الغيرة على رسول الله ρ[5].

ولو حلّلنا مواقف أمهات المؤمنين ψن، لوجـدنا السـبب الرئيسـي وراء كـل موقـف هو شدة المحبة لرسول الله ρ؛ وهـذه المحبـة هـي التـي دفعـت سـودة ψ للتنـازل عـن ليلتها لعائشة ψ لعلمها بمحبة الرسول ρ لها وبأن ذلـك سيسـعده، ومـا طلـب حفصـة ψ من عائشة ψ مبادلة الركوبة إلا لشدة محبتهـا للرسـول ρ، والرغبـة فـي مرافقتـه، ومـا تصرف عائشة ψ بعد ذلك إلا للسـبب ذاتـه، ومـا أكثـر الشـواهد مـن السـيرة النبويـة

---

1 النووي، يحيى بن شرف بن مري أبو زكريا (676هـ)، **شرح النووي على صحيح مسلم**، ط2، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1392هـ، ج15، ص203. بتصرف.

2 البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الهبة، بَاب هِبَةِ الْمَرْأَةِ لِغَيْرِ زَوْجِهَا وَعِتْقِهَا إذا كان لها زَوْجٌ فَهُوَ جَائِزٌ، ح2453.

3 الإذخر حشيش طيب الريح أطول من الثيل ينبت على نبتة الكولان واحدتها إذخرة إلا أنه أعرض وأصغر كعوبا وله ثمرة كأنها مكاسح القصب إلا أنها أرق وأصغر وهو يشبه في نباته الغرز يطحن فيدخل في الطيب وهي تنبت في الحزون والسهول وهي شجرة صغيرة وقلما تنبت الإذخرة منفردة. أنظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة ذخر ج4، ص303.

4 ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج9، ص311.

5 النووي، **صحيح مسلم بشرح النووي**، ج15، ص202

العطرة، وسيرة الصحابة الكرام على حبه ρ. ولا يقل خيرةُ أهل زماننا محبةً له ρ عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم وحشرنا معهم، ولولا ذلك لما اشتاق إليهم المصطفى ε. فعن أبي هُرَيْرَةَ τ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ε أتى الْمَقْبُرَةَ فقال: "**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إن شَاءَ الله بِكُمْ لَاحِقُونَ وَدِدْتُ أَنَّا قد رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا قالوا أو لسنا إِخْوَانَكَ يا رَسُولَ اللَّهِ قال أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لم يَأْتُوا بَعْدُ...**"[1].

ومن شدة الحب الذي ألقاه الله تعالى في قلب محمد ρ لأبيه إبراهيم υ أن أسند إليه نعت خير الناس، فعن أنس بن مالك ψ أن رجلا قال للنبي ρ: **يا خير الناس قال:** "**ذاك إبراهيم**" **قال: يا أعبد الناس قال:** "**ذاك داود**"[2]. وأما قوله ρ لما قال له ذلك الرجل يا خير البرية ذاك إبراهيم υ ففيه جوابان:

أحدهما: أنه قاله تواضعا واحتراما لإبراهيم عليه السلام لخلته وأبوته.

وثانيهما: أنه قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم.

وهناك جواب ثالث ذكره ابن العربي أن قوله ذاك إبراهيم يعني بعده، والصحيح الجواب الثاني، فالجواب من وجهين:

أحدهما أن المراد خير البرية الموجودين في عصره، وأطلق العبارة الموهمة للعموم لأنه أبلغ في التواضع.

ثانيهما إن كان ما وُصف به إبراهيم υ خبرا فالنسخ يدخله؛ لأن التفضيل يمنحه الله لمن يشاء من عباده، وخير البريّة هو سيدنا محمد ρ لأنه أكثر الأنبياء أتباعا[3].

---

[1] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، ح249.

[2] الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن مهران أبو نعيم (430هـ)، **تاريخ أصبهان**، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1410هـ- 1990م، ح560. والحديث ضعيف لأن في سنده إبراهيم بن المختار التميمي أبو إسماعيل الرازي وهو صدوق ضعيف الحفظ مات سنة 82هـ. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب**، ص33.

[3] ابن الملقن، عمر بن علي الأنصاري أبو حفص (804هـ)، **غاية السول في خصائص الرسول ρ**، بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1414هـ - 1993م، ج1، ص269.

ومن دلائل حبه ρ لإبراهيم υ أنه سماه وليّه من الأنبياء، فعن عبد اللَّهِ بن عمر ψ قال: قال رسول اللَّهِ ρ: "**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ وُلاةً مِنَ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ وَلِيِّي أَبِي وَخَلِيلُ رَبِّي، ثُمَّ قَرَأَ [إِنَّ أَوْلَى الناس بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النبي وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ**[1]]"[2].

والولي هو الناصر المعين[3]، ولا يصل المرء إلى هذه الدرجة من القرب إلا بالمحبة الكاملة التي لا تكتمل إلا بالصفات الموجبة لها، فالمحبة وإن كانت أمراً قلبياً بحتا إلا أن للعقل فيه جانب، وكأن للمحبة أسباباً تجعلها ممكنة، والأسباب في حب رسول الله ρ لنبي الله إبراهيم υ كثيرة أجلّها أنه خليل الله تعالى، وأبو الأنبياء والملة، وقد أسكن الله تعالى قلوبَ المسلمين حبَّ من يحبه رسول الله ρ، فأصبح حب الخليل υ يتخلل في قلوب أولى الناس به، وهم أتباعه من المسلمين من أمة محمد ρ حتى قيام الساعة. وقد جاءت الآية الكريمة في سياق الرد على اليهود والنصارى بأن إبراهيم υ كان يهوديا أو نصرانيا، فردت الآية عليهم، وبيّنت أن أولى الناس باتباعه هم محمد ε وأمته.

المبحث الثاني: التشابه في الصفات الخَلْقية.

ينحدر البشر جميعا من أصل واحد، ومن أب واحد هو آدم υ، وقد أحكم الله تعالى خلقه بجعل سنته في خلق الأبناء على شبه الآباء، في عموم المخلوقات، بشراً كانوا أم غير بشر، ومن حكمته جلّ في علاه أن جعل بين أبي الأنبياء وخاتَمهم تشابهاً فريداً، تجلّى هذا الشبه في العديد من الصفات الخَلقية، ذُكر طرفٌ منه قبل البعثة النبوية، وذُكر البعض الآخر بعدها، ومنه ما صرّح به المصطفى ρ.

---

[1] آل عمران، 68

[2] الترمذي، **سنن الترمذي**، كِتَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عن رسول اللَّهِ ρ، باب ومن سورة آل عمران، ح2995.

[3] الرازي، **مختار الصحاح**، مادة ولي ج1، ص306.

ومن المعروف أن العرب كانوا من أوائل مـن بـرع فـي اقتفـاء الأثـر وإلحـاق الأنساب، وقد كانت إحدى هذه الصفات إرهاصاً[1] مـن إرهاصـات نبـوة سـيدنا محمـد ρ، فعن ابن عباس ψ قال: **كانت امرأة بمكـة كاهنـة فاجتمعـت إليهـا قـريش فقـالوا لهـا: أخبرينا بأشبهنا قـدماً بـإبراهيم خليـل الـرحمن υ، قالـت: اجتمعـوا واجمعـوا أبنـاءكم وصبيانكم، قال: فاجتمعوا، فقالت: مـدوا الكسـاء علـى سـهلة ومـروا عليهـا، فبسـطوا كساء ومروا عليها، فآخر من جاء النبي ρ، فقالـت: هـذا أشـبهكم قـدما بـإبراهيم خليـل الرحمن**[2].

أما ما حصل ليلة الهجرة النبوية فقد أبهر لـبّ أبـي سـفيان بـن حـرب ψ، فعـن أبي غرازة[3] عن رجل كان مـن رؤوسـهم بمكـة قـال: "**لمـا تـوارى رسـول الله ρ مـن قريش أخرجت قريش معقلا أبا كرز القائف، فرأوا أثـرا فقـالوا: أُنظـر إلـى هـذا الأثـر، فقال: ما رأيت وجه محمد قط، ولكـن إن شـئتم ألحقـت لكـم نسـب هـذا الأثـر، قـالوا: ألحق، قال: هذا الذي في مقام إبراهيم، أو هذا من الـذي فـي مقـام إبـراهيم، فقـال أبـو سفيان: خرفت[4] حسدا للنبي ρ أن يكون يُشَـبّه بـإبراهيم υ**"[5]. ومـع أن الحـديث ضـعيف إلا أن معناه ثبت في حديث صحيح لا أصرح منـه ولا أوضـح فـي تأكيـد الشـبه بينهمـا وهو قول رسول الله ρ: "**ليلة أسري بـي رأيـت موسـى، وإذا هـو رَجُـلٌ ضَـرْبٌ رَجِـلٌ،**

---

[1] الإرهاص شرعا هو الأمر الخارق للعادة يظهر للنبي قبل بعثته. أنظر: مصطفى، إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، مادة رهص ج1، ص377.

[2] الأصبهاني، دلائل النبوة، ج1، ص75، ح60.

[3] هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مليكة التيمي المكي أبو غِرَازَة الجدعاني لين الحديث. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب**، ص426.

[4] من خُرافة وهو لفظ أجراه العرب على كل ما يكذبونه من الأحاديث وعلى كل ما يستملح ويتعجب منه. **أنظر**: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة خرف ج9، ص66

[5] الأصبهاني، دلائل النبوة، ج1، ص75، ح61. والحديث ضعيف لأن راويه أبا غرازة دلّس ولم يصرح باسم الرجل الذي روى عنه.

كأنه من رجال شنوءة[1]**، ورأيت عيسى، فإذا هو رجل ربعة أحمر، كأنما خرج من ديماس**[2]**، وأنا أشبه ولد إبراهيم به، ثم أُتيت بإناءين: في أحدهما لبن وفي الآخر خمر، فقال: اشرب أيهما شئت، فأخذت اللبن فشربته، فقيل : أخذت الفطرة، أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك"**[3].

والتساؤل الذي يطرح نفسه هنا هو: كيف لكاهنة وقائف لا يمتّان لمحمد ε بصلة قرابة أو دين، أن يشهدا بمثل تلك الشهادة مع تباعد الزمن، إلا أن تكون حقاً؟ ولم يكن ذلك إلا بأمر من الله تعالى ليهيء مناخاً مناسباً لبعثة الرسول ε، فمن شهد كلام الكاهنة من أهل مكة أكثر ممن لم يشهد، ولا بد أن ينقل ما شهد حتى يصل خبر هذه الواقعة إلى حد التواتر، ولم يكن من شهد كلام القائف بعد البعثة ويوم الهجرة أقل شأنا من أولئك، فهو إذن تأييد من الله تعالى لرسوله ε، وتأكيد لنبوته ورسالته، واستحضار لشرف نسبه؛ ليكون فيه مدعاة لتصديقه وسبب في اتباعه.

وقد رُوي عن عبد الله بن مسعود ψ في حديث الإسراء والمعراج الطويل عن رسول الله ρ: **"ثم انطلقنا حتى أتينا السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال جبريل، وقيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم. قالوا: مرحبا به ولنعم المجيء جاء، فأتيت على إبراهيم υ، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا أبوك إبراهيم، فسلمت عليه، فقال: مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح"**[4].

---

[1] رَجُلٌ ضَرْبٌ رَجِلٌ: أي نحيف قوله رجل بفتح الراء وكسر الجيم أي دهين الشعر مسترسله، أي غير جعد، وقوله كأنه من رجال شنوءة حي من اليمن ينسبون إلى شنوءة وهو عبد الله بن كعب. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج6، ص429.

[2] الديماس في اللغة السرب ويطلق أيضا على الكنّ، والحمام من جملة الكنّ، المراد من ذلك وصفه بصفاء اللون ونضارة الجسم وكثرة ماء الوجه، حتى كأنه كان في موضع كن فخرج منه وهو عرقان وأنه عرق حتى قطر الماء من رأسه ويحتمل أن يكون كناية عن مزيد نضارة وجهه. المصدر السابق نفسه، ج6، ص484.

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الأنبياء، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى **[وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى] [وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا]**، ح3241.

[4] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ρ إلى السماوات وفرض الصلوات، ح162.

وما ترحيب إبراهيم υ بمحمد ρ بهــذه الطريقــة وبهــذه الكلمــات " **مرحبــا بــالابن الصالح والنبي الصالح**" إلا ترحيب محبٍّ بحبيبه ووليّه، وربمــا يكــون حــبّ الوالــد لولــده ليس له تفسير منطقي؛ فهو حب فطري غريزي، وهــو عنــد النــاس جميعــا لا علاقــة لــه بالشبه أو الصفات الخِلقية، وقد تؤثر فيه الصفات الخُلُقية للولــد، فكلمــا كــان ذا خلــق عــالٍ قويم زادت محبته في قلب أبيه، وعند الأنبياء والرســل تحكمــه هــذه الصــفات مــن بــاب أولى، فكيف بحب أبٍ من الأنبياء لابنه الــذي هــو آخــر الأنبيــاء، وقــد عظمــت صــفاته بشهادة ربّ العزة جلّ وعلا **[وَإِنَّــكَ لَعَلَــى خُلُــقٍ عَظِــيمٍ]**[1]، ومــع كــل مــا جمعــه الابــن الصالح والنبي الخاتَم من صفات خُلُقيّة، فقد تُوّجت بشــبهٍ كبيــر بينــه وبــين أبيــه إبــراهيم υ، فجعلت حبّ الابن في قلب أبيه أكبر من حبه لبقية أخوته وأعظم.

المبحث الثالث: الدعاء والاستجابة.

لا يخفى على أحد مــن المســلمين أن الأنبيــاءَ والرســلَ علــيهم أفضــل الصــلاة وأزكى التسليم، مستجابو الدعاء، فمنهم من دعا لقومــه، ومــنهم مــن دعــا علــيهم، ومــنهم من ادخر دعاءه إلى يوم القيامة، وقــد تشــابهت أدعيــة ســيدنا إبــراهيم υ وأدعيــة ســيدنا محمد ρ إلى حد ما، وهذا ما سأبينه في المطالب الآتية إن شاء الله تعالى.

المطلب الأول: التصبر على الابتلاء.

قبل أن نخوض في هذا المطلــب أحــب أولا أن أبــيّن معنــى الصــبر والمصــابرة والتصبر والفرق بينها، فالصبر هو حبس الــنفس عــن الجــزع، وبابــه ضــرب، وصــبره حبسه، قال الله تعالى {**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ**}[2]. وفــي حــديث النبــي ε فــي رجــل أمســك رجــلا وقتله آخر قال: "**اقتلوا القاتل واصبروا الصابر**"[3]. أي احبســوا الــذي حبســه للمــوت حتــى

---

[1] القلم، 4

[2] الكهف، 28

[3] البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسروجِردي أبو بكر (458هـ)، **سنن البيهقي الكبرى**، مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، 1414هـ – 1994م. جماع أبواب تحريم القتل....، باب ما جاء في قتل الإمام وجرحه، ح15809.

يموت، والتصبر تَكَلُّفُ الصبر وتقول اصطبر واصّبر[1]، وقوله عز وجل {**اصْبِرُوا وَصَابِرُوا**}[2]. أي اصبروا واثبتوا على دينكم و صابروا أي صابروا أعداءكم في الجهاد[3].

يتبيّن مما سبق أن أعلى درجات الصبر هي تكلُّفه أي التصبّر، لأنها تعويد للنفس على عدم الجزع، وترويض لها على التحمّل، بل كأنّ اللفظ يشير إلى أن المرأ هنا يأمر نفسه بدل أن تأمره، فكأنها طائعة لأمره، منصاعة لمراده في تحمّل الأعباء، وهي الدرجة التي تتأتّى للأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه.

كما لم يرسل الله تعالى نبيا ولا رسولا إلا وابتلاه، كيف لا وهي سنة الله تعالى في الصالحين من عباده، وهي في حَمَلَة الرسالة ومبلغيها أدعى وأولى، وقد مرّ إبراهيم υ بمصاعب عدّة، وابتلاءات عظيمة، ربما كانت محاولة قتله حرقاً من أشدّ تلك الابتلاءات؛ لحداثة سنّه، وخلو قومه من مصدّق له ذي نفوذ يمنع تلك الجريمة، إلا أن هذا الرسول متوقّد العقل والمشاعر دعا الله تعالى بدعاء غير مسبوق فعن ابن عباس ψ قال: كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار: "**حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ**"[4]. وعنه أيضا: "**حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**" قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ υ حين ألقي في النَّارِ وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ρ حين قالوا: {**إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**}[5]. والمراد أنهم كلما ازدادوا إيمانا في قلوبهم أظهروا ما يطابقه، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، ومعنى الدعاء "**حَسْبُنَا اللَّهُ**" أي كافينا الله، وتقدير الآية يكفينا الله ونعم الكافي، والوكيل فعيل بمعنى مفعول، وهو الموكول إليه، والكافي والكفيل، ثم قال تعالى [**فَانْقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ**] وذلك أن النبي ρ خرج ورجع بنعمة من الله، والنعمة هنا العافية والفضل، وقيل النعمة منافع الدنيا، والفضل ثواب الآخرة وقوله

---

[1] الرازي، **مختار الصحاح**، مادة صبر ج1، ص149.

[2] آل عمران، 200

[3] ابن منظرو، **لسان العرب**، مادة صبر ج4، ص439.

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، بَاب "إِنَّ الناس قد جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ" الآيةَ، ح4288.

[5] المصدر السابق، كتاب التفسير، بَاب "إِنَّ الناس قد جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ" الآيةَ، ح4287.

[لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوء] لم يصبهم قتل ولا جراح، **[وَاتَّبَعُواْ رِضْوانَ اللَّهِ]** في طاعة رسوله، **[وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ]** قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا[1].

وعن شداد بن أوس[2] ψ قال: قال النبي ρ: " **حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ أَمَانُ كُلِّ خَائِفٍ**"[3].

ومما يناسب إيراده هنا ما أخرجه الحكيم الترمذي عن بريدة بن الحصيب τ قال: قال رسول الله ρ: "**مَنْ قَالَ عَشْرَ كَلِمَاتٍ عِنْدَ دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ غَدَاةً وَجَدَ اللهَ عِنْدَهُنَّ مُكْفِياً مُجْزِياً خَمْسٌ للدُّنْيَا وَخَمْسٌ للآخِرَةِ حَسْبِيَ اللهُ لِدِينِي حَسْبِيَ اللهُ لِمَا أَهَمَّنِي حَسْبِيَ اللهُ لِمَنْ بَغَى عَلَيَّ حَسْبِيَ اللهُ لِمَنْ حَسَدَنِي حَسْبِيَ اللهُ لِمَنْ كَادَنِي بِسُوءٍ حَسْبِيَ اللهُ عِنْدَ الْمَوْتِ حَسْبِيَ اللهُ عِنْدَ الْمُسَاءَلَةِ فِي الْقَبْرِ حَسْبِيَ اللهُ عِنْدَ الْمِيزَانِ حَسْبِيَ اللهُ عِنْدَ الصِّرَاطِ حَسْبِيَ اللهُ لا إِلهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**"[4].

فإذا وفق الله عبدا توكل بحفظه وهدايته وإرشاده وتوفيقه وتسديده، وإذا خذله وكله إلى نفسه أو إلى غيره، ولهذا كانت هذه الكلمة حسبنا الله ونعم الوكيل كلمة عظيمة، وقد قالتها عائشة ψ حين ركبت الناقة لما انقطعت عن الجيش، وهي كلمة المؤمنين، فمن حقق التوكل على الله لم يكله إلى غيره وتولاه بنفسه، وحقيقة التوكل هي تَوكيل الأمور كلها إلى من هي بيده، فإنه تعالى وليُّ الذين آمنوا، وهذه هي حقيقة الوثوق برحمة الله، كما في هذا الدعاء، فإني لا أثق إلا برحمتك، فمن وثق برحمة ربه

---

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج9، ص82.

[2] شَدَّادُ بْنُ أَوْسِ بْنِ ثَابِتٍ، يُكَنَّى أَبَا يَعْلَى، وَهُوَ ابْنُ أَخِي حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، تُوُفِّيَ بِفِلَسْطِينَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ، وَلَهُ خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً فِي أَيَّامِ مُعَاوِيَةَ، عَقِبُهُ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، ذَكَرَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ أَنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا. أنظر: أبو نعيم الأصبهاني، **معرفة الصحابة**، ج3، ص1459.

[3] أبو نعيم الأصبهاني، تاريخ أصبهان، ج1، ص 336. والحديث إسناده ضعيف لأن فيه بقية بن الوليد بن صائد وهو صدوق كثير التدليس عن الضعفاء مات سنة 97هـ. أنظر: ابن حجر ا لعسقلاني، **تقريب التهذيب**،ص65. وللحديث شاهد صحيح ذكرته في الصفحة 126.

[4] الحكيم الترمذي، **نوادر الأصول في أحاديث الرسول ρ**، ج2، ص274.

ولم يثق بغير رحمته، فقد حقق التوكل عليه في توفيقــه وتســديده، فهــو جــدير بــأن يتكفــل الله بحفظه، ولا يكله إلا إلى نفسه جلّ وعلا[1].

وبهذا يكون سيدنا محمد ρ قد دعا بدعاء أبيــه إبــراهيم υ حينمــا أحــسّ بــالخطر، وما كان ليدعو بهذا الدعاء إلا لعلمه بأن المولى عــز وجــل لا يخــذل مــن يــؤمن بــأن الله يكفيه عدوّه، ليس هذا فحسب بل أيضا يجزيه علــى ذلــك نعمــة الطمأنينــة، وينــزل عليــه السكينة.

فعن معن بن عيسى[2] قال: كــان نقــش خــاتم مالــك بــن أنــس حســبي الله ونعــم الوكيل، فسئل عن ذلك فقال: سمعت الله تبارك وتعــالى قــال لقــوم قــالوا حســبنا الله ونعــم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء[3].

المطلب الثاني: الدعاء ببعثة محمد ρ.

توجه إبراهيم υ بعد بناء البيت المحرم إلى ربــه جــلّ وعــلا بالــدعاء لأهــل مكــة أن يهيئ لهم من ذريــتهم مــن يعلمهــم الكتــاب والحكمــة، ويطهّــرهم مــن أدران الشــرك والجاهلية.

فعن العرباض بن سارية ψ صــاحب رســول الله ρ قــال: ســمعت رســول الله ρ يقول: "**إني عبد الله وخاتم النبيين وأبي منجدل[4] فــي طينتــه وســأخبركم عــن ذلــك: أنــا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي آمنــة التــي رأت، وكــذلك أمهــات النبيــين يرين، وأن أم رسول الله ρ رأت حين وضعته له نــورا أضــاءت لــه قصــور الشــام، ثــم**

---

[1] ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد (795هـ)، **شرح حديث لبيك اللهم لبيك**، ط1، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد،1417هـ، ج1، ص122.

[2] هو معن بن عيسى بن يحيى بن دينار الأشجعي مولاهم القزاز أبو يحيى المدني أحد أئمة الحديث، قال أبو حاتم: هو أثبت أصحاب مالك وأتقنهم، وكان ثقة كثير الحديث ثبتا مأمونا وذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان هو الذي يتولى القراءة على مالك، مات بالمدينة سنة 198هـ. أنظر: المزّي، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج (742هـ)، **تهذيب الكمال**، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1400هـ– 1980م، ج10، ص226.

[3] ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري أبو عمر (463هـ)، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1387هـ، ج1، ص96.

[4] المُنْجَدِلُ الساقط والمُجَدَّل الملقى بالجدالة وهي الأرض. أنظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة جدل ج11، ص104.

تلا [**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً# وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً**[1]"[2].

وقد جاء في مفاتيح الغيب أن إبراهيم υ إنما دعا بهذا الدعاء بمكة لذريته الذين يكونون بها، وبما حولها، ولم يبعث الله تعالى إلى من بمكة وما حولها إلا محمداً ρ[3].

وهذا ما أشار إليه الشيخ الشنقيطي في تفسيره للآية الكريمة من سورة الزخرف، وهي قوله تعالى[**وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ# بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءهُمْ حَتَّى جَاءهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ# وَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ**[4]**]**. فقال: الضمير المنصوب في جعلها على التحقيق راجع إلى كلمة الإيمان، المشتملة على معنى لا إله إلا الله، المذكورة في قوله [**إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ # إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي**][5] لأن لا إله إلا الله نفي وإثبات؛ فمعنى النفي منها هو البراءة من جميع المعبودات غير الله، في جميع أنواع العبادات، وهذا المعنى جاء موضحاً في قوله [**إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ**] ومعنى الإثبات منها هو إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله، وهذا المعنى جاء موضحاً في قوله [**إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ**][6].

وضمير الفاعل المستتر في قوله "وَجَعَلَهَا" راجع إلى إبراهيم υ، وهو ظاهر السياق، وقال بعضهم: هو راجع إلى الله تعالى –وليس في هذا الرجوع إشكال وسأبيّن ذلك في مطلب الدعاء لمكة والمدينة–، ويكون المعنى على القول الأول صيَّر إبراهيم

---

[1] الأحزاب، 46/45

[2] الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأحزاب، ح3566. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

[3] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج4، ص60.

[4] الزخرف، 28/ 29

[5] الزخرف، 26

[6] الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار (1393هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، بيروت: دار الفكر، 1415هـ– 1995م. ج7، ص102–103. بتصرف.

υ تلك الكلمة باقية في عقبه؛ أي ولده وولد ولده، وإنما جعلها إبـــراهيم υ باقيـــة فـــيهم لأنـــه تسبب لذلك بأمرين:

أحدهما وصيته لأولاده بذلك، وصـــاروا يتوارثـــون الوصـــية بـــذلك عنـــه، فيوصـــي به السلف منهم الخلف، كما أشار تعالى إلى ذلك بقولـــه **[وَمَـــن يَرْغَـــبُ عَـــن مِّلَّـــةِ إِبْـــرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّـــهُ فِـــي الآخِـــرَةِ لَمِـــنَ الصَّـــالِحِينَ # إِذْ قَـــالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى بِهَآ إِبْـــرَاهِيمُ بَنِيـــهِ وَيَعْقُـــوبُ يَـــابَنِيَّ إِنَّ اللَّـــهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ[1]]**

والثاني هو سؤاله ربَّه تعالى لذريته الإيمـــان والصـــلاح كقولـــه تعـــالى **[وَإِذِ ابْتَلَـــى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًـــا قَـــالَ وَمِـــن ذُرِّيَّتِـــي[2]]** أي واجعـــل من ذريتي أيضاً أئمة، وقوله تعالى عنه **[رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِـــيمَ الصَّـــلاةِ وَمِـــن ذُرِّيَتِـــي[3]]** وقولـــه عنه أيضا **[وَاجْنُبْنِي وَبَنِـــيَّ أَن نَّعْبُـــدَ الأَصْـــنَامَ[4]]** وقولـــه عنـــه هـــو وإســـماعيل υ **[رَبَّنَـــا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ[5]]** إلى قولـــه **[رَبَّنَـــا وَابْعَـــثْ فِـــيهِمْ رَسُـــولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُـــزَكِّيهِمْ[6]]** وقـــد أجـــاب الله دعـــاءه فـــي بعث الرسول المذكور ببعثه محمداً ρ، ولذا جاء في الحديث عنـــه ρ أنـــه قـــال: "**أنـــا دعـــوة إبراهيم**[7]"[8]

ومعنى الحديث السابق كمـــا يقـــول الإمـــام المنـــاوي: أن الله تعـــالى لمـــا قضـــى أن يجعل محمداً ρ خاتم النبيين، وأثبت ذلك في أم الكتـــاب، أنجـــز هـــذا القضـــاء بـــأن قـــيّض

---

[1] البقرة، 131/130

[2] البقرة، 128

[3] إبراهيم، 40

[4] إبراهيم، 35

[5] البقرة، 128

[6] البقرة، 129

[7] سبق تخريجه في الصفحة: 128.

[8] الشنقيطي، **أضواء البيان** ج7، ص103.

إبراهيم υ للدعاء؛ ليكون إرساله إياه بدعائه، كما يكون تقلبه من صلبه إلى أصلاب أولاده[1].

وفي هذا عبرة لكل مسلم بأن لا ينسى ذريته وأبناءهم من صالح دعائه، وأن يطلب لهم الصلاح والاستقامة؛ لأن السائل فقير، والمسئول غني كريم لا تعجزه المسائل، وأن يلح في الطلب على الله تعالى فإنه يحب سماع صوت عبده يتضرع إليه، فقد جاء في جزء من الحديث القدسي أن الله تعالى يقول: "**يا عِبَادِي لو أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا في صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ ما نَقَصَ ذلك مِمَّا عِنْدِي إلا كما يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**"[2].

المطلب الثالث: الدعاء للأولاد والذريّة.

تعدّ الذّرّية الصالحة من أعظم النّعم الإلهية على البشر، وقد سماها الله تعالى زينة الحياة الدنيا، فقال جلّ وعلا [**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً**][3] وقد جاء في تفسير هذه الآية أن المال والبنين زينة الحياة الدنيا؛ لأن في المال جمالاً ونفعاً، وفي البنين قوةً ودفعاً، فصارا زينة الحياة الدنيا[4]. ولما كانت هذه النّعم وأشباهها محطّ أنظار البشر، ومهبط أمانيهم، وسببا في حسد بعضهم للبعض الآخر، وتمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض، فقد منّ الله تعالى علينا بأن علمنا أساليب الوقاية من هذه العيون الحاسدة، وهي آيات تتلى على النفس والذرّية والمال فتحميها من الحسد بإذن الله تعالى، قال جلّ وعلا [**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ # مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ # وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ # وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ # وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ #**][5]. وقد جاء في تفسير الآية الأخيرة من

---

[1] المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي (1031هـ)، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، ط1، مصر: المكتبة التجارية الكبرى، 1356هـ، ج3، ص46.

[2] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم، ح2577.

[3] الكهف، 46

[4] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج10، ص413.

[5] الفلق، 1-5

السورة الكريمة: إن الحاسد لا يؤثر حسده إلا إذا أظهره بأن يحتال للمحسود فيما يؤذيه، أما إذا لم يظهر الحسد فإنما يتأذى به هو لا المحسود؛ لاغتمامه بنعمة غيره[1].

قال الزمخشري: ويجوز أن يراد بشر الحاسد إثمه وسماجة حاله في وقت حسده وإظهار أثره[2].

وليست الآيات فقط حرزٌ لأبنائنا بل إن السنة النبوية المطهّرة عبقت بكنوز من الرقى الشرعية المحصّنة للأبناء فعن ابن عباس ψ قال: كان رسول الله ρ يعوّذ الحسن والحسين فيقول: "**أعِيذكما بكلمة الله التّامّة من كل شيطان وهامّة ومن كل عين لامّة**[3]" ثم يقول: "**هكذا كان أَبي إبراهيم υ يعوذ إسماعيل وإسحاق عليهما السلام**"[4]. وهنا يظهر حسن التأسّي وقمة الاقتداء بالأب الحكيم الحليم، فها هو رسولنا ρ يعوّذ أبناءه كما كان أبوه إبراهيم υ يعوّذ أبناءه وبالكلمات نفسها؛ ليظل صداها يتردد في مسامع أمته حتى قيام الساعة، فهم أولى الناس باتّباع إبراهيم υ بعد أتْباعه وبعد رسولهم ρ.

ولأن الله تعالى أمرنا بالدعاء، فقد عدّ تركَ دعائه استكباراً عن عبادته عزّ وجلّ فقال {**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**}[5]. وقد ورد عن الرسول ε أن الدعاءَ رادٌّ للقدر فقال: "**لا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**"[6]. فإن المسلم يؤمن بذلك عقيدة، ويطبقه شريعة، مع إيمانه التام بأنه لا ينفع

---

[1] ابن حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، ج8، ص534.

[2] الزمخشري، **الكشاف**، ج4، ص825.

[3] تامة: معنى التمام ههنا أنها تنفع المتعوذ بها وتحفظه من الآفات وتكفيه. أنظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة تمم ج12، ص67. لامّة: العين اللامة هي العين التي تصيب الإنسان. أنظر: المصدر السابق، مادة لمم ج12، ص522. هامّة: الهامة بالتشديد جاء في الحديث "اجتنبوا هوم الأرض فإنها مأوى الهوام". أنظر: المصدر السابق نفسه، مادة همم ج12، ص625.

[4] ابن حنبل، **مسند أحمد**، ج1، ص270، ح2434.

[5] غافر، 60

[6] البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسروجِردي أبو بكر (458هـ)، **القضاء والقدر**، ط1، الرياض: مكتبة العبيكان، 1421هـ – 2000م. باب لا يرد القدر إلا الدعاء، ح249. قال البيهقي: إسناده أمثل إسناد في هذا الباب.

حذرٌ من قدر محتوم، وأن قدر الله تعالى واقع لا محالــة، وأن الإنســان مهمــا كانــت قوتــه، ومهما بلغ ذكاؤه، فإنه لا يستطيع أن يهــرب مــن قــدر الله تعــالى إلا إليــه، فإنــه يتعلــق بالدعاء وبالرقى الشرعية؛ لشــدة ضــعفه، وتيقّنــه بــأن الله تعــالى قــادرٌ علــى حمايتــه، وحماية أبنائه، وأنه تعالى يثيب المستنّ بسنة الحبيــب المصــطفى ρ ثوابــا عظيمــا، فيرفــع عنه الضيق والخوف ويستجيب له، ويلطف فيه فيما قدّره عليــه مــن مصــائب، قــدّر فيهــا أيضا أن هذا المؤمن سيلتجيء إلى الله تعالى، ويــدعوه، فيقــع القضــاء بلطــف الله تعــالى، فيتلقاه الإنسان المؤمن بقلب راضٍ، ويثبتُ في حق أمــة محمــد ρ قولــه تعــالى {**إِنَّ أَوْلَــى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ** }[1].

المطلب الرابع: الدعاء لمكة والمدينة.

عُمّرت مكةُ المكرمة بدخول إبراهيم υ وزوجه وابنه إليهــا، ولمــا لــم يكــن أمامــه υ خيار في اختيار مكان آخر ليُسكِن أهله فيه غير هــذا الــوادي المُقفــر؛ امتثــالا لأمــر الله العزيز العليم، لهج لسانه بالدعاء له ولأهله وذرّيــتهم مــن بعــدهم؛ ليبــارك الله تعــالى هــذا الوادي أرضا وبنــاء وإنســانا، ولــم تكــن ملــة إبــراهيم υ إلا تهيئــة لآخــر الرســالات السماوية، ولآخر الرسل بعثةً وهو سيدنا محمد ρ، الــذي أدخــل الإســلام المدينــةَ المنــورةَ أول مرة مع اتفاقية الهجرة النبوية وبيعتي العقبة، اللتين حظيتا بــأول معاهــدةٍ بــين رســول الله ε ومن أسلم من قبائل يثرب، ثم تُوّجت هــذه الاتفاقيــة بهجــرة النبــي ρ إلــى يثــرب، التي طابت بــدين الله الخــاتَم الناســخ فأصــبحت طيبــة، وأنــارت برســول الله ε فســميت المدينة المنورة، ونالت المدينة من خير دعاء المصــطفى ρ، تأســياً بأبيــه إبــراهيم υ فــدعا لها ولثمرها ومدّها وصاعها[2] فعن أبــي هريــرة ψ قــال: كــان النــاس إذا رأوا أول الثمــر جاءوا به إلى النبي ρ فإذا أخذه رسول الله ρ قال: "**اللهــم بــارك لنــا فــي ثمرنــا، وبــارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبــارك لنــا فــي مــدنا، اللهــم إن إبــراهيم عبــدك**

---

[1] آل عمران، 68

[2] الصاع: هو إناء يسع خمسة أرطال، وهو أربعة إمداد وربما زاد عليها إلى خمسة. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج1، ص305. المدّ: مكيال وهو رطل وثلث عند أهل الحجاز ورطلان عند أهل العراق. أنظر: الرازي، **مختار الصحاح**، مادة مدد ج1، ص258.

وخليلك ونبيك، وإني عبدك ونبيك، وإنه دعاك لمكة، وإني أدعوك للمدينة، بمثل ما دعاك لمكة، ومثله معه". قال: ثم يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك الثمر[1].

وقد حرم إبراهيم υ مكة إلى يوم القيامة وسأل الله تعالى أن يجعلها بلداً آمناً {**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**}[2]. والأمان المطلوب هنا هو ألا يصيبها ما يصيب بقية البلدان من الخسف والخوف وإغارة القبائل[3].

وقد أنجز الله تعالى له ذلك فعلا فقال {**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً ءامِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ**}[4]. وكذلك فإن الله تعالى قد ذكّر قريشاً بهذا الأمان الذي أنعم به عليهم فقال {**وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ**}[5]. ثم جاء آخر الأنبياء محمدٌ ρ خيرُ ولدٍ له من ذرّيته، وخيرُ متأسٍّ به، فحرّم المدينة المنورة، كما حرم إبراهيم υ مكة المكرمة، مؤكدا على أنه يسير على خطى أبيه υ، فعن عبد الله بن زيد ψ[6] عن النبي ρ: "**أنّ إبراهيم حرّم مكة ودعا لها وحرّمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ودعوت لها في مُدّها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم υ لمكة**"[7].

وقد فهم مجموعة من العلماء أن هذه البركة مرتبطة بحياة هذين الرسولين وبكيلهما أو بكيل من يوافقهما عقيدة وشريعة، وقد نقل ذلك ابن حجر العسقلاني رحمه

---

[1] مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الحج، باب فَضلِ المدينة ودعاء النبي ρ فيها بِالبركة، ح1373.

[2] البقرة، 126

[3] ابن جزي الكلبي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج1، ص60.

[4] العنكبوت، 67.

[5] قريش، 4.

[6] هو عبد الله بن زيد بن عاصم بن كعب الأنصاري المازني أبو محمد اختلف في شهوده بدرا، وقال ابن عبد البر شهد أحدا وغيرها ولم يشهد بدرا، وروى عن النبي ρ عدة أحاديث، وكان مسيلمة قتل حبيب بن زيد أخاه فلما غزا الناس اليمامة شارك عبد الله بن زيد وحشي بن حرب في قتل مسيلمة وأخرج البخاري عن عبد الله بن زيد قال لما كان زمن الحرة أتاه آت فقال له إن ابن حنظلة يبايع الناس على الموت فقال: لا أبايع على هذا أحدا بعد رسول الله ρ، يقال قتل يوم الحرة سنة 63هـ. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج4، ص98.

[7] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب البيوع، باب ما يستحب من الكيل، ح2022.

الله تعالى فقال: "وكلام الرسول ρ يشعر بأن البركة المذكورة في الحديث مقيدة بما إذا وقع الكيل بمد النبي ρ وصاعه، ويحتمل أن يتعدى ذلك إلى ما كان موافقا لهما لا إلى ما يخالفهما والله أعلم[1].

والراجح لديّ أن هذه البركة ممتدة بفضل دعائه ρ حتى قيام الساعة، وأن هذا الامتداد واضح الأثر إلى يومنا هذا بغض النظر عن أن البركة تكون بكيل المصطفىρ وصاعه أو بكيل من هو موافق له عقيدة وشريعة أو حتى لمخالفه؛ لأن التحريم لمكة والمدينة لا يزال كذلك، ولم يأت أحد ويقول إن التحريم كان في وقتهما عليهما صلاة الله وسلامه فقط، وعليه فإن البركة أيضا ممتدة مثله؛ إذ أنها معطوفة عليه في الحديث الشريف، ومن المعروف أن المعطوف يأخذ حكم المعطوف عليه. وبما أن الدعاء كان لمكة والمدينة كأرض ومكان ولم يظهر في الحديث مقيّدٌ ولا مخصّصٌ فإن أثر هذا الدعاء باقٍ بقاء الأرض والمكان.

أما الدعاء لأهل مكة والمدينة فقد صدر منهما عليهما الصلاة والسلام أيضا، فقد قال الله تعالى على لسان إبراهيم υ **[رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ]**[2]. والتعليم والتزكية من أفضل ما يدعو به الأب لأبنائه، والرسول لقومه، ويتمناه لهم، وقد استجاب الله تعالى له ذلك، وبعث محمدا ρ، وعندما طلب إبراهيم υ أن تكون الإمامة في ذريته، أخبره الله تعالى بأن هذا الأمر لا يتأتّى لكل أحد، ولا يتحصّل للظالمين {**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**}[3]. ودليل ذلك ما جاء في سورة الزخرف من قوله تعالى **[وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ# بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلاَءِ وَآبَاءهُمْ حَتَّى جَاءهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ# وَلَمَّا**

[1] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج4، ص347.

[2] البقرة، 129

[3] البقرة، 124

جَآءهُمُ الْحَقُّ قَالُواْ هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَـافِرُونَ][1]. وقد ذكرت سابقا أن هناك قولا في أن ضمير الفاعل المستتر عائد إلى الله تعالى.

يقول الإمام الشنقيطي: إن الله تعالى لم يجب دعوة إبراهيم في جميع ذريته، ولم يجعل الكلمة باقية في جميع عقبه؛ لأن كفار مكة الذين كذبوا بنبينا ε من عقبه، بإجماع العلماء، وقد اتهموه بأنه ساحر، وكثير منهم مات على ذلك، وذلك في قوله تعالى {**بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلاَءِ**}. يعني كفار مكة وآباءهم، حتى جاءهم الحق ورسول مبين، وهو محمد ε، {**وَلَمَّا جَآءهُمُ الْحَقُّ قَالُواْ هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ**}.

وقد دلت على ذلك آيات أخر من كتاب الله، كقوله تعالى في سورة البقرة {**قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**}. أي الظالمين من ذرية إبراهيم υ.

وقوله تعالى في سورة الصافات {**وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ** }[2]. فالمحسن منهم هو الذي بقيت فيه الكلمة، والظالم لنفسه المبين منهم ليس كذلك.

وقوله تعالى في سورة النساء {**فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُّلْكاً عَظِيماً # فَمِنْهُمْ مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً**}[3].

وقد بين تعالى في سورة الحديد أن غير المهتدين منهم كثيرون وذلك في قوله {**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ**}[4] وقوله تعالى في آية الزخرف {**لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** } أي جعل الكلمة باقية فيهم، لعل الزائغين الضالين منهم يرجعون إلى الحق بإرشاد المؤمنين المهتدين منهم، لأن الحق ما دام قائماً في جملتهم، فرجوع الزائغين عنه إليه مرجوٌّ مأمول[5].

---

[1] الزخرف، 28/ 29

[2] الصافات، 113

[3] النساء، 54/ 55

[4] الحديد، 26

[5] الشنقيطي، **أضواء البيان**، ج7، ص104.

وبمثل دعاء إبراهيم υ وأكثر وأشـمل دعـا الحبيـب المصـطفى ρ للأنصـار فـي المدينة المنورة فقال: "**اللهم ارحـم الأنصـار وأبنـاء الأنصـار وأبنـاء أبنـاء الأنصـار**"[1]. وهؤلاء هم جزء من القرون الثلاثة الأولى التي شـهد لهـا رسـول الله ρ بالخيريـة فقـال: "**خَيْرُ الناس قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**"[2].

وبالنظر في دعائهما عليهما صلوات الله وسلامه نستنتج ما يأتي:

1. دعاء الأنبيـاء لـلأرض والمكـان يلزمْهمـا حتـى قيـام السـاعة؛ لأن الأرض هـي الأرض لا تتغير بتغير الزمان، وإنما هي باقيـة فـي أصـلها، وقـد نالـت مكـة المكرمـة والمدينة المنورة خيريةً عظيمةً بتشريف الله تعـالى لهمـا ببيتـه وأعظـم رسـله ومهـاجَر حبيبه ρ.

2. دعاء الأنبياء للإنسان الذي يسكن الأرض، والمكـان مقيـد بكونـه قائمـاً بشـريعة الله تعالى ملتزماً بها، ولم يقتصر الدعاء على الأمور المادية البحتـة التـي يسـعى إليهـا معظـم البشر، وإنما بدأ دعاء إبراهيم υ للإنسـان الصـالح المقـيم علـى عهـد الله تعـالى بـالعلم والدين والتزكية والرزق الطيب الحلال، المقيـد بالإيمـان والتقـوى، أمـا الكـافر فـإن لـه متاعاً في الحياة الدنيا يشمل كل أنواع المتاع.

وقد تُوّجت هذه المطالب بدعاء المصطفى ρ لأهـل المدينـة بالرحمـة وهـي كلمـة شاملة للدنيا والآخرة، وهـي نتيجـة حتميـة للالتـزام بـأمر الله تعـالى وشـرعه الـذي لا يتحصّل للإنسان إلا بالعلم والتزكية.

ومن أروع ما قرأت مقارنـةً عقـدها الإمـام السـيوطي رحمـه الله بـين محمـد ρ وإبراهيم υ فقال: إن إبراهيم υ أوتي النجاة من النـار، وقـد ثبـت نظيـر ذلـك لنبينـا ρ، وأوتي إبراهيم υ الخلة وقد قال رسول الله ρ: "**إن الله اتخـذني خلـيلا كمـا اتخـذ إبـراهيم**

---

[1] ابن حنبل، **مسند أحمد**، ج3، ص76، ح11748، والحديث صحيح ورجاله ثقات غير محمد بن اسحاق وقد صرح بالسماع. أنظر: الهيثمي، علي بن أبي بكر بن سليمان أبو الحسن (807هـ)، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، القاهرة/ بيروت: دار الريان للتراث/دار الكتاب العربي 1407هـ، ج10، ص30.

[2] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة زور إلا إذا أُشهد، ح 2509

خليلا فمنزلي ومنزل إبراهيم في الجنة تجاهين والعباس بيننا مؤمن بين خليلين"[1]، وقد حُجب إبراهيم υ عن نمرود بحجب ثلاث، وكذلك حجب نبينا ρ عمن أراد قتله بحجب ثلاث كما قال تعالى **[إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ # وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ]**[2] وقال تعالى **[وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً]**[3]، وقد ناظر إبراهيم نمرود فبهته بالبرهان والحجة، كما قال تعالى **[فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ]**[4]. وكذلك نبينا ρ أتاه أبي بن خلف يكذب بالبعث بعظم بال ففركه وقال: من يحيي العظام وهي رميم؟ فأنزل الله تعالى **[قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ]**[5]. وهذا هو البرهان الساطع، وقد كسر إبراهيم υ أصنام قومه غضبا لله تعالى، وكسر نبينا ρ أصنام قومه وهي ثلاث مائة وستون صنما، يوم فتح مكة، ومن معجزاته ما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف عن أبي صالح قال: انطلق إبراهيم υ يمتار[6] فلم يقدر على الطعام، فمر بسهلة حمراء، فأخذ منها ثم رجع إلى أهله، فقالوا: ما هذا؟ قال: حنطة حمراء، ففتحوها فوجدوها حنطة حمراء، فكان إذا زرع منها شيء خرج سنبلة من أصلها إلى فروعها حبا متراكبا[7].

---

[1] الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، باب إبراهيم النبي υ خليل الله عز وجل، ح4018. قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرّجاه.

[2] يس، 9/8

[3] الإسراء، 45

[4] البقرة، 258

[5] يس، 79

[6] تحرك وجاء وذهب. أنظر: الرازي، **مختار الصحاح**، ج1، ص266.

[7] ابن أبي شيبة، **المصنف في الأحاديث والآثار**، كتاب الفضائل، باب مما أعطى الله إبراهيم υ وفضله به، ح31819. والحديث صحيح ورجاله ثقات إلا أن فيه سالم بن أبي الجعد تابعي مرسل ثقة. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب**، ص166.

وقد حدث نظير ذلــك لنبينــا ρ فــي السـقاء الــذي زوده لأصـحابه ومـلأه مـاء ففتحوه فإذا فيه لبن وزبد، عن سالم بن أبـي الجعـدψ[1] قـال: "**بعـث رسـول الله ρ رجلـين في بعض أمره فقالا: يا رسول الله ما معنا ما نتـزود؟ فقـال: ابتغيـا لـي سـقاء فجـاءاه بسقاء، قال: فأمرنا فملأناه ثم أوكأه وقال: اذهبـا حتـى تبلغـا مكـان كـذا وكـذا فـإن الله سيرزقكما، قال: فانطلقا حتى أتيا ذلـك المكـان الـذي أمرهمـا بـه رسـول الله ρ فأنحـل سقاؤهما فإذا لبن وزبد غنم فأكلا وشربا حتى شـبعا**"[2]. وفيمـا أوتـي إبـراهيم وإسـماعيل عليهما السلام الصبر على الذبح، وقد تقدم ذلـك لنبينـا ρ فـي حادثـة شـق الصـدر، فـإن ذلك نظيره، بل أبلغ منه لأنه وقع حقيقة والذبح لم يقع[3].

وقد جاءت هذه المقارنـة لتشـمل الأمـور العقديّـة مـن ناحيـة الحمايـة الربانيـة للرسول ε، وتأييده بالمعجزات الدالّة على صـدقه، والحجـج والبـراهين التـي جابـه بهـا أعداءه، والابتلاء الذي يحتاج إلى صبرٍ يعجـز عنـه البشـر، ممـا تشـابه فيـه الرسـولان عليهما صلوات الله وسلامه، مما يؤكد وحدانية السـراج الـذي صـدر منـه النـور الإلهـي ببعثة أبي الأنبياء وخاتمهم ومن سبقهما، ومن جاء بينهمـا صـلى الله علـيهم جميعـا وسـلم تسليما كثيرا.

---

[1] هو سالم بن أبي الجعد أحد ثقات التابعين ذكره بعضهم في المخضرمين مات سنة 99هـ وله مائة وخمس عشرة سنة فيكون أدرك من الحياة النبوية ستا وعشرين سنة وهذا باطل، وقد جزم أبو حاتم الرازي بأنه لم يدرك ثوبان ولا أبا الدرداء فضلا عن كبار الصحابة. أنظر: ابن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج3، ص274.

[2] ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج1، ص173. والحديث صحيح ورجاله ثقات.

[3] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر (911هـ)، **الخصائص الكبرى**، بيروت: دار الكتب العلمية، 1405هـ – 1985م. ج2، ص306– 308

الخاتمة:

الحمد لله حمداً كثيراً يوافي نعمه، ويــوازي جليــل قــدره، ويليــق بعظمــة ســلطانه، والصلاة والسلام على حبيبه وصفيه من خلقه وخــاتَم أنبيائــه ورســله النبــي الأمــيّ محمــد ρ وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأما بعد...

فقد هيّأ الله تعالى لي ما هيّأ من أسباب الوصول إلــى كنــوز العلــم الــديني التــي لا تنضب، وقد أبهرني مجهود العلمــاء –علــى ضــآلة مــا حوتــه المكتبــات– فــي دراســة شخصية سيدنا إبراهيم υ وتتبّع مسيرة حياته منــذ ولادتــه حتــى وفاتــه، وعقــد المقارنــات بينه وبين رسول الله محمد ρ، وإظهار العلاقات بين الرســالتين، وإن دلّ هــذا علــى شــيء فإنه يدلّ على عظم شخصية هذا النبي الكــريم، والتــي تســتحق أن تكــون مثــالا يُحتــذى، ومناراً يهتدي به العالم والمتعلم والأب والابن في أي زمان.

وأهم ما تمّ استنتاجه في هذه الدراسة:-

أولاً: اختلف علماء التاريخ في اسم والد سيدنا إبراهيم υ ومكان ولادته وبعض تفاصيل رحلاته وهجراته، وهذا الاختلاف لا يضيرنا كمسلمين لأنه لا يترتب على معرفته كبيــر علــم، ولا على عدم معرفته كبير جهل، لأن الله تعالى لو أراد أن يطلعنا عليه لأطلعنا، والحكمة الأولى من القصص القرآني هي التقاط العبرة والعظة منها.

ثانياً: إن حياة إبراهيم υ كانت نسقا متكاملا من الابتلاءات العظيمة، والتي أبدى فيهــا الصبر والتصبّر والتوكل والرضا بقضاء الله تعالى دون جزع أو تردد.

ثالثاً: اتبع إبراهيم υ جميع الأساليب الممكنة في توصيل دعوتــه إلــى قومــه، فمــن المواجهة الفردية والجماعية إلى إقامة الحجة بالبرهان والحوار والتورية.

رابعاً: لقد غير إبراهيم υ المنكر بيديه حين كسّر الأصنام، وبلسانه طوال مدة بعثته، ولم يكن أبداً ممن يغير المنكر بقلبه؛ لأنه لم يكن ضعيف الإيمان مطلقاً.

خامساً: رفع إبراهيم υ قواعد البيت الحرام قبلة المسلمين التي رضيها رسول الله محمد ρ بعد أن توجه في صلاته إلى المسجد الأقصى عدداً من السنين. ثم توجّه بعد ذلــك بــأربعين عاماً إلى رفع قواعد المسجد الأقصى المبارك، قبلة المسلمين الأولى، ومسجدهم الثاني.

سادساً: وجوه التشابه بين أبي الأنبياء υ وخاتمهم ρ كثيرة جداً فمن الشبه الخَلقي إلــى التشابه في الصفات الخُلُقية، وفي الدعاء، وفي محبة الله والناس، والمكانة في الدنيا والآخرة.

الحمد لله الحنّان المجيد الفعّال لما يريد

ومن جعل الحمد خاتمة النعمة جعله الله فاتحة المزيد.

فهرست الآيات

الرقم	الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
22	{رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي.... الْأَبْرَارِ}	193		114
23	{فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ ... وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ}	184		64
24	{فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ .... عَنِ الْعَالَمِينَ}	97		73
25	(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي...غَفُورٌ رَحِيمٌ)	31		118
26	{وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْأَنْجِيلَ}	48		39
27	(أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ ...عَظِيماً)	54	سورة النساء	56
28	{أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي... قَوْلاً بَلِيغاً}	63		23
29	{فَإِنْ آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم}	6		36
30	{فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ..... سَعِيراً }	55/54		136
31	(وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)	113		39
32	{وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ .... اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً}	113		39
33	[وَكُنْتُ عليهم شَهِيدًا.... على كل شَيْءٍ شَهِيدٌ]	117	المائدة	114
34	{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ .... مُهْتَدُونَ}	82	سورة الأنعام	92
35	{أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}	90		59
36	{فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى ... مِمَّا تُشْرِكُونَ}	76– 78		32
37	{قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ....مِنَ الْمُهْتَدِينَ}	56		63
38	[وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر......]	74		106/89/31/11
39	{وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ .... بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}	80–81		92
40	{وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ ....* وَمَا أَنَا مِنَ	75– 79		83
41	{وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ...نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}	84		20
42	{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}	199	الأعراف	23
43	(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ)	114	التوبة	55
44	{بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ}	128		113

الرقم	الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
46	{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ ... الْجَحِيمِ}	113		91
47	{وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ... إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ}	114		91/88–87
48	[إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي ... إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ]	36	يونس	98
49	{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ... وَلا تُنْظِرُونِ}	71		63
50	{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ}	75	سورة هود	55
51	{إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ... مِمَّا تُشْرِكُونَ}	54		63
52	{فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ ..... مَرْدُودٍ}	76–74		98
53	{قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ... حَمِيدٌ مَجِيدٌ}	73		70
54	{وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ .... إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ}	71		18
55	{وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ... بِعِجْلٍ حَنِيذٍ}	69		58–57
56	{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ ... الدُّعَاءِ}	39	سورة إبراهيم	100
57	{رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ..... دُعَاءِ}	40		130
58	{رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ .... يَشْكُرُونَ}	37		19
59	(وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ)	35		130
60	{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ......الْأَصْنَامَ}	35		134
61	{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً .... وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}	120	النحل	67
62	{فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ ....كَرِيماً}	23	الإسراء	13
63	[وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا ... حِجَاباً مَسْتُوراً]	45		138
64	{إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا ... رَشَداً}	10	سورة الكهف	40
65	[الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ ... ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً]	46		131
66	{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ ... وَزِدْنَاهُمْ	13		40
67	{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ... أَمْضِيَ حُقُباً}	60		40
68	{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ.... }	28		125

69	{إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا ..... عَنْكَ شَيْئاً}	42	سورة مريم	80/3
70	(إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ)	54		100
71	{فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ... نَبِيّاً}	49		101/24
72	{فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ..*... صِدْقٍ عَلِيّاً}	50-49		101/88
73	(قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ... مَلِيّاً)	46		89
74	{قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً}	30		38
75	{قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ .... رَبِّي حَفِيّاً}	48-47		90
76	{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً}	41		57
77	[وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ...وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً}	54		19
78	{وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ... بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيّاً}	48		23
79	{يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ ...... وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً}	46-43		89
80	(يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ...فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً)	45-44		89
81	{يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً}	12		40/39/38/30
82	{وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى}	132	طه	52
83	{وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ ...عَزْماً}	115		62-61
84	{إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ ..... لَهَا عَابِدِينَ }	53-52	سورة الأنبياء	92/80
85	[أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ...... اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ]	67 -66		108
86	{فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ ...... مَا هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ}	65-64		31
87	{قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ..... الْأَخْسَرِينَ}	70 -66		106/51-50
88	[قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ ....يَنْطِقُونَ}	63		109
89	{قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ}	68		31/22
90	{قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ}	60		40/35
91	[كما بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ .... إِنَّا كنا فَاعِلِينَ}	104		114

92	{وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ}	85		100
93	{وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ ...... الْأَخْسَرِينَ}	70-57		93
94	{وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا .... لَنَا عَابِدِينَ}	73		66
95	{وَذَا النُّونِ... سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}	87		62
96	{وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ ..... أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ}	52-51		35
97	{وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ... فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ}	70-51		104-103/55/35/30
98	{وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً ....إِنْ كُنْتُمْ لا	7		18
100	[وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ]	35		42
101	{وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي ... لِلْعَالَمِينَ}	71		27/25/24
102	{فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ... الَّتِي فِي الصُّدُورِ}	46	سورة الحج	85
103	(مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ)	78		113
104	{وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ ...وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}	26		70
105	{وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ ...فَجٍّ عَمِيقٍ}	27		114/71
106	[وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ .... مِنْ قَبْلُ]	78		109
107	{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ }	4	النور	90
108	{إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ.... أَوْ يَضُرُّونَ}	73-70	سورة الشعراء	106
109	{قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ* ... رَبَّ الْعَالَمِينَ}	77-75		92
110	{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ....إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ}	77-69		80
111	{وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ}	84		113
112	{وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ}	86		13
113	{وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ...لا يَهْتَدُونَ}	24	النمل	32
114	(وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا... لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ)	55	القصص	91
115	{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا ..... غَيْرِي}	38		34-33

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
116	{أَولَمْ يرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حرَماً ءامِناً ... مِنْ حَوْلِهِمْ}	67	سورة العنكبوت	134
117	{فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ ... الْعَزِيزُ	26		49/24
118	{قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ ... الْغَابِرِينَ}	32		98
119	(نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا)	32		98
120	{وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ...لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}	24-16		94
121	{ووَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ ويَعْقُوبَ ... لَمِنَ الصَّالِحِينَ}	27		65
122	{وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ ....مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً}	7	سورة الأحزاب	62
123	{وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ... كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً}	34		57/39
124	{وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ....وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ....}	33		70/5
125	{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ... وَسِرَاجاً مُنِيراً}	46-45		129
126	[إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً .... لا يُبْصِرُونَ]	9-8	يس	138
127	[قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ ... خَلْقٍ عَلِيمٌ]	79		138
128	{رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ}	100	سورة الصافات	20
129	{فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ }	101		53
130	{فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ... عَظِيمٍ}	101 –106		53
131	(فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ....وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عظيم)	107-102		53
132	{فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ.... وَمَا تَعْمَلُونَ}	96-88		93-92
133	{قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ* ....تَعْمَلُونَ}	96-95		106/89
134	{وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ*.... مَاذَا تَعْبُدُونَ}	85-83		56
135	{وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ... لِنَفْسِهِ مُبِينٌ}	113		136
136	[وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِنَ ..... لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ}	113/112		53
137	{وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي... نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ}	112-99		100
138	[وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ ...أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ]	45		58

الرقم	الآية	رقمها	السورة	الصفحة
139	[وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ]	20	ص	79/39
140	{أَلا للَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ .... مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}	3	الزمر	32
141	[لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...هُمُ الْخَاسِرُونَ]	63		80
142	{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي ... سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}	60	غافر	132
143	[وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ ....]	78		20
144	[سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِى الأَفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ]	53	فصلت	85
145	{وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ .....}	37		32
146	{حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ... وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ}	16	الشورى	34
147	[شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى.... إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ]	13		62/60
148	[إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ # ..... سَيَهْدِينِ]	27-26	سورة الزخرف	129
149	[بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ... مُقْتَدُونَ]	22		80
150	{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ.... }	26		94/86/31
151	{وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي ..... وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ}	29-28		135/129
152	[فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ ..... يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ]	35	الأحقاف	60
153	{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ... أَخْبَارَكُمْ}	31	محمد ρ	43
154	[إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ]	13	الحجرات	60
155	{فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّت ....}	29	الذاريات	18
156	{فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِملوم... تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}	55-54		23
157	{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ}	24		57
158	{أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ...... فَغَشَّاهَا مَا	36- 54	النجم	41
159	{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ..... مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ}	26	الحديد	136
160	[قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ... وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ]	4	الممتحنة	87/63
161	{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}	4	القلم	125/112

162	[فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ]	**24**	**المدثر**	107
163	(أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)	**24**	**النازعات**	96
164	{فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى}	**24**		34
165	{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى...... صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ	**14– 19**	**الأعلى**	41
166	(وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)	**4**	**قريش**	134
167	[قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ # ...... حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ]	**1– 5**	**الفلق**	131

فهرست الأحاديث

22	**إني أبرأ إلى كل خليل من خُلته**	النهاية في غريب الحديث	**صحيح**	**74**
23	**إني عبد الله وخاتم النبيين وآدم**	المستدرك على	**صحيح**	**130/128/1**
24	**إني لأَعْلَمُ إذا كُنْتِ عَنِّي ....**	صحيح البخاري	**صحيح**	**119**
25	**أول من يكسى خليل الله**	الزهد والرقائق	**موقوف/صحيح**	**115**
26	**أي الناس أشد بلاء؟ قال:.....**	مسند أحمد	**صحيح**	**43**
27	**بعث رسول الله ε رجلين في ...**	الطبقات الكبرى	**صحيح**	**139**
28	**ثم اختتن إبراهيم النبي .....**	صحيح مسلم	**صحيح**	**28**
29	**ثم إن الله عز وجل إذا أحب**	مسند أحمد	**صحيح**	**43**
30	**ثم انطلقنا حتى أتينا ....**	دلائل النبوة للبيهقي	**صحيح**	**124**
31	**ثم سيصير الأمر إلى أن......**	مسند أحمد	**ضعيف**	**26**
32	**حسبنا الله ونعم الوكيل**	صحيح البخاري	**صحيح**	**126**
33	**حسبي الله ونعم الوكيل أمان.....**	تاريخ أصبهان	**ضعيف**	**127**
34	**حسبي الله ونعم الوكيل....**	صحيح البخاري	**صحيح**	**126**
35	**خَيْرُ الناس قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ...**	صحيح البخاري	**صحيح**	**137**
36	**سألت رسول الله ρ عن أول...**	صحيح البخاري	**صحيح**	**73**
37	**ستكون هجرة بعد هجرة فخيار...**	سنن أبي داود	**حسن**	**26–25**
38	**السلام عليكم دار قوم مؤمنين...**	صحيح مسلم	**صحيح**	**121**
39	**فإن عادوا فعد**	فتح الباري	**مرسل صحيح**	**110**
40	**فحانت الصلاة فأممتهم...**	صحيح مسلم	**صحيح**	**115**
41	**فسبحان الله حين تمسون**	جامع البيان	**ضعيف**	**45**
42	**الفطرة خمس الختان**	متفق عليه واللفظ لمسلم	**صحيح**	**44**
43	**قد سمعت كلامكم وعجبكم ...**	سنن الترمذي	**غريب**	**117–116**
44	**قولوا اللهم صل على محمد....**	صحيح البخاري	**صحيح**	**68**

45	**كان آخر قول إبراهيم حين ...**	صحيح البخاري	**صحيح**	**126**
46	**كان الله يبعث ملك الموت ...**	تاريخ دمشق	**ضعيف**	**28**
47	**كان رسول الله ρ إذا أراد ...**	صحيح البخاري	**صحيح**	**120**
48	**كان رسول الله ε في مسير له...**	صحيح البخاري	**صحيح**	**110**
49	**كانت أمثالا كلها: أيها الملك.....**	صحيح ابن حبان	**صحيح**	**42**
50	**كانت امرأة بمكة كاهنة....**	دلائل النبوة للأصبهاني	**صحيح**	**123**
51	**كل الرسل كانوا أولي عزم...**	جامع البيان	**مقطوع صحيح**	**61**
52	**الكلمات التي ابتلي بها إبراهيم...**	تفسير ابن أبي حاتم	**صحيح**	**44**
53	**كلها في صحف إبراهيم وموسى**	المستدرك على	**صحيح**	**41**
54	**لا إله إلا أنت سبحانك ....**	كشف الخفا	**صحيح**	**51**
55	**لا يؤمن أحدكم حتى أكون...**	صحيح البخاري	**صحيح**	**118**
56	**لا يرد القدر إلا الدعا ولا يزيد...**	القضاء والقدر للبيهقي	**صحيح**	**132**
57	**لم يكذب إبراهيم عليه السلام**	صحيح البخاري	**صحيح**	**109/47**
58	**لم يملك الأرض كلها إلا أربعة...**	مصنف ابن أبي شيبة	**صحيح**	**33**
59	**لما توارى رسول الله ρ ...**	دلائل النبوة للأصبهاني	**ضعيف**	**123**
60	**لما فرغ إبراهيم υ من بناء...**	أخبار مكة للفاكهي	**مرفوع صحيح**	**72**
61	**لما فرغ إبراهيم υ من بناء ...**	مصنف ابن أبي شيبة	**موقوف صحيح**	**72**
62	**اللهم ارحم الأنصار وأبناء.....**	مسند أحمد	**صحيح**	**137**
63	**اللهم بارك لنا في ثمرنا...**	صحيح مسلم	**صحيح**	**134-133**
64	**لو كنت متخذا خليلا لاتخذت**	صحيح مسلم	**صحيح**	**75**
65	**ليلة أسري بي رأيت موسى...**	صحيح البخاري	**صحيح**	**124-123**
67	**ما للعب خلقنا**	تاريخ دمشق	**ضعيف**	**39**
68	**المسلم إذا كان مخالطا الناس**	سنن الترمذي	**صحيح**	**24**

69	من قال حين يصبح فسبحان	المعجم الكبير	ضعيف	46
70	من قال عشر كلمات عند دبر...	نوادر الأصول في أحاديث	لم أجده	127
71	نحن أحق بالشك من إبراهيم	صحيح البخاري	صحيح	97
72	وإبراهيم الذي وفّى. قال	جامع البيان	ضعيف	46
73	وإبراهيم الذي وفّى... قال: بلغ	مصنف ابن أبي شيبة	صحيح	46
74	يا أيها الناس إنكم محشورون...	صحيح البخاري	صحيح	114
75	يا خير الناس قال: "ذاك	تاريخ أصبهان	ضعيف	121
76	يا رسول الله متى الساعة قائمة	صحيح البخاري	صحيح	118–119
77	يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي	تفسير القرآن لابن أبي	ضعيف	63
78	يا عبادي لو أن أولكم	صحيح مسلم	قدسي/صحيح	131
79	يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة	صحيح البخاري	صحيح	12

فهرست الأعلام

الرقم	اسم العلم	مصدر الترجمة	صفحة
1	إبراهيم بن المختار التميمي أبو إسماعيل	**تقريب التهذيب**	**121**
2	أحمد البراء بن عمر بهاء الدين الأميري	*www.wa3i.org.sa/news.php*	**50**
3	أحمد محمد جاب الله شلبي	*ahmedshalbyschool.110mb.com*	**21**
4	إسماعيل بن عبد الرحمن السدي 128هـ	**الأعلام**	**11**
5	بقية بن الوليد بن صائد 97هـ	**تقريب التهذيب**	*26*
6	جابر بن زيد الأزدي البصري 93هـ	**الأعلام**	**61**
7	جعفر بن الزبير الحنفي	**تقريب التهذيب**	**46**
8	الحسن بن يسار البصري، 110هـ	**الأعلام**	**11**
9	الحسين بن مسعود بن محمد الفراء 510هـ	**الأعلام**	**30**
10	رفيع بن مِهران الرياحي	**الإصابة في تمييز الصحابة**	**25**
11	زبان بن فائد	**المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**	**46**
12	سالم بن أبي الجعد 99هـ	**الإصابة في تمييز الصحابة**	**139**
13	سعيد بن بشير الأنصاري	**تقريب التهذيب**	**46**
14	سليمان بن طرخان التيمي، 43هـ	**تقريب التهذيب**	**14**
15	سهل بن معاذ بن أنس الجهني	**الجرح والتعديل**	**45**
16	شَدَّادُ بْنُ أَوْسِ بْنِ ثَابِتِ58هـ	**معرفة الصحابة**	**127**
17	*شهر بن حوشب*	فتح الباري	**26**
18	صالح بن فوزان بن عبد الله	www.alfawzan.ws	**67**
19	عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم	**الأعلام**	**14**
20	عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الجزري	**الأعلام**	**95**
21	عبد الرحيم البيساني 596هـ	**طبقات الشافعية**	**5**

22	عَبْدُ اللهِ بْنُ حَوَالَةَ الْأَزْدِيُّ	**معرفة الصحابة**	**26**
23	عبد الله بن زيد بن عاصم بن كعب 63هـ	**الإصابة في تمييز الصحابة**	**134**
25	عياض موسى اليحصبي السبتي 544 هـ	**الأعلام**	**119**
27	كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري 32هـ	**الأعلام**	**18**
28	مجالد بن سعيد الهمداني	**سير أعلام النبلاء**	63
29	مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي 104هـ	**الأعلام**	33
30	محمد بن إبراهيم بن المنذر	**الأعلام**	**56**
31	محمد بن سلاّم بن عبيد الله الجمحي 232هـ	**الأعلام**	*109*
32	محمد بن صالح بن محمد آل عثيمين	www.ibnothaimeen.com	**69**
33	محمد بن صفي الدين العماد الأصفهاني	www.alhakawati.net/arabic/civilizations	**6**
34	**محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر** التيمي	**تقريب التهذيب**	**123**
35	محمد بن عبد الله بن محمد المعافري بن	**mawsoah.net الموسوعة العربية العالمية**	**58**
36	محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني	**الأعلام**	69
37	محمد بن كعب بن سُليم القرَظيّ 120هـ	**تقريب التهذيب**	**30**
38	محمد بيومي مهران	www.14masom.com/mostabsiron	**14**
39	محمد رشيد بن علي رضا القلموني	**الأعلام**	**15**
40	محمد عبده بن حسن خير الله آل التركماني	**الأعلام**	**46**
41	محمد متولي شعراوي 1998م	*quran.maktoob.com/vb/quran*	**83**
42	محمود بن لبيد بن رافع بن امريء القيس	**الإصابة في تمييز الصحابة**	**43**
43	مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشى	**تقريب التهذيب**	**109**
44	معتمر بن سليمان التيمي 87هـ	**تقريب التهذيب**	**14**
45	معمر بن راشد الأزدي 54هـ	**تقريب التهذيب**	**38**
46	معن بن عيسى الأشجعي القزاز 198هـ	**تهذيب الكمال**	**128**

47	مقاتل بن سليمان بن بشير الازدي 150هـ	**الأعلام**	**36**
48	المُنْذِرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ الْمُنْذِرِ أَبُو حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ	**الإصابة في تمييز الصحابة**	**68**
49	نعمة الله بن محمود النخجواني920هـ	**الأعلام**	**104**
50	يعقوب بن عبد الله بن سعد الأشعري74هـ	**تقريب التهذيب**	**28**

فهرست المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم وكتب التفسير:

1. **القرآن الكريم.**

2. ابن حيان الأندلسي، محمد بن علي بن يوسف أبو عبد الله (745هـ)، **البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم**، بيروت: دار الفكر.

3. ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (327هـ)، **تفسير القرآن**، صيدا: المكتبة العصرية.

4. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج (597هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، ط3، بيروت: المكتب الإسلامي، 1404هـ.

5. ابن الحنبلي، عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الجزري السعدي العبادي أبو الفرج (634هـ)، **استخراج الجدال من القرآن الكريم**، ط1، دار الأعلام، 2002م.

6. ابن المنذر النيسابوري، محمد بن إبراهيم أبو بكر (319هـ)، **تفسير القرآن**، ط1، المدينة المنورة: دار المآثر، 1423 هـ ، 2002 م.

7. ابن عادل، عمر بن علي بن عادل الحنبلي أبو حفص (775هـ)، **تفسير اللباب**، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م.

8. ابن كثير، إسماعيل أبو الفداء (774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

9. ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي أبو الفداء(774هـ)، **تفسير القرآن العظيم** ، بيروت: دار الفكر، 1401هـ.

10. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني **أبو الثناء** (1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، بيروت: دار الفكر، 1978م.

11.رضا، محمد رشيد (1354هـ) ، **تفسير المنار**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

12.الزمخشري، محمود بن عمر الخوارزمي أبو القاسم (538هـ)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ط1، بيروت: دار الفكر، 1403هـ- 1983م.

13.السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر (911هـ)، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

14. الشعراوي: محمد متولي (1418هـ/1998م)، **المختار من تفسير القرآن الكريم**، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي. مكتبة الكتاب الالكتروني الإسلامي ومنتدى الكتاب الالكتروني الإسلامي http://adel-ebooks.mam9.com.

15.الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار (1393هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، بيروت: دار الفكر، 1415هـ - 1995م.

16.الشوكاني، محمد بن علي بن محمد أبو عبد الله (542هـ)، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، بيروت: دار الفكر.

17.الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر (310هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، بيروت: دار الفكر، 1405هـ،

18.الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين الطبرستاني أبو عبد الله (606هـ)، **مفاتيح الغيب**، بيروت: دار الكتب العلمية، 1425هـ- 2004م.

19.القاسمي، محمد جمال الدين (1332هـ)، **محاسن التأويل**، ط1، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1376هـ- 1957م.

20.القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري أبو عبد الله (670هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، بيروت: دار الكتب العلمية.

21.القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله (671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، القاهرة: دار الشعب، 1372هـ.

22.الكلاباذي، محمد بن أبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب البخاري أبو بكر (380هـ)، **بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار**، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1420هـ – 1999م، ج1، ص276.

23.النخجواني، نعمة الله بن محمود، **الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية**، مصر: دار كابي للنشر، 1999م.

ثانيا: الحديث الشريف وشروحه:

1. ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي أبو بكر (235هـ)، **المصنف في الأحاديث والآثار**، ط1، الرياض: مكتبة الرشد، 1409هـ.

2. ابن المبارك، عبد الله بن واضح المرزوي أبو عبد الله (181هـ)، **الزهد ويليه الرقائق**، بيروت: دار الكتب العلمية.

3. ابن الملقن، عمر بن علي الأنصاري أبو حفص(804هـ)، **غاية السول في خصائص الرسول ρ**، بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1414هـ – 1993م.

4. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي أبو حاتم (354هـ)، **صحيح ابن حبّان**، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1414هـ– 1993م.

5. ابن خزيمة النيسابوري، محمد بن إسحاق أبو بكر (311هـ)،**صحيح ابن خزيمة**، بيروت: المكتب الإسلامي، 1390هـ– 1970م.

6. ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد (795هـ)، **شرح حديث لبيك اللهم لبيك**، ط1، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد،1417هـ.

7. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري أبو عمر (463هـ)، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1387هـ.

8. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (275هـ)، **سنن أبي داود**، بيروت: دار الفكر.

9. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بزدبه أبو عبد الله (256هـ)، **الجامع الصحيح المسند من أمور الرسول ε وسننه وأيامه**، ط1. بيروت: دار الفكر. 2000م.

10.البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسروجِردي أبو بكر (458هـ)، **سنن البيهقي الكبرى**، مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، 1414هـ - 1994م.

11.الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة أبو عيسى (279هـ)، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

12.الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله أبو عبد الله (405هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1411هـ- 1990م.

13.الحكيم الترمذي، محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله (320هـ)، **نوادر الأصول في أحاديث الرسول ρ**، بيروت: دار الجيل، 1992م.

14.السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد أبو الخير (902هـ)، **المقاصد الحسنة المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1405 هـ - 1985م.

15.الشيباني، أحمد بن حنبل أبو عبد الله (241هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مصر: مؤسسة قرطبة.

16. الطبراني، سليمان بن أحمد أبو القاسم (360هـ)، **المعجم الأوسط**،، القاهرة: دار الحرمين، 1415هـ.

17. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم (360هـ)، **المعجم الكبير**، ط2، الموصل: مكتبة الزهراء، 1404هـ- 1983م.

18.العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي أبو الفداء (1162هـ)، **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**، ط4، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405هـ.

19.العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي (852هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، بيروت: دار المعرفة، 1379هـ.

20.العيني، بدر الدين محمود بن أحمد أبو محمد (855هـ)، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

21.المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي (1031هـ)، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**،ط1، مصر: المكتبة التجارية الكبرى، 1356هـ.

22.المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي أبو محمد (656هـ)، **الترغيب والتهيب**، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1417هـ.

23.النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن (303هـ)، **السنن الكبرى**، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 411هـ- 1991م.

24.النووي، يحيى بن شرف بن مري أبو زكريا (676هـ)، **صحيح مسلم بشرح النووي**، ط2، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1392هـ.

25.النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري أبو الحسين (261هـ)، **صحيح مسلم**، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

26.الهيثمي، علي بن أبي بكر بن سليمان أبو الحسن (807هـ)، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، القاهرة/ بيروت: دار الريان للتراث/دار الكتاب العربي 1407هـ.

ثالثاً: كتب العقيدة الإسلامية:

1. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسروجِردي أبو بكر (458هـ)، **دلائل النبوة**، ط1، بيروت: دار الفكر، 1418هـ- 1997م.

2. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسروجِردي أبو بكر (458هـ)، **القضاء والقدر**، ط1، الرياض: مكتبة العبيكان، 1421هـ-2000م.

3. ابن أبي العز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد الأذرعي الصالحي الدمشقي (792هـ)، **شرح العقيدة الطحاوية**، ط1، مصر: دار السلام للطباعة والنشر، 1426هـ- 2005م.

4. ابن عيسى، أحمد بن إبراهيم (1329هـ)، **توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم الموسومة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية**، ط3، بيروت، المكتب الإسلامي، 1406هـ- 1986م.

5. ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (751هـ)، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، بيروت: دار الجيل، 1973م.

6. ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (751هـ)، **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**،ط2، بيروت: دار المعرفة، 1395هـ-1975م.

7. ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (751هـ)، **الرسالة التبوكية**، زاد المهاجر إلى ربه.

8. ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (751هـ)، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ط14، بيروت، الكويت، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية،1407هـ- 1986م.

9. ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (751هـ)، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ط2، بيروت: دار الكتاب العربي، 1393هـ- 1973م.

10.ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (751هـ)، **مفتاح دار السعادة وولاية العلم والإرادة**، بيروت: دار الكتب العلمية.

11.الأميري، أحمد البراء، **إبراهيم عليه السلام ودعوته في القرآن الكريم**، ط1. جده: دار المنارة. 1406هـ- 1986م.

12.الأميري، أحمد البراء، **فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم**، ط1. دمشق: دار القلم. 1420هـ- 2000م.

13.بهجت، أحمد، **أنبياء الله**، ط3. بيروت: دار الشروق. 1975م.

14.البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسروجِردي أبو بكر (458هـ)، **شعب الإيمان**، ط1، الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الهند: الدار السلفية، 1423هـ- 2003م.

15.زين العابدين، محمد بن سرور بن نايف، **منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله**، ط3. برمنجهام: دار الأرقم. 1408هـ- 1988م.

16.السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر (911هـ)، **الخصائص الكبرى**، بيروت: دار الكتب العلمية، 1405هـ - 1985م.

17.شبلي، سعيد، **درب إبراهيم عليه السلام**، دمشق: دار علاء الدين. 2003م.

18.شلبي، أحمد، **مقارنة الأديان اليهودية**، ط 8، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

19.الشهرستاني, محمد بن عبد الكريم أبو الفتح (548هـ)، **الملل والنحل**، القاهرة: مؤسسة الحلبي.

20.الشهرستاني, محمد بن عبد الكريم أبو الفتح (548هـ)، **الملل والنحل**، بيروت: دار المعرفة، 1404هـ.

21.الشهرستاني, محمد بن عبد الكريم أبو الفتح (548هـ)، **نهاية الإقدام في علم الكلام**، بيروت: دار الكتب العلمية، 2004م.

22.العارف، هشام فهمي، **سيرة إبراهيم الخليل في القرآن المجيد والأحاديث الصحيحة**، ط1. بيروت: دار البشائر الإسلامية. 1417هـ- 1996م.

23.العبدولي، تهامي، **النبي إبراهيم في الثقافة العربية الإسلامية**، سوريا: دار الثقافة العربية. 2001م.

24.العقاد، عباس محمود، **إبراهيم أبو الأنبياء**، بدون معلومات الطباعة.

25.الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله، **إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد**، ط3، القاهرة: مؤسسة الرسالة، 1423هـ 2002م.

26.لاوت، رينهارد، **إبراهيم وأبناء عهده مع الله**، دمشق: خطوات للنشر والتوزيع. 2006م.

27.المدخلي، ربيع، **منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل**. ط3. المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية. 1418هـ– 1997م.

28.الهيثمي، علي بن أبي بكر أبو الحسن (708هـ)، **موارد الظمآن**، بيروت: دار الكتب العلمية.

رابعا: كتب الغريب والمعاجم:

1. ابن الأثير الجزري، المبارك بن محمد (606هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، بيروت: دار الفكر، 1399هـ– 1979م.

2. ابن سلّام، محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي بالولاء أبو عبد الله (232هـ)، **غريب القرآن**.

3. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين (395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، ط2، بيروت: دار الجيل، 1420هـ – 1999م،

4. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم أبو الفضل، **لسان العرب**، بيروت: دار صادر.

5. الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري (393هـ)، **الصحاح في اللغة**، ط4، بيروت: دار العلم للملايين، 1990م.

6. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (721هـ)، **مختار الصحاح**، طبعة جديدة، بيروت: مكتبة لبنان، 1415هـ– 1995م.

7. الزاوي، طاهر أحمد، **ترتيب القاموس المحيط**، بيروت: دار الكتب العلمية، 1979م.

8. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (1205هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار الهداية.

9. مصطفى، إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة.

10.المطرزي، ناصر الدين أبو الفتح، **المغرب في ترتيب المعرب**، ط1، بيروت: مكتبة لبنان، 1990م.

خامسا: كتب الجرح والتعديل:

1. ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي (327هــ)، **الجرح والتعديل**، ط1،بيروت: دار إحياء التراث العربي ، 1271هــ- 1952م.

2. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج (597هــ)، **صفة الصفوة**، ط2، بيروت: دار المعرفة، 1399هــ- 1979م.

3. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله (320هــ)، **الطبقات الكبرى**.

4. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري أبو عمر (436هــ)، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ط1، بيروت: دار الجيل، 1412هــ.

5. أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر (851هــ): **طبقات الشافعية**، بيروت: عالم الكتب. 1407هــ.

6. الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (430هــ)، **معرفة الصحابة**، الرياض: دار الوطن، ط1، 1419هــ- 1998م.

7. البستي، محمد بن حيان بن أحمد بن أبي حاتم التميمي أبو حاتم (354هــ)، **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**، ط1، حلب: دار الوعي، 1396هــ

8. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز أبو عبد الله (748هــ)، **سير أعلام النبلاء**، ط9، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1413هــ.

9. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (1396هــ)، **الأعلام**، ط 15، دار العلم للملايين، 2002م

10.العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي(852هــ)، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ط1، بيروت: دار الفكر، 1421هــ- 2001م.

11.العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي(852هـ)، **تقريب التهذيب**، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1416هـ–1996م.

12.المزّي، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج (742هـ)، **تهذيب الكمال**، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1400هـ– 1980م.

كتب التاريخ:

1. الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح (852هـ)، **المستطرف في كل فن مستظرف**، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1406هـ 1986م.

2. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج (597هـ)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، ط1، بيروت: دار صادر، 1358هـ.

3. ابن خلكان، شم الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، أبو العباس، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، لبنان: دار الثقافة.

4. ابن عساكر، تقي الدين علي بن الحسن أبو القاسم (571هـ)، **تاريخ مدينة دمشق**، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1982م.

5. ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي أبو الفداء(774هـ)، **قصص الأنبياء**، ط1، المنصورة: مكتبة الإيمان.

6. الأصبهاني، أحمد بن عبد الله بن مهران أبو نعيم (430هـ)، **تاريخ أصبهان**، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1410هـ– 1990م.

7. الحموي، ياقوت بن عبد الله أبو عبد الله (626هـ)، **معجم البلدان**، بيروت: دار الفكر.

8. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر (310هـ)، **تاريخ الأمم والملوك**، عمان: بيت الأفكار الدولية، 2004م.

9. المقدسي، مطهر بن طاهر (355هـ)، **البدء والتأريخ**.

10.مهران، محمد بيومي، **تاريخ العرب القديم**، الإسكندرية: دار المعرفة،2000م.

كتب الفقه وأصوله:

1. البعلي، محمد بن أبي الفتح الحنبلي أبو عبد الله (709هـ)، **المطلع على أبواب الفقه**، بيروت: المكتب الإسلامي، 1401هـ – 1981 م.

2. حكمي، حافظ بن أحمد، **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، ط1، الدمام: دار ابن القيم ، 1410هـ – 1990م.

كتب الشعر:

1. ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي (769هـ)، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، ط1، بيروت: دار الفكر، 1414هـ– 1994م.

2. العقيلي، بشار بن برد أبو معاذ (167هـ)، **ديوان بشار بن برد**، ط1، الرياض: الريّس للكتب، 2008م.

كتب علوم القرآن:

1. ابن خالويه، الحسين بن أحمد بن حمدان أبو عبد الله (370هـ)، **مختصر في شواذ القرآن**، دار الهجرة.

2. دعاس، قاسم حميدان، **إعراب القرآن الكريم**، دمشق: دار المنير، دار الفارابي، 1425هـ.

كتب الفهارس:

1. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله الرومي الحنفي القسطنطيني (1076هـ): **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**. بيروت: دار الكتب العلمية. 1413هـ.

كتب سماوية غير القرآن الكريم:

1. الصوري، الكاهن إسحاق أبو الحسن السامري، **التوراة السامرية**، ط1، القاهرة: دار الأنصار، 1398هـ– 1978م، ترجمها من العبرية إلى العربية الكاهن أبو الحسن السامري في مدينة نابلس.

المواقع الإلكترونية:

1. الموسوعة العربية العالمية: **http://www.mawsoah.net**
2. موقع ابن اعثيمين: **www.ibnothaimeen.com**
3. موقع إسلام أون لاين: **http://www.islamonline.net**
4. موقع الحكواتي: **www.al-hakawati.net**
5. موقع منتديات صوت القرآن الحكيم quran.maktoob.com/vb/quran
6. موقع الفوزان: **/www.alfawzan.ws**
7. موقع المستبصرون: **/www.14masom.com/mostabsiron**
8. موقع المنبر : **ww.alminbar.net/alkhutab/khutbaa.asp**
9. موقع مدرسة أحمد شلبي: **ahmedshalbyschool.110mb.com**

An-Najah National University

Faculty of Graduate Studies

The Wisdom Taken From Ibrahim's Prophecy (pbh)

Prepared by

Nujood F.A. Suradi

Supervised by

Dr. Khadr Sawandak

Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master in Religion, Faculty of Graduate Studies, at An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2010

The Wisdom Taken From Ibrahim's Prophecy (pbh)

Prepared by Student

Nujood F.A. Suradi

Supervised by

Dr. Khadr Sawandak

Abstract

Mind is too limited and incapable to figure out the wisdom and the moral that controlled the words and the deeds of determining messenger. These deeds which made him deserve God's love, and Creed, Interpretation, Hadeeth, and history scientists' focus. Never the less, out of his life (P.B.U.H) we can abstract lessons that make each teacher and educator interested.

First: History scientists had many opinions concerning the name of Ibrahim's father (P.B.U.H), they also differed about Ibrahim's date and place of birth, and the details of his travels and emigrations, but this difference doesn't matter in Islam because there is not big knowledge depends on it, even though Allah didn't mention it; because the wisdom of Quran stories is to find out lessons.

Second: Ibrahim's life (P.B.U.H) was completely full of great plagues, in which he appeared a lot of patience, confidence and happiness with the act of Allah, without grief or hesitation.

Third: Ibrahim (P.B.U.H) used all of the possible methods in delivering his messege, such as individual and collective confrontation, proving his messege by evidence, discussion and pun.

Forth: Ibrahim (P.B.U.H) had changed denier by his tongue and by hands through breaking the idols, and since his faith was never weak, he never changed denier by his heart.

Fifth: Ibrahim (P.B.U.H) had built Al-Aqsa Masged after forty years of building Al-Ka'aba –Muslim's praying victor- which was chosen for that after Al-Aqsa Masged had been the praying victor for many years.

Sixth: Ibrahim (the father of prophets) (P.B.U.H) and Mohammad (the last of them) (P.B.U.H) were similar in mien, acts, pray, Allah and people's love and the rank in this life and the other one.